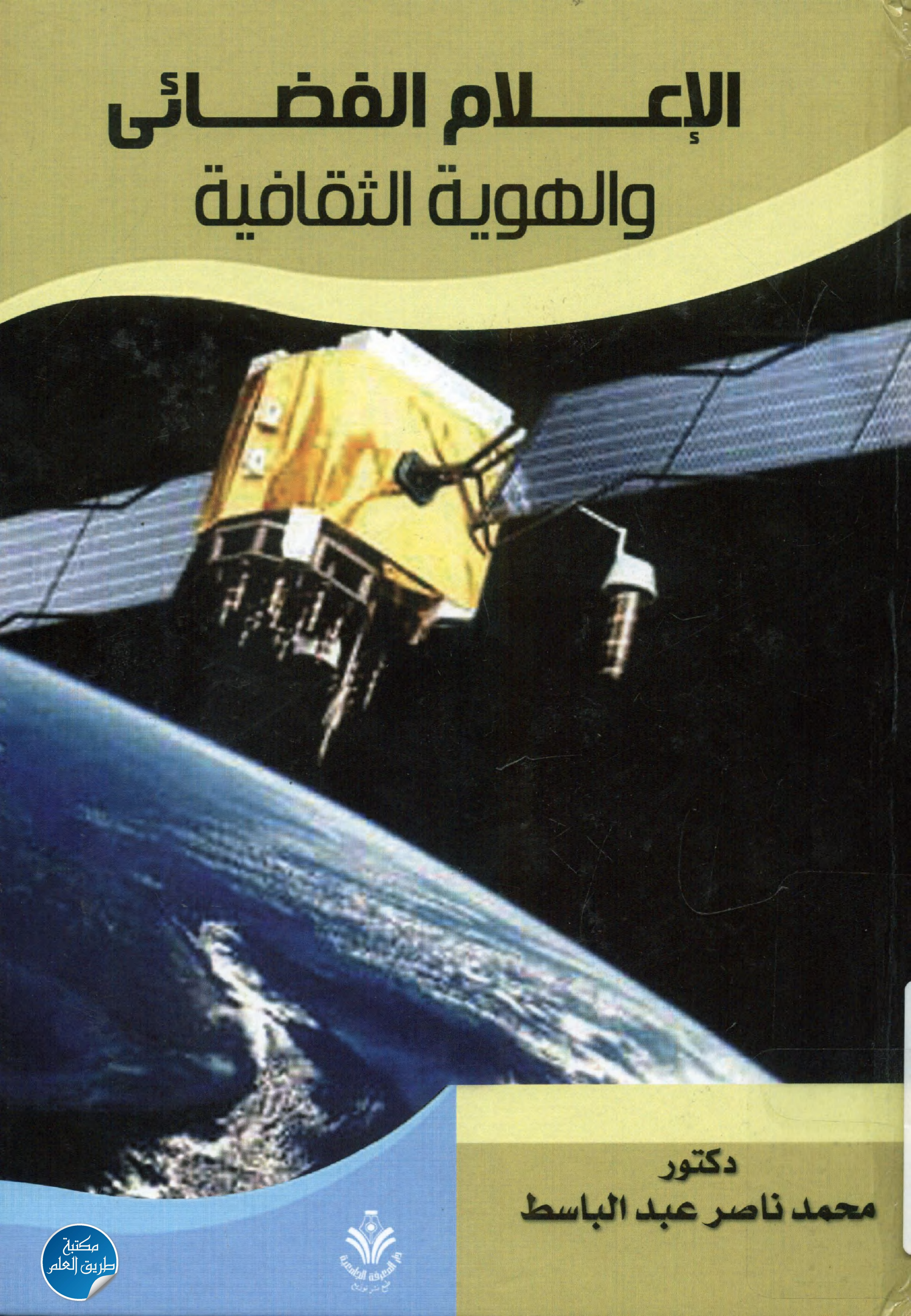

الإعـــلام الفضـــائى
والهوية الثقافية
دكتور
محمد ناصر عبد الباسط
مكتبة طريق العلم

الإعلام الفضائي والهوية الثقافية

دكتور

محمد ناصر عبد الباسط

2015



كتاب

عدد الصفحات : 202

المؤلـــــــف : دكتور محمد ناصر عبد الباسط

عنوان الكتاب : الإعلام الفضائي والهوية الثقافية

رقم الايـــــداع :

الترقيم الدولي :

الإدارة: ٣٦ ش سوتير - الأزريطة - أمام كلية الحقوق
جامعة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

تليفون: 163 70 48 00203 فاكس: 454 30 48 00203
محمول: 913 1666 0122 002

الفرع : ٢٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - الإسكندرية
Email: darelmaarefa@gmail.com
d_maarefa@yahoo.com
Web site: www.darelmaarefa.com



﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾

صدق الله العظيم

(القلم آية ١)

إهداء

إلى روح والدي

تحية تقدير وعرفان بالجميل

ودعوة من القلب بالرحمة والمغفرة

مقدمة

أضحى من المؤكد أن التليفزيون يقوم الآن بأدوار غاية فى الأهمية فى مجال التربية والتكوين ، وأن قدرته على النفاذ والاختراق والتأثير ألغت أو قللت من أهمية الأدوار التي لعبتها وسائل الاتصال الأخرى فيما يتعلق بعمليات التنشئة. وقد ساعدت التقنيات المتطورة فى مجال الاتصال هذه الوسيلة على أن تتواجد خارج حدودها وبكفاءة عالية بحيث أصبحت رسائلها جزءا من نسيج المجتمع وحياته، وذات تأثير مباشر فى التكوين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمعات ، فضلا عن تشكيل الوعي ، وتحديد مسار الأفراد والجماعة . ومن هذا المنطلق فإن الحفاظ على الهوية الثقافية ـ فى ظل سماوات مفتوحة ـ أصبح التحدي المطروح على شعوب العالم، فالتدفق الإعلامي غير المسبوق الذي يحمل هذا الكم الهائل من المعلومات والأفكار والآراء والمعتقدات والتقاليد ربما يحمل أيضا نوعا من الاختراق والغزو الثقافي وتشويه الوعي وخلخلة الشخصية القومية للشعوب، تحت شعار حرية الحصول على المعلومات وحرية الرأى والتعبير والتمسك بحقوق الإنسان والديمقراطية .

والسؤال الذى نطرحه الأن .. كيف يمكن التعامل مع هذا التدفق الإعلامى؟ . إننا لن نستطيع وقف هذه الرسائل الإعلامية الوافدة استنادا إلى أية شرعية أخلاقية كانت أو قانونية أو بزعم العمل على تحقيق مصلحة عليا للأمة . كما أن المنع على الصعيد المعاش أمر غير ممكن فى ظل التطور الهائل الذى يعرف طريقه إلى المنتجات الاتصالية .

وفى ضوء هذه الإشكالية .. ماذا عن القطاع الفضائى العربى ودوره المستقبلى فى دعم ومساندة وتعميق الثقافة القومية؟ وما الذى يمكن أن

يـضيفه إلى واقـع المتلقـى العربـى مـن حيـث تطـوير معارفـه ومداركـه ، والتأثير فى أنماط سلوكه ، وحمايته من الثقافة الاستهلاكية ؟.

إن النجاح فى استثمار القنوات الفضائية العربية يتطلب فهم مهام الإعلام الوطنى وخصائص الثقافة القومية ، وكذلك الوقـوف عـلى المـشهد الـراهن للإعـلام العـالمى ، وعلاقـة الإعـلام بالتنميـة الـشاملة، وبمـسارات الحريـة والديمقراطية ، وبحق الاتصال والتعبير وتعددية الآراء ، وتنفيذ خطة إنتـاج واسعة تعى أهميـة الـشكل ، والمـضى خطـوات عـلى طريـق زيـادة وتفعيـل الاتفاقيات الإعلامية بين الدول العربية . على صانعى الـسياسات فى القطـاع الفضائى العربى أن تعى مسئولياتها تجاه واقع الثقافة العربية ومستقبلها و إلا يصبح هذا القطاع مشاركا فى دفع المواطن العربى إلى فضائيات أخرى قد تهدد هويته.

والحديث عن الهوية الثقافية يقودنا إلى طرح قضية "المأثور الشعبى " فى عصر العولمـة ، وما يمكن أن يقوم به من أدوار بوصـفه وسـيلة للـدفاع عـن الهويـة والمواطنة .. وإلى أى مدى أثرت التكنولوجيا الحديثة على مصداقيته .. وهـل تراجعت عناصره أما م الطفرات العلمية المتلاحقة التي نعيشها الآن ؟

وعلى الجانب الآخر ما هو الدور الذي يمكن أن يلعبه القطاع الفـضائي العربي في الوقوف على ما يتضمنه المأثور الشعبي من قيم خلقية وفنية؟ وكيف يمكن شرح دلالات هذا المـأثور لغـير أصـحابه بـما يـضمن بلـورة الركـائز الأساسية التي تقوم عليها ثقافة الشعوب ؟

وإذا كانت هناك بعض الآراء التي ترى في وسائل الإعلام خطـرا يهـدد مأثورات الشعوب ، إلا أن الدور الإيجابي الذي تلعبه هذه الوسائل فى الحفاظ على أنماط وصيغ المأثور الشعبي والترويج لها أمر لا يمكن إنكاره . إن التقدم

التكنولوجى الهائل الذى عرف طريقه إلى وسائل الاتصال جعل من الممكن فصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية ، والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان بعينه ، ومن هذا المنطلق فإن الوقوف على واقع المأثور الشعبى أو التنبؤ بمستقبله ـ فى ظل المتغيرات التى يعيشها العالم الآن ـ أصبح أمرا غاية فى التعقيد ، فهذا التراث ينتمى إلى ثقافات لم تعد معزولة أو بعيدة عن التأثيرات الخارجية .

وفى ظل ذاتية المأثور الشعبى و خصوصيته يدور الآن نقاش شائك حول العلاقة المعقدة بين إعلام العولمة ، ومستقبل هذا الموروث ، ومعالجة هذه القضية تستوجب طرح مجموعة من التساؤلات ... الثقافة الشعبية فى عصر السموات المفتوحة هل تبقى محتفظة باستقلاليتها النسبية بعيدة عن أى تأثير لموجات فضائية وافدة؟ هل ستظل تلك الثقافة تنهل أسباب وجودها وكيانها من مصادر داخلية "وطنية" هى التى تشكل ملامحها ، وتحدد أنماط تكيفها مع العوامل الكونية الجديدة أم أن هناك مصادر أخرى غير وطنية " كونية " مثلا سوف تفرض على هذه الثقافة مفردات لم تعرفها من قبل ؟ .

وفى ظل هذا التحول الكونى .. كيف يمكن الاستفادة من تقنيات العولمة فى مجال الاتصال لتوفير حماية ورعاية أكبر لعناصر الثقافة الشعبية مع إتاحة الفرصة كاملة لمزيد من التفاعل الإيجابى بين الثقافات الإقليمية والثقافة الوافدة عبر البث الفضائى .

والحديث عن الإعلام الفضائى وتأثيره المتنامى على ثقافات الشعوب له ما يبرره ، فالمجتمعات تخشى فى ظل الانتشار الهائل لوسائله أن تجد نفسها أمام ثقافة هى أبعد ما تكون عن نظمها وقيمها وتقاليدها المتوارثة .

ولا شك أن البث الوافد قد يحمل خطرا يهدد الثقافات الإقليمية حيث يتعرض الناس فى المجتمعات الأقل تطورا لغزو أو على الأقل لنوع من الاختراق الثقافى الذى لا يراعى أى خصوصية ثقافية .

ومهما يكن من أمر فإن الضرورة البحثية تحتم معالجة التأثيرات الثقافية المصاحبة للبث الفضائى الوافد على عناصر ومفردات المأثور الشعبى فى منطقتنا العربية للوقوف على المضامين المختلفة التى يحملها هذا البث ، ومدى تأثيرها على موروثاتنا الشعبية التى كانت إلى عهد قريب بمثابة عوالم تكتنفها الغرابة والخصوصية ، هذا إلى جانب متابعة قدرة الثقافة الشعبية على التأقلم مع أنماط العولمة الجديدة .

وهنا نشير إلى نقطة غاية فى الأهمية .. الدور الأساسى الذى ينبغى أن تلعبه الفضائيات العربية فى نقل هذه الموروثات الشعبية خارج حدود الوطن بعد غربلتها لبلورة الركائز الأساسية للشخصية العربية ، وهذا بدوره سوف يساعد على إيجاد نوع من التفاعل الإيجابى بين الثقافة العربية وثقافات العالم .

وإذا كان عصر الفضاء يتيح فرصا كبيرة للمأثور الشعبى كى ينطلق خارج حدوده من خلال برامج خاصة به، فإن هذه الانطلاقة تحتاج إلى استراتيجية محددة وفكر واع .. تحتاج إلى جيل من الإعلاميين يؤمن بقيمة المأثور الشعبى ، وقدرته على البقاء والاستمرارية فى ظل المتغيرات الحالية ، والإفادة منه فى رسم ملامح الواقع والمستقبل .

إن المأثور الشعبى زاخر وغنى بالتجارب ، فيه تتوفر الأسس التكوينية للشخصية العربية ، وهذا المأثور يعيش حاليا صراعا مع التحول السريع نحو المدنية ، وهو قادر على التغير وفيه من المرونة ما يجعله قابلا للتطور ، وهذا ما يجب أن يراعيه واضعو السياسات الإعلامية فى القطاع الفضائى العربى .

د/ محمد ناصر عبد الباسط

الباب الأول

أنظمة الإعلام الفضائي

العربي والواقع الثقافي

الفصل الأول: المجتمعات العربية وتكنولوجيا الاتصال.

الفصل الثاني: القطاع الفضائي العربي .. وتحديات الألفية الثالثة.



الفصل الأول

المجتمعات العربية
وتكنولوجيا الاتصال

الفصل الأول

المجتمعات العربية وتكنولوجيا الاتصال

مقــدمة :

فى البداية نتفق على أننا نعيش عصرا تحتل فيه المعلومة مكانة ما كان لأحد أن يتخيلها إنه العصر الذى عرف بالكثير من المسميات نذكر منها[1]

١ـ **عصر ما بعد الصناعة :** وصاغه دانيال بل و (Bell,D) وربما يكون قد سبقه إليه " آلان تورين" عالم الاجتماع الفرنسى وأحد أقطاب المدرسة البنيوية ، وذلك فى محاولته كشف آفاق النمو الاجتماعى وتحليل الطبقية فى المجتمع الحديث .

٢ـ **عصر ما بعد الحداثة :** يرتبط برؤية فيلسوف ما بعد البنيوية " جان فرانسو ليوتار" حول تغير طبيعة المعرفة وآليات إنتاجها وتواصلها داخل المجتمع على أثر الكمبيوتر ونظم المعلومات .

٣ـ **عصر المعلومات :** ينتمى هذا التعبير إلى أكثر من عالم اجتماع يأتى على رأسهم " يونيجى ماسودا" اليابانى فى دراسته المستقبلية الشهيرة عن مجتمع المعلومات عام ٢٠٠٠ ، التى يطرح فيها تصوره لتحول مجتمع اليابان إلى مجتمع مغاير بشدة فى أشكال تنظيماته ومؤسساته وصناعاته ، وطبيعة سلعة وخدماته ، وأدوات أفراده وحكامه ونسق القيم والمعايير التى تولد الغايات ، وتحكم العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات داخل هذا المجتمع .

---

(١) سعيد إسماعيل على: التعليم والإعلام (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، مجلة عالم الفكر ، ديسمبر ١٩٩٥) ص ٣٧

٤- **عصر الموجة الثالثة**: وصاحبه الكاتب الأمريكى الشهير " ألفين توفلر" فى كتابه الشهير (صدمة المستقبل) وهو محاولة لتنميط حركة الارتقاء الحضارى مبشرا بقدوم موجة ثالثة بعد موجتى الزراعة والصناعة، تحمل فى طياتها أنماطا جديدة للحياة ، من أبرز ملامحها استخدام مصادر طاقة متنوعة ومتجددة ، وطرق إنتاج جديدة والاعتماد على علاقات ومؤسسات تختلف اختلافا جادا عن تلك التى عهدناها خلال الموجة الثانية. [1]

وتتمثل أبرز ملامح عصر المعلومات فيما يلى : [2]

أولا: إنه عصر يقوم على إنتاج المعلومات وتداولها من خلال آلية غير مسبوقة هى الحاسب الآلى الذى أدت أجياله المتعاقبة إلى إحداث ثورة فكرية فى مجال إنتاج وتوزيع واستهلاك المعارف الإنسانية، فإذا أضفنا القفزة الكبرى فى مجال الاتصال ، وخاصة الأقمار الصناعية التى تنتمى إلى ثقافات مختلفة مما من شأنه أن يؤثر على القيم والعادات والاتجاهات ، ويؤدى تدريجيا إلى ما يمكن أن يطلق عليه (الوعى الكونى)

ثانيا: إن المعلومات بطبيعتها غير قابلة للاستهلاك أو التحول أو التبدد لإنها تراكمية ، وهى متاحة لكل الناس من خلال شبكات المعلومات وبنوكها، وعلى هذا الأساس فإن سر الواقع الاجتماعى العميق لتكنولوجيا

---

(١) نبيل على : العرب وعصر المعلومات (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، العدد (١٨٤) ، أبريل ١٩٩٤) ص ١٣ .

(٢) السيد يسين: الموجة الثالثة ، موقع الوطن العربى من ثورة المعلومات (دمشق ،المركز العربى للدراسات الإستراتيجية، مجلة الرسالة، العدد الثانى، أبريل ١٩٩٧ .

المعلومات يتمثل فى التركيز على العمل الذهنى ، وتعميقه مـن خـلال إبـداع المعرفة .

ثالثا : سيتحول النظام السياسى لكى تسوده السياسات التى تنهض على أساس الإدارة الذاتية ، التى يقوم بها المواطنون ، والمبينة على الاتفاق ، وضبط النوازع الإنسانية، والتأليف الخلاق بين العناصر المختلفة .

رابعا: سيتشكل البناء الاجتماعى المحلى من مجتمعات محلية متعددة المراكز ومتكاملة بطريقة طوعية .

خامسا: ستتغير القيم الإنسانية ، وتتحول إلى الاستهلاك المادى، ولـيس إلى إشباع الإنجاز المتعلق بتحقيق الأهداف .

سادسا: أعلى درجة من مجتمع المعلومات ستتمثل فى مرحلة تتسم بإبـداع المعرفة من خلال مشاركة جماهيرية فعّالة ، والهدف النهائى منها هو التشكيل الكامل لمجتمع المعلومات الكونى.

سابعا: إنه عصر الدخول فى الاقتصاد الرقمى ، أو الاقتصاد غير محسوس الوزن ، والمعروف أيضا باقتصاد المعرفة أو الاقتصاد غير المادى أو الاقتـصاد غير الملموس .

ثامنا: إن التغييرات الوشيكة الأجهزة والبرامج والبنية الأساسية ، سوف تعمل بنسب متفاوتة على تغيير حياتنا الاجتماعية ، ونظمنا العائلية ووظائفها ووسائل التسلية والترفيه واقتصادنا ، بل ونظرتنا لمكاننا فى هذا الكون وكـل

من يشارك فى عصر ثورة المعلومات القادمة – وهذا يشملنا جميعا – يحتاج إلى معرفة (ماذا سيحدث؟) [1]

ولا شك أن مجتمع المعلومات الذى نعيشه الآن – ومن المنتظر أن تعيشه أجيال قادمة – سوف يوفر لنا كما هائلا من المعلومات ، وهذا يعنى أن على الإعلام أن يعيد ترتيب أوراقه فى ظل هذه المتغيرات ، عليه أن يوسع هامش الحريات ، أن يتطرق إلى كافة القضايا والموضوعات عالميا وإقليميا ووطنيا ملتزما بالصدق والموضوعية فى عرض وتناول مثل هذه الموضوعات .

إن تدفق المعلومات قد يعنى بالنسبة للإعلام ذاته الكثير فهى موارد إعلامية لم تكن متاحة من قبل، موارد من شانها أن تدعم الأداء الإعلامى ، تدفعه خطوات على طريق المصداقية بعيدا عن مشكلة نقص المعلومات التى كان من أثرها زيادة المساحة البلاغية واللغوية التى سيطرت على الخطاب الإعلامى – خاصة العرب – ولفترات طويلة.

ويعتقد الباحث أن الاستفادة القصوى من موارد المعلومات بالنسبة للإعلام تحتاج إلى جيل من الإعلاميين المؤهلين للتعامل مع المعلومة جمعا وتحليلا ومعالجة .

---

(١) مايكل ديرتوزوس : ماذا سيحدث ، كيف سيغير عالم المعلومات الجديد حياتنا (القاهرة ، ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩٩) ص ٩٩

النظام الإعلامى العربى .. الأبعاد والخصائص :

الإعلام فى أبسط تعريف له ، هو تزويد النـاس بالمعلومـات الـصحيحة والحقائق والأخبار المؤكدة بقصد معاونة هؤلاء على تكـوين انطبـاع أو رأى سليم تجاه مشكلة أو مسالة عامة ، أى أن الإعلام - كما ينبغى أن يكون — يقوم على مخاطبة العقل بعيدا عن الغرائز والعواطف، دوره يتمثـل فى نقـل صـورة الشىء لا إنشاء هذه الصورة، ومن هنا يمكن القـول : إن الإعـلام لا يرسـم سياسة الدول ، بل هو معبر عنها فقط .

وهناك من يعرف الإعلام بأنه (عملية اتصال موضوعية ومجردة وحيادية بشكل عام ،هدفها مشاعر الجماهير عن طريق إعلامها بالحقائق كما هى[1]

وهو أيضا كما يرى بعض منظريه (نشر الأفكار أو المواقف التى تؤثر على الآراء أو السلوك أو كليهما[2]

ويرى نبيل على أن مفهوم الإعلام الذى يرتكز أساسا على مهمـة توجيـه الرسـائل مـن المرسـل إلى المستقبل ، قـد آن لهـذا التوجـه أن يتغـير فى ظـل تكنولوجيا المعلومات ليصبح تواصلا أى حوارا ذا اتجاهين ، لا مجـرد إعـلام أحادى الاتجاه يصب " جام " رسائله على مستقبله أو "مستسلمه" إذا أردنا الدقة وجاز التعبير، إنه التواصل بمعناه الواسع الذى لا يقتـصر عـلى إبـلاغ الرسائل ، بل يتجاوز ذلك إلى مهام التعليم والـتعلم والترفيـه ، واسـترجاع

---

(١) عاطف حمدى العبد : الاتصال والرأى العام (القـاهرة ، دار الفكـر العربـى ، ١٩٩٣) ص ١٦.

(2) Geoffrey k, Roberta A dictionary of political, London Longman. 1971. P .197.

المعلومات ، ويشمل أيضا التراسل عبر البريد الإلكترونى ، والتحاور والتسامر من خلال حلقات النقاش ، وعقد المؤتمرات عن بعد [1]

وقد ارتبط الإعلام – كعادة العلوم فى مرحلة التكوين – بعلوم أخرى مثل " علوم العربية ، وعلم النفس والاجتماع والعلوم السياسية والإدارية والقانونية ، وقد استقل بعد ذلك فأصبح له نظرياته وتقنياته، ومنتجاته ، وجاءت تكنولوجيا المعلومات لتضيف له أبعادا ما كان أحد يتوقع مدى وعمق تأثيرها على كافة مجالات الحياة .لقد أصبح الإعلام يقدم معرفة فعّالة قوية ، معرفة هى أقرب إلى سلطة تفرض نفسها وبقوة على كافة المجتمعات .

وتتكون عملية الإعلام من خمسة عناصر هى : مصادره ، ومضمونه ،ووسيلته ومتلقيه ،وهدف الإعلام أو الأثر الذى يتوقع أن يحدثه المضمون فى المتلقى ويشمل كل من هذه العناصر الخمسة عدة متغيرات تتفاعل فيما بينها وتتبادل التأثير ، فأى تغيير فى إحداهما يؤدى إلى تغيير فى العملية ككل ، وتتوقف فعالية أحدها على وجود المتغيرات الأخرى ، وعلى مدى إسهامها فى نتاج المخاطبة أو عملية الإعلام. [2] والنظام الإعلامى العربى يتمثل فى كونه نظاما إقليميا فرعيا يتفاعل وبقية الأنظمة الإعلامية الإقليمية مع النظام الإعلامى الدولى ، الذى يتكون من عناصر : فنية ، واقتصادية ، وسياسية، وتنظيمية ، وثقافية ، وعناصر للسيطرة الاجتماعية ومن الضرورى عند دراسة النظام الإعلامى الدولى تحليل عناصره ومكوناته على مستوى النظم الفرعية ،

---

(١) نبيل على : الثقافة العربية ، وعصر المعلومات (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، مجلة عالم المعرفة، العدد (٢٦٥)، يناير ٢٠٠١) ص ٢٦٤.

(٢) عبد المنعم شحاته : مكونات الإعلام وآثاره من منظور علم النفس (الكويت، المجلس الوطنى الثقافى والفنون والآداب ، مجلة عالم الفكر ، ديسمبر ١٩٩٥) ص ٢٩٣.

وعلاقات التأثير المتبادل بينها ، وفى هذا السياق فإن عناصر التحليل تتضمن : التكنولوجيا المستخدمة ، وفلسفات النظام (السياسات والأيديولوجيات) والأهداف التى تسعى إلى تحقيقها ، والمضمون ، والعلاقات بين النظام الدولى للاتصالات، والنظم الفرعية ، وعناصر كل نظام ، وأخيرا المتلقين أو الجمهور.

وكان فاروق أبو زيد قد حدد خمسة أبعاد لمفهوم النظام الإعلامى هى : الفلسفة الإعلامية التى يقوم عليها النظام الإعلامى ، وهى مجموعة المبادئ والأسس الفكرية ثم السياسات الإعلامية، وهى البرامج التطبيقية للفلسفة الإعلامية ، ثم الإطار القانونى الذى يترجم الفلسفة الإعلامية إلى تشريعات تحكم عمل المؤسسات الإعلامية ، ثم البنية الاتصالية الأساسية ، وتشمل مستوى تكنولوجيا الاتصال والكوادر البشرية المتاحة ، والإمكانيات المادية وغيرها وأخيرا تأتى الممارسات الإعلامية فى الواقع الفعلى [1]

وقد جعلت بعض المحاولات البحثية من عناصر ومكونات وأبعاد النظام الإعلامى العربى هدفا لها سواء على مستوى كل قطر عربى ، أم على المستوى العربى بعامة ، ومع أن هذه المحاولات المسحية لم تستخدم مداخل للتحليل المقارن إلا أنها وفرت قدرا معقولا من المعلومات والبيانات ، علاوة على قدر من التحليل الذى تأثر بثلاثة نماذج إرشادية هى : النموذج الوظيفى ، والنموذج المعرفى ، والنموذج النقدى ، كما تتأثر ببعض مقولات مدرسة التبعية ، وببعض أفكار الإسلام السياسى والاتجاه القومى العربى [2]

---

(١) فاروق أبو زيد : انهيار النظام الإعلامى الدولى (القاهرة ، مطابع الأخبار ، ط١ ١٩٩١) ص١٤٩.

(٢) محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامى العربى (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، عالم الفكر ، المجلد (٢٨) ، العدد الثانى ، ديسمبر ١٩٩٩) ص ١٥١.

وفيما يلى استعراض سريع لأهم خصائص النظام الإعلامى العربى كما عكسته بعض الدراسات والبحوث المسحية :

أولا: تشابه السياسات الاتصالية : من حيث سعيها إلى دمج الإعلام فى مؤسسات ورموز السلطة السياسية ، وتوظيف الخطاب الإعلامى سياسيا ودعائيا وترفيهيا ، وذلك على حساب وظائف أخرى للإعلام ، وهو ما يطلق عليه "الإعلام الموجه" ، ويصاحب مثل هذا الفكر الإعلامى عادة نوع من المركزية الشديدة على كافة أشكال وممارسات الاتصال سواء جغرافيا أو إداريا .

كما تتشابه السياسات الاتصالية فى العديد من أوجه القصور والتضارب أهمها : العشوائية ، وغياب التخطيط والافتقار إلى المعلومات والوثائق والبحوث وقلة القطاعات المشاركة فى صنع السياسة الإعلامية [1] وهذا بطبيعة الحال يصيب الحياة الثقافية فى المجتمعات العربية بضربة ، بل بضربات قاسية.

ثانيا: تشابه المضمون : رغم تنوع وتباين المضامين الإعلامية الصادرة عن النظام الإعلامى العربى إلا أنها تلتقى عند عدد محدد من الأهداف والاستراتيجيات أهمها التركيز على الشئون المحلية ، وغلبة الطابع الدعائى والاستهلاكى مقارنة بأهداف واستراتيجيات التعليم والتثقيف ، علاوة على تسييد لهجات وأنماط الحياة فى الحضر والعواصم العربية ، وبصفة عامة لا تتسع وسائل الإعلام العربية إلا لوجهات النظر الرسمية ، كما تنطوى على اتجاه واحد لسريان المعلومات من السلطة إلى الجماهير ، ومن النادر إنتاج

---

(١) راسم محمد الجمال : الاتصال والإعلام فى الوطن العربى (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١) ص ص ٥٠، ٥٢

وتداول مضمون إعلامى أو ترفيهى دون أن يخضع لدرجة ما من درجات الرقابة التى تتفاوت شدتها من قطر إلى قطر (١)

ولأن المنتج الإعلامى المحلى بما يحمله من مضامين متشابه لا يكفى لسد حاجة وسائل إعلامه فقد سادت استراتيجية الاستيراد حيث تسعى معظم منظومات الإعلام العربى إلى استيراد موارد إعلامية جاهزة من بعض الدول الأجنبية هى أبعد ما تكون عن القيم والفكر العربى .

ثالثا: ملكية الدولة : باستثناء "لبنان" تحتكر الدولة فى النظام الإعلامى العربى ملكية وإدارة الإذاعة والتليفزيون ، بينما تعدد أنماط ملكية الصحف بين الملكية الخاصة ، والملكية العامة، والملكية المختلطة ، مع وجود ضوابط وقيود على إصدار وامتلاك الصحف وقد دفعت هذه القيود إلى جانب أسباب أخرى بعض الأفراد والجماعات لإصدار صحف عربية من دول أجنبية كبريطانيا ، وقبرص ، وفرنسا ، وعلى جانب آخر أتاحت التكنولوجيا الحديثة لبعض الأفراد والشركات إنشاء قنوات عربية فضائية خاصة من دول أجنبية (2) وقد تغيرت الأوضاع مؤخرا حيث بدأت بعض الدول العربية تسمح بإنشاء قنوات تليفزيونية خاصة ، وتأتى مصر فى مقدمة هذا الدول ، وهذا توجه إيجابى .

رابعا: عدم التوازن فى انتشار تكنولوجيا الاتصال الجماهيرى: يتسم انتشار واستخدام تكنولوجيا الاتصال داخل النظام الإعلامى العربى بالاختلاف والتنوع الشديد مع وجود فجوات ملحوظة بين الدول التى

---

(١) حسين العودات : التكامل بين السياسات الثقافية والسياسات الإعلامية فى الوطن العربى (تونس ، المجلة العربية ، العدد (٣٥) سبتمبر ١٩٩٨) ص ١٦، ٦٤ .

(٢) محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامى العربى ، مرجع سابق ص ١٥٢.

تشكل وحدات هذا النظام وتعكس هـذه الاختلافـات تباينـا عـلى مـستوى التطور الاقتصادى والاجتماعى والتعليمى بين الدول العربية ، وداخـل كـل دولة على حدة .

ومازالت وسائل الإعلام فى بعض الدول العربية عاجزة عـن اسـتيعاب التطورات التكنولوجيـة المعـاصرة واسـتخدامها وملاحقتهـا ، وعـن تـوفير الكوادر الإعلامية الوطنيـة التـى تفـى باحتياجـات الإنتـاج كـما ومـضمونا وشكلا(١)

خامسا: التبعية : يعانى النظام الإعلامى العربى من خلل هيكلى يتمثل فى تبعية مدخلات ومخرجات النظام وعلى مستويات عـدة – للـدول الـصناعية المتقدمة والشركات العملاقة متعددة الجنسيات التى تعمل فى مجـال الإعـلام وتكنولوجيا المعلومات، فالتكنولوجيا المستخدمة فى النظام الإعلامى العربى تشترى من الخارج ، وفى أحسن الأحوال يجرى تجميعها داخل بعض الأقطار العربية دون إمكانية حقيقية لنقل وتوطين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات أو إنشاء صناعات عربية مستقلة .

والملاحظ أن تبعية النظام الإعلامى العربى ووحداته للقوى المهيمنة على النظام الإعلامى لا تعتبر سمة خاصة ينفرد بها النظام الإعلامى العربى ، بـل هى سمة عامة يعانى منهـا معظـم الـنظم الإعلاميـة الفرعيـة داخـل النظـام الإعلامى الدولى (٢)

---

(١) منـى الحديـدى : نحـو خطـة قوميـة لتحقيـق التكامـل بـين الـسياسات الثقافيـة ، والسياسات الإعلامية فى الوطن العربى (تونس ، المجلة العربية للثقافة ، العدد (٣٥) سبتمبر ١٩٩٨) ص ٦٥.

(٢) محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامى العربى ، مرجـع سـابق ، ص ١٥٣.

إن إعلامنا العربي يعيش صدمة إعلامية على مختلف المستويات : السياسية والتنظيمية والفنية، فليس بالأقمار الصناعية ، والقنوات الفضائية ، وأحدث المطابع الصحافية وحدها يحيا الاتصال فى عصر المعلومات ، وعلينا أن نقر بأننا لم نرصد بعد مسارات الخريطة " الجيو – إعلامية " الحديثة ، وهو ما عبر عنه التقرير الإستراتيجي العربي لعام ١٩٩٩ بضعف الاستجابة إلى عولمة الإعلام .

لقد فقد إعلامنا العربى محوره وأضحى مكبلا بقيود ارتباطه الوثيق بالسلطة ، تائهاً بين التبعية الفنية والتنافس السلبى على سوق إعلامية إعلانية محدودة ، وكان نتيجة لذلك أن أصبح رهين الإعلان من جانب، وذليل الدعم الحكومى من جانب آخر ، إن إعلامنا العربى يواجه عصر التكتلات الإعلامية مشتتا عازفا عن المشاركة فى الموارد ، يعانى من ضمور الإنتاج وشح الإبداع ، حتى كاد وهو المرسل بطبيعته أن يصبح نفسه مستقبلا للإعلام المستورد ليعيد بثه إلى جماهيره [1]

لقد وقعنا فى فخ شباك الإعلام والاتصال ، شبكة الأقمار الصناعية ، وشبكة الإنترنت ، وشبكة التكتلات الإعلامية المتعددة الجنسيات ، ولا يمكن للمرء أن ينكر بعض المحاولات الناجحة لتطوير الإعلام العربى فى مجالات الصحافة والإذاعة والتليفزيون إلا أن هذه المحاولات تظل دون الحد الأدنى المطلوب [2]

وهنا يتساءل الباحث .. أمام الوتيرة المتسارعة للتطور والتغيير فى مجالات الحياة المختلفة بفضل الوسائل التكنولوجية المتقدمة ، ومن منطلق أن الثقافة

---

(١) نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ص ٣٤٦.

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٤٦ .

هى صمام الأمان فى مواجهة اضطراب القيم والمثل والأنساق الفكرية والأنماط السلوكية .. يتساءل الباحث عن علاقة السياسات الإعلامية العربية بالواقع الثقافى .. وإلى أى مدى تعى هذه السياسات أن الثقافة لم تعد ترفا عقليا أو وجدانيا ، وإنما هى فى جوهرها منظومة من القيم الجمالية واللغوية والفنية والفلسفية التى توجه مشاعر البشر وعقولهم فى اتجاه الرقى والتقدم ، وتعمل على مضاعفة القدرة على الابتكار والإبداع والتواصل والتماسك الاجتماعى ؟

صانعو السياسيات الإعلامية فى النظام الإعلامى العربى:

يقصد بصانعى السياسات الإعلامية فى الوطن العربى ، كل سلطة أو جهاز أو حتى شخص قادر على أن يلعب دورا داخل هذه المنظومات سواء على المستوى القطرى أو القومى (العربى) ، ويمكن تحديد هؤلاء فى[1]

أولا: الدولة : وتشمل جميع المؤسسات والسلطات والرموز الخاصة بالدولة التى تحظى فى النظام الإعلامى العربى بدور رئيسى ومهيمن كما أنها تمتلك وتحتكر وسائل الإعلام المختلفة لتحقيق سياساتها .

ثانيا: الجامعة العربية من خلال منظمات العمل الإعلامى التى تضم مجموعة مؤسسات للتعاون الإعلامى بين الدول العربية ومنها :

- الإدارة العامة للإعلام .
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- اللجنة الدائمة للأعلام العربى .
- مجلس وزراء الإعلام العربى .
- اتحاد إذاعات الدول العربية .

---

(١) محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامى ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

- المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية .

- اتحاد وكالات الأنباء العربى .

- اللجنة المشتركة لاستخدام القمر العربى للإعلام والثقافة والتنمية .

ورغم أن هذه المؤسسات تخضع إداريا لجامعة الدول العربية إلا أنه لا يمكن اعتبارها فاعلا مستقلا تماما عن دور دول الجامعة ، التى تشكل هذه المؤسسات وتحدد صلاحياتها وفاعليتها ومع ذلك يظل لهذه المؤسسات قدر من التأثير المستقل مكنها من أن تصبح طرفا مؤثرا إلى حد ما فى وضع السياسات الإعلامية العربية خاصة فيما يتعلق بالتبادل الإعلامى بين الدول العربية .

ثالثا: منظمات القطاع الخاص : تشمل جميع المنظمات والشركات التى تعمل فى مجال الإعلام داخل النظام الإعلامى العربى ، التى يملكها ويديرها أفراد أو شركات خاصة ، بغض النظر عن وجود مقار وأصول لبعض هذه الشركات فى دول أجنبية ، كما هو الحال بالنسبة للقنوات الفضائية التليفزيونية الخاصة ، وللصحافة العربية فى أوروبا ، فهى رغم عملها من خارج القواعد التقليدية للنظام الإعلامى العربى إلا أنها تعتبر من ضمن الفاعلين فى النظام استنادا إلى نوعية الخطاب الذى تقدمه ، والجماهير التى تخاطبها .

وإذا كانت آليات التحكم أو حتى منع أو إلغاء مؤسسات القطاع الخاص تختلف من دولة إلى دولة داخل النظام الإعلامى العربى ، فإن الظاهرة الجديدة التى تبلورت نتيجة العولمة والتقدم المذهل فى تكنولوجيا الاتصال تتجسد فى انعدام قدرة الدولة العربية وأجهزتها على مراقبة البث الفضائى أو منعه أو منع مواطنيها من استقباله .

رابعا: مؤسسات المجتمع المدنى : يقصد بها الجمعيات ، والمنظمات ، والاتحادات ومراكز البحوث غير الحكومية ، التى لا تسعى إلى الربح ، وتقوم ببعض أنشطة الاتصال الجماهيرى سواء على المستوى الوطنى (القطرى) أم القومى ، التى تؤثر بالتالى فى النظام الإعلامى العربى .

ورغم ضعف وتبعثر مؤسسات المجتمع المدنى، ومحدودية دورها فى النظام الإعلامى إلا أن هناك جهودا ملموسة لتطوير أداء هذه المؤسسات ، وهناك أفكار وتحركات عملية لتشكيل شبكة عربية مكتملة الحلقات تساعدها على التعاون والتآزر والتضامن وتؤهلها للتفاعل فى المجتمع العربى من موقع الاستقلال الذاتى ، وتمكنها من التبادل الإعلامى[1]

إن مؤسسات المجتمع المدنى - بغض النظر عن فرص نجاحها المرتبطة بعوامل سياسية واقتصادية وثقافية - تعتبر فاعلا مستقلا ضمن النظام الإعلامى العربى ، لكنها تحتاج إلى المزيد من الحريات والإمكانيات ، تحتاج إلى تغيير فى ثقافة المجتمع لمزيد من تفعيل أدوار هذه المؤسسات .

النظام الإعلامى العربى فى ظل العولمة :

مفهوم عولمة الإعلام : على كثرة الحديث عن الإعلام والعولمة ، ودور الصور والمضامين والرموز العابرة للقوميات عبر وسائل الإعلام والمعلومات فى الترويج للعولمة ، وتوحيد العالم ، فإنه لم تظهر سوى محاولات قليلة لتحديد مفهوم عولمة الإعلام ، والمتابع لهذه المحاولات يلاحظ أنها اتسمت

---

(١) مصطفى المصمودى : الإعلام الجمعياتى فى المجتمع المدنى ، التطورات فى نظام الاتصال وانعكاساتها على المنظمات الأهلية، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الثقافى للمنظمات الأهلية العربية (القاهرة ، ١٧ -١٩ مايو ١٩٩٧) ص ٢٦.

بالاستقطاب الحاد بين تيارين:(1) الأول : يؤيد بحماس ودون تحفظ عولمة الإعلام ويبرز إيجابياتها باعتبارها تدعم من التدفق الحر للمعلومات ، وحق الاتصال ، وتوفر للجمهور فرصا غير محدودة لحرية الاختيار بين وسائل الإعلام والمعلومات .

وفى هذا السياق ناقش " جيدنز" عولمة وسائل الإعلام " Media Globalization" على أنها ضغط للزمان والمكان ، وهى سمة رئيسية فى العالم المعاصر ، وأشار إلى أن عولمة الإعلام هى الامتداد أو التوسع فى مناطق جغرافية مع تقدم مضمون متشابه ، وذلك كمقدمة لنوع من التوسيع الثقافى ، وأكد "جيدنز" على أن وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة جعلت من الممكن فصل المكان عن الهوية والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية ، والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان محدد وشدد "جيدنز" على أهمية دور الإعلام فى خلق وتضخيم الحقائق اعتمادا على الصور والرموز[2] أما التيار الثانى : فيعارض بشدة عولمة الإعلام ، ويرفض ما يقال عن إيجابياتها ، وينظر إليها باعتبارها نفيا للتعددية الثقافية وتسييداً لقيم الربح والخسارة ، وآليات السوق فى مجال الإعلام والاتصال والمعلومات، علاوة على

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول : تحديد مفهوم " عولمة الإعلام " انظر :
محمد شومان : عولمة الإعلام والنظام الإعلامى العربى ، مرجع سابق ص ١٥٩ ، وما بعدها .

(2) A. Giddens, Modality & Self identity: self and society in the late modern age, Stamford, C.A Stamford University, press. 1991. PP21-28

الاعتـداء عـلى حريـة وسـائل الإعـلام والحـق فى الاتـصال ، وتقـويض سلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات .

ولعل أشهر أصحاب هذا التيار " هربرت شيللر" الذى يعـرف عولـة الإعلام بأنها تركيز وسائل الإعلام فى عدد من التكـتلات الرأسـمالية (عـابرة الجنسيات) التى تستخدم وسائل الإعلام كحـافز للاسـتهلاك عـلى النطـاق العالمى .

ويؤكد " شيللر" على أن أسلوب الإعلان الغربـى ومـضمون الإعـلام يدفع إلى التوسع العالمى لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبيـة تطمـس أو تزيل الهويات القومية أو الوطنية [1]

وفى الإطار نفسه يـرى " تشومـسكى" أن عولـة الإعـلام هـى الزيـادة الضخمة فى الإعلان ، خاصة الإعلان عن السلع الأجنبية وبالتالى انخفـاض التنوع والمعلومات مقابل الزيادة فى التوجه للمعلن، ويؤكد " تشومـسكى" على أن العولمة هى التوسع فى التعدى على القوميات من خلال شبكة عملاقـة شاملة يحركها الاهتمام بالربح ، وتشكيل الجمهور وفق نمط خـاص ، حيـث يدمن الجمهور أسلوب حياة قائما على حاجات مصطنعة مع تجزئة الجمهور ، وفصل كل فرد عن الآخر حتى لا يدخل الجمهور الساحة السياسية ، ويزعج أو يهدد نظام القوى أو السيطرة فى المجتمع [2]

---

(1) Silvia washboard, when the cartof media is before the horse of identity, A critique of technology. Centred, views on globalization, communication research, Vol. 25, No, 4 August 1998. pp377-396.

(2) www. Third word network.

إن عولمة الإعلام هـى تحديـد للـدور المستقبلى الـذى يمكـن أن تلعبـه وسائل الإعـلام فى رسـم ملامـح مـستقبل الـشعوب مـن خـلال التـداخل العميق بين هذه الوسائل ، ومجالات الحياة المختلفة.

إنها عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمتسمر فى قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفـضل مـا توفره التكنولوجيا الحديثـة ، والتكامـل والانـدماج بـين وسـائل الإعـلام ، والاتصالات والمعلومات ، وذلك لدعم عملية توحيد العالم ودمج أسـواقه ، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقلـيص سـلطة ودور الدولـة فى المجـالين الإعلامـى والثقافى من ناحية أخرى[1]

---

(٢) محمد شومان : عولمة الإعـلام ومـستقبل النظـام الإعلامـى العربـى ، مرجـع سـابق ، ص١٦١

حقائق وأبعاد حول عولمة الإعلام:

إذا كانت عولمة الإعلام قد أصبحت الآن واقعا تعيشه الشعوب، فإن هذا الواقع قد فرض مجموعة من الأبعاد والحقائق فى مقدمتها: التكامل بل والاندماج بين وسائل الإعلام الجماهيرى والطفرة التى يعيشها الاتصال بما يصاحب ذلك من تدفق غير مسبوق للمعلومات.

وإذا كانت وسائل الاتصال والمعلومات تتشابه مع وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية إلا أنها تتميز بالتفاعلية واللاجماهيرية واللاتزامنية، وقابلية التحرك أو الحركية، وقابلية التمويل والتوصيل، والشيوع، والكونية [1] وبصفة عامة فإن تكامل واندماج وسائل الإعلام، وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات يحدث تحولات هيكلية فى بنية العمليات الاتصالية، ويتيح للمتلقين إمكانيات غير محدودة للاختيار والتفاعل الحر مع القائمين بالاتصال، وتبادل الأدوار الاتصالية، وكسر مركزية الاتصال فضلا عن تعظيم استخدامات وسائل الإعلام، والاتصال فى التسويق والترويج والتجارة على الصعدين المحلى والدولى، ومجمل هذه التحولات تبلور وبوتيرة متسارعة ما اصطلح على تسمية بمجتمع المعلومات Information Society [2]

إن تكنولوجيا الاتصال التى تفتح آفاقا جديدة أمام الإعلام وتحمله فى الوقت نفسه مجموعة من الوظائف التى لم يعرفها من قبل، إن هذه التكنولوجيا ستفرض علينا إعادة النظر فى تعريف الإعلام أو الاتصال

---

(١) محمود علم الدين: ثورة المعلومات ووسائل الاتصال، التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٢٣) يناير ١٩٩٦) ص ١٠٢-١١٦.

(2) Framx Webster, edited theories of the information society. Pp 2-16.

الجماهيرى كما أنها سوف تقود المجتمعات إلى نمط اتصالى جديد يتسع لكل أنماط الاتصال، هو الاتصال التفاعلى القائم على التفاعل الحر والمباشر بين المرسل والمستقبل ، وتبادل أدوار الاتصال بين الطرفين ، علاوة على اتساع ، وتنوع حرية المتلقى فى الاختيار[1] وفى هذا الإطار يمكن القول : إن العديد من المسلمات والفرضيات الأساسية التى تقوم عليها تعريفات الإعلام والاتصالات الجماهيرى ، ونظرياته قد تحطمت أو فى طريقها للزوال فقد أصبح من العسير التسليم بالتعريف البسيط القائل: " إن الإعلام أو الاتصال الجماهيرى هو مجرد توصيل رسائل نمطية إلى جماهير غير متجانسة يصعب التعرف على ردود أفعالها تجاه هذه الرسائل أو إجراء حوار معها " وبالتالى فإن العلاقة الاتصالية التى كانت تميل ناحية المصدر(المؤسسة الإعلامية) وتسير فى اتجاه واحد من المصدر إلى الجمهور[2] مرشحة حاليا وفى المستقبل للتعديل والتغيير ، ربما لصالح الجمهور، وذلك رغم صعوبة توقع السلوكيات المستقبلية للجمهور[3]

إعلام العولمة وثقافة الصورة ..

إن الحديث عن العلاقة بين العولمة والمأثور الشعبى لا يمكن أن يتم بعيدا عن إعلام العولمة بكل ما يعنيه من قدرة على إحداث تغييرات فى أنماط وسلوك المجتمع ، وما يمكن أن يلعبه من أدوار فى نشر المادة الشعبية ، والدفاع عن قضاياها على اعتبار أن هذه المادة تمثل جزءا من الإنسان لا ينفصل عنه ، ولا

---

(١) محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامى العربى ، مرجع سابق ، ص١٦٢.

(2) D. .Mcluall .Communication , Longman New York 1980. pp 164-160.

(٣) سيرج برو وفيليب بروتون : ثورة الاتصالات أيديولوجية جديدة ترجمة : هالة عبد الرؤوف مراد (القاهرة، دار المستقبل العربى، ١٩٩٣) ص٢٥٦.

يمكن فهم الإنسان بعيدا عن فهم ثقافته خاصة الشعبية وفى ظل تعاظم إعلام العولمة – المرئى منه على وجه الخصوص – يؤكد بعض الباحثين على أن الصورة سوف تلعب دورا كبيرا فى تصحيح الوعى وجعله يرتبط بما يعرض من صور ومشاهدات ذات طابع إعلامى ، مثير للإدراك مستفز للانفعال ، حاجب للعقل.

وبالسيطرة على الإدراك يتم " إخضاع النفوس " أعنى تعطيل فاعلية العقل ، وتغييب المنطق والتشويش على نظام القيم ، وتوجيه الخيال ، وتنميط الذوق وقولبة السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع : معارف إشهارية تشكل فى مجموعها ما يمكن أن نطلق عليه " ثقافة الاختراق " [1]

إن الصورة هى اليوم المفتاح السحرى للنظام الثقافى الجديد : نظام إنتاج وعى الإنسان بالعالم إنها المادة الثقافية الأساسية التى يجرى تسويقها على أوسع نطاق جماهيرى ، وهى تلعب – فى إطار العولمة الثقافية – الدور نفسه الذى لعبته الكلمة فى سائر التواريخ الثقافية التى سلفت، لا تحتاج الصورة دائما إلى المصاحبة اللغوية كى تنفذ إلى إدراك المتلقى فهى – بحد ذاتها – خطاب ناجز مكتمل، يمتلك سائر مقومات التأثير الفعال فى مستقبله أو قل هى نفسها لغة تستكفى بذاتها فستغنى عن الحاجة إلى غيرها [2]

إن صيرورة الصورة سلطة رمزية قادرة على تصعيد الإدراك الثقافى العام مما يعنى أن النظام السمعى والبصرى (نظام ثقافة العولمة)

---

(١) محمد عابد الجابرى : العرب والعولمة (بيروت ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٣ ، ٢٠٠٠) ص ٢٩٨

(٢) عبد اللاه بلقزيز : العرب والعولمة ، المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

أصبح المصدر الجديد الأقوى فى مجال إنتاج القيم والرموز وصناعتها وتشكيل الوعى والوجدان والذوق[1]

ومن هذا المنطلق ينبغى أن تحدد أنظمة الإعلام الفضائى العربى مفهوما للثقافة أو بمعنى أدق للبرنامج الثقافى فى ظل الوظيفة أو الهدف التى تعمل من أجله ، لابد أن تميل المعالجات الثقافية فى هذه البرامج إلى العمق والتنوع ، إلى الاتساع والتبسيط ، والاهتمام بالشكل الفنى الذى يملك الجاذبية والإقناع فى نفس الوقت . وهنا يؤكد الباحث على ضرورة دعم ومساندة الثقافة الشعبية فى هذه الأنظمة بما يضمن تعميق الهوية والانتماء .

عولمة الإعلام .. بدائل وخيارات ..

لا شك أن تكنولوجيا الاتصال قد وفرت عددا غير محدود من الفرص أمام الجمهور للانتقاء من بين وسائل الإعلام التقليدية والحديثة . على أن هذه التعددية والخيارات المفتوحة لا تعنى التدفق الحر للمعلومات، وحرية التلقى ، فهناك فرق بين الحق فى الاتصال ، والقدرة على ممارسة هذا الحق من النواحى الاقتصادية والثقافية [2] والإشكالية أن تعددية وسائل الاتصال والمعلومات على أرضية الانقسام الاجتماعى والثقافى من الممكن أن تعمق من هذا الانقسام لصالح الطبقات والفئات المهيمنة [3]

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٣١٥

(٢) محمد شومان : عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية ، بحث مقدم إلى ندوة العولمة ، وقضايا الهوية الثقافية (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ،١٢ -١٦ أبريل ١٩٩٨) .ص ١٧

(٣) المرجع السابق نفسه ١٨

وعلى مستوى آخر يدور جدل ونقاش حول حقيقة توسيع الخيارات المتاحة للجمهور، وآثار عولمة الإعلام حيث يرى فريق من الباحثين أن التعددية والوفرة في وسائل الاتصال خاصة قنوات التليفزيون، وما تقدمه من برامج ومضامين لا تقدم تنوعا حقيقيا ، وأشار هؤلاء إلى أن آلية التركيز والتكامل الرأسى ستجعل هناك أقلية تسيطر على إنتاج المضامين والصور مما سيقلص فرص التنوع الحقيقى[1] نضيف إلى ذلك أن وجود متلقى قادر على الاختيار الواعى من بين ما يقدم له عملية أصبحت فى الندرة.

وفى المقابل يرى فريق من الباحثين أن عولمة الإعلام تحمل إمكانيات ورهانات متعددة بشأن المستقبل وأن مثل هذه الإمكانيات تتوقف على متلق واع يأخذ من العولمة ما يضمن له الحفاظ على ثقافته وذاتيته وهويته.

وهناك فريق ثالث من الباحثين يراهن على تطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ، وانخفاض تكلفة امتلاكها واستخدامها بما يسمح بدعم حقوق الاتصال للجماعات الصغيرة وللأقليات داخل المجتمعات من خلال إيجاد إعلام مواز أو مقاوم لإعلام الحكومات ولإعلام الشركات الإعلامية العملاقة متعددة الجنسيات ولا شك أن مثل هذا الرهان مرتبط أساساً بمدى تطور المجتمع المدنى والإقرار بوجوده ، ودوره كطرف فاعل فى بنية النظام وتحديد مسار تطوره[2]

وهكذا نرى أن الجدل والنقاش المصاحب لعولمة الإعلام جدل نظرى يفتقر إلى البحوث والدراسات الميدانية ، وهذا يعنى أن الاقتراب من عولمة

---

(١) محمد شومان : عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامى العربى ، مرجع سابق ، ص ١٧١.

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٢ .

الإعلام ينبغى أن يتجرد من المواقف والتوجهات المسبقة ، ينبغى أن يبتعد عن التعصب والانفعال أن ينطلق من الموضوعية.

إن عولمة الإعلام هى مجموعة من الفرص رغم كل ما يقال عن تحدياتها .

الإعلام العربى .. المشهد الراهن ..

عند الاقتراب من دوائر الإعلام العربى يمكن ملاحظة ما يلى:

أولا: هناك قصور واضح فى تحقيق – أو حتى إمكانية تحقيق – تكتل إعلامى عربى يربط بين الغايات والإمكانيات، وبين الشعارات والممارسات ، وأعتقد أن مثل هذا الفشل هو نتيجة منطقية لتبعية الإعلام للسياسية ، وكلنا نعرف أن المناخ السياسى العربى يموج بالاختلافات التى تصل فى بعض الأحيان إلى حد الانقسام.

إن الاستخدام المتزايد لوسائل الإعلام من قبل القوى السياسية قد يعنى بالنسبة للإعلام العربى الكثير من القيود ، سيحول بينه وبين دوره الأساسى فى دفع المجتمعات العربية خطوات على طريق المعرفة .

ثانيا: على الرغم من إدراكنا لأهمية الإعلام ودوره فى الحفاظ على هويتنا العربية إلا أن هناك قصور أو بمعنى أدق غياب تنظيرى للقضايا التى يطرحها إعلام عصر المعلومات ، وانعكاساته على واقعنا العربى . ولاشك أن هناك قصور فى البحوث النظرية فى مجال الإعلام العربى فضلا عما تدين به العديد من أكاديميات الإعلام العربية لتبعيته المدارس الغربية (١)

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع كلمة د. فتحى سرور رئيس مجلس الشعب فى افتتاح المؤتمر العاشر لكلية الإعلام " الإعلام المعاصر والهوية العربية ، أبحاث المؤتمر ، ج١(القاهرة ، كلية الإعلام ، الثلاثاء ٤ مايو ٢٠٠٤) ص ١-١٦ .

ثالثا: يشكو إعلامنا من تناقض جوهرى ، بعد أن تخلى عن مهمته التنموية الأساسية ليسوده ، طابع الترفيه على حساب المهام الأخرى ، ويقصد بها مهام التعليم ، والتوعية الثقافية ، وإعادة إحياء الإرادة الجماعية للمشاركة فى العمل الاجتماعى ومن قبيل الإنصاف، فإن إعلامنا شأنه فى ذلك شأن معظم نظم الإعلام فى دول العالم الثالث ، يعمل تحت ضغوط سياسية واقتصادية تنأى به عن غاياته التنموية البعيدة المدى (١)

رابعا: نصوص دستورية تؤكد على مبدأ حرية التعبير وتفرغ من مضمونها بعبارات ناسفة تذيلها من قبيل : " بما لا يتعارض مع المصلحة العامة " و " بمقتضى القانون " (٢)

خامسا: تأتى ظاهرة تسرب نسبة هائلة من المواطنين العرب إلى منافذ الإعلام الأجنبية فى مقدمة الاتهامات المقدمة إلى الساحة الإعلامية العربية فهؤلاء - ومعهم كل الحق - قد فقدوا الثقة فى إعلامهم العربى نتيجة عدم مصداقية الطرح ، ومحاولة فرض نوع من التعتيم على الإحداث ، خاصة فيما يتعلق بالأحداث السياسية وقضايا الفساد .

سادسا: تدفق إعلامى غائب أو شبه غائب ما بين الدول العربية، فقد ظلت حركة الإعلام العربى المشترك ضعيفة فى بلوغ الأهداف القومية ، وسيطرت المصالح القطرية على تحديد مجال حركة الإعلام العربى المشترك(٣)

سابعا: اهتمام محدد للغاية من قبل الإعلاميين العرب بما يمكن أن يضيفه الإعلام إلى دوائر التنمية المختلفة ، فقد غاب عن هؤلاء هذا الدور الإعلامى الهام .

---

(١) نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص ٣٤٧

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥٩.

(٣) كلمة فتحى سرور فى افتتاح المؤتمر العاشر لكلية الإعلام مرجع سابق ، ص ٩.

ثامنا: أما القطاع الفضائى العربى فهو الحاضر الغائب – لم يضف كثيرا إلى إعلامنا التقليدى – معظمه مهاجر فى غير موطنه يستورد أكثر موارده من الغير ، وهذا يعنى غياب الرؤى المستقبلية التى تنظر إلى القطاع الفضائى باعتباره إضافة إلى واقع المجتمعات العربية .

إن إعلامنا العربى كما تؤكد المؤشرات يأتى فى ذيل قوائم الإحصاءات الإعلامية الصادرة عن مؤسسات وهيئات دولية .. إنه لم يرتفع بعد إلى مستوى الرسالة التى يحملها تجاه مجتمعاته. إنه يواجه مأزقاً رباعى الجوانب [1]

مأزقا سياسيا : فى كيف يوفق بين عولمة الإعلام ، وسيطرة الدولة ورغبات جماهير

مأزقا اقتصاديا : فى كيف يتنافس فى عصر الإعلام الضخم ، وارتفاع كلفة بناه التحتية .

مأزقا ثقافيا : فى كيف يصبح درعا ضد ما يهدد هويتنا وقيمتنا وتراثنا .

مأزقا تنظيما : فى كيف تكسب مؤسساتنا الإعلامية المرونة التنظيمية والكفاءة الإدارية والفنية تلبية لمطالب إعلام عصر المعلومات وديناميات الهادرة.

لقد دخلت وسائل الاتصال كل بيت ، وأخذت تلعب دورا هاما فى وعى المتلقى ، والتأثير فى مفاهيمه وقيمه وعاداته وتقاليده وطغت على مكونات الوعى الأخرى كالأسرة والمدرسة والمجتمع ، وغدت الوسيلة الأهم فى تكوين الفرد ومزاج المجتمع ، والمشارك الرئيسى فى تحديد ملامح سلوك الناس وحياتهم اليومية ، ولعل هذا الطغيان الاتصالى لم يكن بمثل هذا الاتساع والشمول وقدرة التأثير والمشاركة فى أى مرحلة من مراحل التاريخ

---

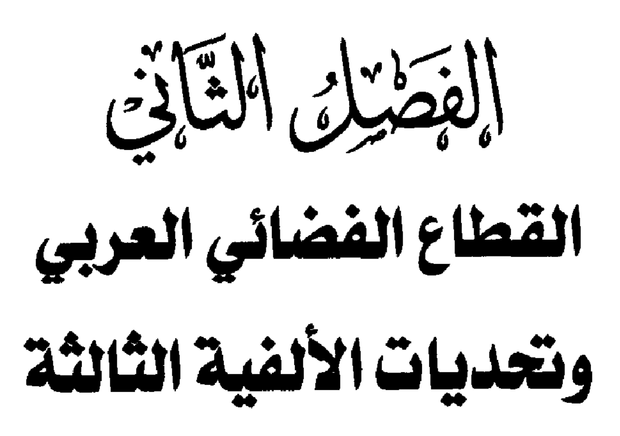
(١) نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، مرجع سابق ، ص٣٦٠

الإنسانى كما هو اليوم ، والمحصلة أصبحت وسائل الاتصال ورسائلها جزء من نسيج المجتمع وحياته فى كل مكان من عالمنا [1]

وأمام هذا الواقع توجهت مجموعة من المؤسسات الإعلامية إلى البث الفضائى وتأسيس قنوات خاصة جديدة لمحاولة تلبية رغبات الجمهور العربى من جهة ولتبليغ الخطاب العربى إلى الجمهور العالمى.

---

(١) حسين العودات: السياسات الإعلامية العربية ، الواقع والآفاق (دمشق، العهد العربى للدراسات الإستراتيجية ، أكتوبر ١٩٩٦) ص ٣٧



الفصل الثاني

القطاع الفضائي العربي
وتحديات الألفية الثالثة

الفصل الثانى

القطاع الفضائى العربى .. وتحديات الألفية الثالثة

مقـــدمة :

يعيش العالم الآن مرحلة جديدة من التطور التقنى ، حيث امتزجت نتائج وخلاصة ثلاث ثورات هى : ثورة المعلومات وثورة وسائل الاتصال المتمثلة فى تقنيات الاتصال الحديثة ، وأخيرا ثورة الحاسبات الإلكترونية التى امتزجت بكل وسائل الاتصال واندمجت معها (١) وقد أدت الثورة التكنولوجية الهائلة فى مجال المعلومات والاتصال إلى تعدد وسائل الإعلام ، وتزايد قدرتها على جمع المعلومات وتوزيعها ، ولم يعد دورها يقتصر على نقل المعلومات فقط ، بل أصبحت تلعب دورا فى رسم الصور للشعوب والدول والمنظمات على حد سواء (٢)

وكان من الطبيعى أن تبادر المنطقة العربية إلى التعامل مع المتحدثات الاتصالية ، وبمقتضى الاتفاقية التى تم التوقيع عليها فى ١٤ أبريل (نيسان) عام ١٩٧٦ قامت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية .. كمنظمة ذات شخصية قانونية مستقلة فى إطار جامعة الدول العربية ، وحددت الاتفاقية أهداف المؤسسة بأنها توفر وتشغل قطاع فضائى عربى للخدمات العامة

---

(١) سعيد محمد النجار : " أثر التكنولوجيا فى تطوير فن الصورة الصحفية" ، رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ، ١٩٩٨) ص ٣٥.

(2) Riffinand. Micochel (1995). Picturing the Gulf war constructing on image of wan in time & "News week" journalism and mass communication Quarterly, Vo1. 7, No, 4. pp.813.

والمتخصصة فى مجال الاتصال لجميع الدول العربية الأعضاء فى الجامعة ، ومقر المؤسسة هو مدنية الرياض .

وقد أطلقت هذه المؤسسة أول أقمارها من الجيل الأول لعربسات فى عام ١٩٨٥ ، وتوالى بعد ذلك إطلاق الأقمار الصناعية من الجيل الأول ، والثانى والثالث .. وازداد نطاق تعامل القنوات العربية مع الأقمار الصناعية العربية ، خاصة بعد أن أطلقت الشركة المصرية للأقمار الصناعية أول أقمارها المخصصة للاتصالات الفضائية " نايل سات ١٠١-" فى الثامن والعشرين من شهر أبريل من عام ١٩٩٨ ، وأعقب ذلك إطلاق عدد كبير من القنوات الفضائية العربية التى يزداد عددها يوما بعد يوم.

وإذا كان القرار الخاص بإطلاق قمر صناعى عربى قد انطلق فى البداية من قاعدة سياسية تفتقر إلى الدراسات الكافية ، إلى ما يمكن أن يحققه التواجد العربى فى الفضاء العالمى من نقلة حضارية، وسياسية تدعم خطط التنمية المختلفة فى البلدان العربية ، وتشكل أحد الهياكل الأساسية لبناء الوحدة العربية هذا إلى جانب الحد من النفوذ الغربى وسيطرته على قنوات الاتصال .

إلا أن هذا المشروع هو أول تجربة عملية من نوعها على المستوى العربى تهدف إلى دعم الثقافة العربية المشتركة ، وهذا ما عبر عنه د. سعيد بلبشير وزير الثقافة السابق فى المغرب بقوله : "إن مشروع القمر الصناعى العربى هو أخطر المشروعات القومية المشتركة التى قامت بين الدول العربية ولا تكمن أهمية هذا المشروع فى جوانبه التكنولوجية ، أو فى الاستثمارات التى وضعت فيه ، وإنما ترجع أساسا لكونه قناة ثقافية تصل فيما بين بلدان المنطقة العربية [1]

---

(١) اتحاد إذاعات الدول العربية : " تقارير بعثات الخبراء الخاصة بالشبكة الفضائية العربية" (تونس ، ١٩٨٤) ص ٢٠.

وتعد الفضائيات العربية تجسيدا للتواجد العربى فى عصر السموات المفتوحة الذى أصبح فيه الفضاء مفتوحا لإطلاق قنوات فضائية جديدة كل يوم ، ومسرحا لمنافسة إعلامية ضارية بين تلك القنوات ، التى هى فى الواقع بين دول لإثبات وجودها على الساحة الدولية ، وفى الفضاء الخارجى.

الفضائيات العربية .. النشأة والتطور:

القناة الفضائية هى : مد الحدود الاتصالية إلى ما وراء الحدود الجغرافية والسياسية ، بصرف النظر عن الظروف المكانية ، والعوائق الطبيعية وبعد المسافات [1]

وقد أثرت بعض الأحداث السياسية التى شهدتها المنطقة العربية فى مسار الإعلام العربى، وعلى سبيل المثال كانت حرب بالخليج خطوة هامة وفاعلة على طريق العلاقة بين الإعلام العربى وسياسته والمتغيرات المتلاحقة التى عرفت طريقها إلى الإعلام العالمى ، فى ظل سقوط الحواجز الاقتصادية والثقافية والتجارية .

فقد أدت هذه الحرب إلى إحداث تحولات كبيرة فى الاتجاه نحو البث التليفزيونى فى المنطقة العربية ، وأجبرت أولى الأمر على إعادة التفكير فى استخدام القمر الصناعى العربى " عرب سات" حيث أدت التغطية الوحيدة والفورية والمفصلة لشبكة الكوابل الإخبارية الأمريكية (CNN) لأهم الأحداث المثيرة التى حدثت أثناء تلك الأزمة إلى تدفق مرئى غير مسبوق للمعلومات ، بدأ من الصعوبة بمكان مقاومته ، سواء من جانب صنّاع السياسة ، أما بالنسبة لكثير من المواطنين المنبهرين بهذه التغطية الفريدة فى كثير

---

(١) انشراح الشال : قنوات للتلفزيون فضائية فى عالم ثالث (القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٣) ص١٧.

من هذه الأقطار لقد أيقظت شبكة (CNN)ملايين من الناس فى المنطقة العربية على حقيقة مؤداها : إتاحة بث فضائى قيم Worthy يختلف عن التدفق الممل لتليفزيون الدولة الرسمى Dull out Pouring of state .T.V[1] ويلاحظ أن إنشاء القنوات التلفزيونية الفضائية العربية قد جاء سريعا ويكتفيه الكثير من الحماس المشوب بضبابية الرؤى[2]. كما أنه تقليدا أو محاكاة لما يجرى فى العالم ، ولما هو سائد فيه ، أو اندهاشا بثورة الاتصالات ، أو سعيا وراء دعاية للنظام السياسى أو للبلد العربى المعنى وفى كل الأحوال فقد جاء بمثابة رد فعل متسرع للتواجد المكثف لـ " القنوات التليفزيونية الأجنبية " فلم تأخذ الكثير من تلك القنوات حظها من الدراسة لمدى جدواها ، وطبيعة أهدافها وحاجات جمهورها المستهدف[3]

لقد سلك الوطن العربى مسلك الدول الأخرى فى العالم ، وأقام قنوات فضائية موجهة لجمهور معين على اعتبار أن التليفزيون قناة ثقافية هامة[4]

---

(1) Mohammed I.A Yish, Ali Qassim; Direct Satellite broadcasting in the Arab Gulf Region :Trends and Policies (Gazetle Vo156, 1995) P.23

(٢) محمد إبراهيم عايش : التأثيرات المحتملة للبث التليفزيونى المباشر على نظم التلفزيون الوطنية فى المنطقة العربية ، بحث مقدم إلى ندوة : " تأثير البث المباشر فى منطقة الخليج العربى (العين ، جامعة الإمارات ، قسم الإعلام ١٩٩٤) نقلا عن:
مجلة تليفزيون الخليج ، العدد (٢) ١٩٩٤) ص ٤٢ .

(٣) سامى الشريف : القنوات الفضائية العربية ، والحفاظ على الهوية ، بحث مقدم إلى ندوة : " الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى (القاهرة ، مركز صالح كامل ، رابطة الجامعات الإسلامية ، ١٩٩٨) ص٢٠ .

(٤) جيهان رشتى : النظم الإذاعية فى المجتمعات العربية (القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٧) ص ٧ .

وذلك منذ عام ١٩٨٥ ، إذ أنشأ لهذا الغرض مؤسسة للاتصالات الفضائية التى قامت بإطلاق القمر الصناعى العربى مصحوبا بقمرين صناعيين احتياطيين فى الفضاء ، وكان هناك قمر ثالث احتياطى موجود على الأرض ، لتفادى أى خلل قد يحدث ، وخلال عام ١٩٩٢ كان العمر الافتراضى قد انتهى لاثنين من هذه الأقمار حيث دخل القمر الثالث مجال التشغيل فى الفضاء عام ١٩٩٣ ولهذا القمر عمر افتراضى مدته عشر سنوات [1]

لقد ساهم القمر الصناعى العربى فى الدفع بالدول العربية لتأسيس المزيد من القنوات الفضائية ، والملاحظ أن عمليات تأسيس الفضائيات العربية صاحبه اتساع لأنشطة وفعاليات المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات) إذ أصبحت تمتلك قمرين فضائيين الأول يتسع ٢٨ قناة تستخدم للبث الإذاعى والتلفزى وخدمات الهاتف، والثانى مهمته قاصرة على البث التليفزيونى .

وازداد نطاق تعامل القنوات العربية مع الأقمار الصناعية العربية ، خاصة بعد أن أطلقت الشركة المصرية للأقمار الصناعية أول أقمارها المخصصة للاتصالات الفضائية " نايل سات ١٠١- " فى الثامن والعشرين من شهر أبريل من عام ١٩٩٨ ، وأعقب ذلك إطلاق عدد كبير من القنوات الفضائية العربية التى يزداد عددها يوما بعد يوم .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول : الأفكار المطروحة للتنسيق والتعاون العربى فى مجال استخدام القنوات الفضائية يمكن الرجوع إلى:
اتحادات إذاعات الدول العربية : ندوة " التعاون والتنسيق العربى فى مجال استخدام القنوات الفضائية "(البحرين ،٤- ٥ أبريل ١٩٩٥) فى : سلسة بحوث ودراسات إذاعية (تونس ، اتحادات إذاعات الدول العربية ، العدد (٢) ، ١٩٩٥) ص ٤١

وقد بدأت مصر بإطلاق قناة تليفزيونية فضائية باستخدام الحزمة " إس" غزيرة الإشعاع على أقمار "عربسات " فى ديسمبر ١٩٩٠ ، ثم توالى بعد ذلك إطلاق القنوات الفضائية العربية الأخرى حتى أصبح لكل دولة عربية قناة فضائية أو أكثر تابعة للهيئة التليفزيونية الرسمية أو لوزارة الإعلام مباشرة ، كما انطلقت قنوات أخرى من جانب مؤسسات عربية غير رسمية من مراكز بث خارج المنطقة العربية ، ولو أن مجال بثها يشمل المنطقة العربية أساسا ، وتخصصت بعض هذه القنوات فى نوعيات معينة من البرامج كما تجمع بعضها فى شكل "حزم" ضمن قنوات غير عربية

ويرجع تاريخ الفضائيات العربية إلى أواخر عام ١٩٩٠ الذى شهد انطلاق أول قناة فضائية عربية حكومية وهى" القناة الفضائية المصرية(الأولى) التى كانت البداية نحو انطلاق قنوات فضائية عربية عديدة ومتنوعة، سواء كانت قنوات حكومية، أم قنوات خاصة ، بل إن الملفت للنظر هو تزايد عدد القنوات الفضائية العربية بوضوح فى السنوات الأخيرة، فبعد أن كان عددها يقدر بعشرين قناة فى منتصف التسعينات تجاوز عددها الآن المائة بكثير الأمر الذى أدى إلى زيادة حدة المنافسة بين الفضائيات العربية .

ولاشك أن خارطة القنوات الفضائية العربية " فسيفساء" ذات ألوان مختلفة حيث يمكن تصنيفها إلى عدة تقسيمات مختلفة على النحو التالى [1]

---

(١) لمزيد من التفاصيل : التقرير السنوى حول وضع البث الفضائى العربى فى المنطقة العربية وخارجها (القاهرة ، جامعة الدول العربية، الإدارة العامة لشئون الأعلام ، اللجنة الدائمة للإعلام ، الدورة (٦١) ، من ٢٧-٢٩ ديسمبر ١٩٩٧) ص ٤١-٦٢

أولا: من حيث الملكية تنقسم إلى :

أ- قنوات فضائية عربية "حكومية" .

ب- قنوات فضائية عربية "خاصة" .

ثانيا : من حيث " نوع البرامج" تنقسم إلى :

أ- قنوات فضائية عربية " عامة "

ب- قنوات فضائية عربية " متخصصة"

ثالثا: من حيث "نوع البث" تنقسم إلى :

أ- قنوات عربية فضائية ذات بث مفتوح .

ب- قنوات عربية فضائية ذات بث مشفر .

رابعا: من حيث " لغة البث " تنقسم إلى :

أ- قنوات عربية تبث باللغة العربية إلى جانب بعض لغات أخرى أجنبية .

ب- قنوات عربية تبث باللغات الأجنبية فقط .

خامسا : من حيث نطاق " التغطية الجغرافية " تنقسم إلى:

أ- قنوات فضائية عربية تغطى المنطقة العربية ويمتد إرسالها إلى مناطق خارج المنطقة العربية .

ب- قنوات فضائية عربية تغطى المنطقة العربية فقط .

ويوضح الجدول التالى أهم القنوات الفضائية العربية " العامة" التى تنتمى إليها قناتا الدراسة :

جدول رقم (١)

أهم القنوات الفضائية - العامة - (*)

القناة الفضائية المصرية	قناة البحرين الفضائية
قناة النيل الدولية المصرية	القناة الفضائية العمانية
قناة المحور المصرية	التليفزيون الموريتانى
قناة دريم المصرية الأولى	القناة الفضائية القطرية
قناة دريم المصرية الثانية	قناة جيبوتى الفضائية
القناة المغربية	قناة العراق الفضائية (**)
القناة الفضائية الليبية	القناة العامة لراديو وتليفزيون العرب
القناة الفضائية السودانية	مركز تليفزيون الشرق الأوسط MBC

(*) القنوات " العامة " هى تلك التى تقدم مضموناً متنوعاً للمشاهد، حيث تنوع المواد الإعلامية المقدمة ما بين : الأخبار ، الدراما ، المواد الثقافية الدينية الترفيهية ، المنوعات . وتنتمى معظم الفضائيات العربية إلى هذا النوع. فى حين أن القنوات " الخاصة " هى التى تهدف إلى مخاطبة جمهور معين ، بتقديم مواد إعلامية بعينها ، وتنقسم هذه القنوات إلى :

- قنوات متخصصة من حيث المضمون .
- قنوات متخصصة من حيث الجمهور المتلقى للخدمة .

(**) يلاحظ أن الفضائية العراقية توقفت عن البث أثناء الاحتلال الأمريكى ثم عادت بعد ذلك ومعها مجموعة أخرى من الفضائيات العربية.

القناة الفضائية الجزائرية	تليفزيون المستقبل Future
تليفزيون المملكة العربية السعودية .ق١	القناة الفضائية الكويتية
تليفزيون المملكة العربية السعودية ق٢	قناة دبي الفضائية
قناة الأندلس والسعودية	قناة أبو ظبي الفضائية
قناة فلسطين الفضائية	قناة الشارقة الفضائية
قناة المنار اللبنانية	قناة عجمان الفضائية
قناة LBC اللبنانية	قناة الإمارات الفضائية
تليفزيون لبنان الجديد	القناة السابعة التونسية
القناة الفضائية السورية	القناة الأردنية الفضائية
القناة الفضائية اليمنية	قناة أوربت الثانية

أما فيما يتعلق بالقنوات الفضائية " الحكومية " أو الرسمية كما يطلق عليها ، لكونها تعبر عن الموقف الإعلامى الرسمى للدول التى تنتمى إليها ، ومعظمها قنوات تفتقر إلى أهم معايير الإعلام المعاصر المتمثلة فى : تقنية الاتصال والكوادر الإعلامية المؤهلة وهامش الحرية والجدول التالى يرصد أهم هذه القنوات (*) :

(*) وتجمع هذه القنوات مجموعة من السمات المشتركة يتمثل أبرزها فى : =

- معظمها موجود على القمر الصناعى العربى "عربسات" ، يغطى بثها الوطن العربى ، ويتسع إلى المنطقة الموسعة التى يشملها هذا القمر ، فى حين يمتد البث إلى " قارة أوروبا " بالنسبة للقنوات التى تستخدم أقمار أخرى ، مثل " يوتلسات " ، " انتلسات " .
- جميع هذه القنوات تستهدف المشاهد العربى أينما كان ، وتستخدم اللغة العربية لبث براجها – عدا قناة النيل الدولية ، والقناة السعودية الثانية – مع تخصيص بعضها لفترات براجية للبث باللغات الأجنبية : الفرنسية ، الإنجليزية ، الإسبانية ، الألمانية .
- تعتمد معظم هذه القنوات على إعادة بث البرامج الموجهة إلى المشاهد المحلى، باستثناء بعضها ومنها: مصر والأردن ودبى التى تعتمد على " خريطة براجية منفصلة " ، ومخصصة للبث التليفزيونى الفضائى .
- تحتل البرامج المستوردة نسبة كبيرة فيما تبثه معظم هذه القنوات، فتصل مثلا إلى "٨٠٪" فى كلاً من: القناة الفضائية السعودية ، القناة الفضائية الكويتية ، و"١٥٪" فى القناة الفضائية الأردنية.
- تتصدر الأفلام والمسلسلات غالبية نسبة البث فى معظم هذه القنوات ، وأعلى نسبة من ذلك تبثها القناة الفضائية المصرية ، "١٣.٤٪" فى حين تنفرد قناة أبو ظبى الفضائية فى بث أعلى نسبة من البرامج الثقافية والوثائقية ، وصلت "١٦٪" من إجمالى البث البراجى . وقد استحوذت القناة الفضائية المصرية على بث أعلى نسبة من البرامج الترفيهية ، شكلت " ١٨.٣٩٪ " من إجمالى البث البراجى . لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :

جدول رقم (٢)

أهم القنوات الفضائية -الحكومية- أو الرسمية كما يطلق عليها

القناة الفضائية المصرية	قناة عجمان الفضائية
قناة النيل الدولية المصرية	قناة دبى الفضائية
مجموعة قنوات النيل المتخصصة المصرية	قناة الشارقة الفضائية
القناة المغربية	قناة أبو ظبى الفضائية
القناة الفضائية الليبية	القناة الفضائية القطرية
القناة الفضائية السورية	القناة الفضائية اليمنية
القناة الفضائية الجزائرية	القناة الفضائية الأردنية
القناة السابعة التونسية	القناة الفضائية الفلسطينية
القناة السعودية الثانية	القناة الفضائية العراقية
القناة الفضائية السودانية	قناة جيبوتى الفضائية
القناة السعودية الأولى	التليفزيون الموريتانى
القناة الفضائية الكويتية	قناة الإمارات الفضائية
قناة البحرية الفضائية	القناة الفضائية العمانية

- عبد الرحمن الشامى : استخدامات القنوات التليفزيونية المحلية والدولية، رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، قسم الصحافة والإعلام ، ٢٠٠٠) ص ١١٥.
- سامى الشريف: القنوات الفضائية العربية والحفاظ على الهوية، بحث مقدم إلى ندوة " الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى " (القاهرة مركز صالح كامل ، رابطة الجامعات الإسلامية ، ١٩٩٨) ص ص ١٨ – ١٩ .

ولا شك أن معظم القنوات الفضائية خرجت لمجرد التواجد على المساحة الفضائية ليس إلا فالمتابع لهذه القنوات – على اختلاف توجهاتها – لا يجد لها أهدافا استراتيجية تسعى لتحقيقها، بل إن بعضا منها لا يقوى على ملء ساعات إرسالها إلا بإنتاج مستورد لا يعبر عن هويتها، ولا يعكس ثقافة المجتمعات التي تملكها [1] ، فالإنتاج المستورد هو غالبا غير منتج لنا بالذات، أو موجه لنا خصيصا ، بل لنا ولغيرنا لأنه يحمل طابع الكونية Globalization فقد أنتج لكل المجتمعات ، ولا يمكنه إلا أن يكون بعيدا عن المتلقي العربي ، يعرض قضايا قد لا تمت إليه مباشرة ، وتتجاهل الزمان والمكان والظروف، كما أن هذا المنتج يمكن أن يكون هشا أمام الإنتاج المحلي المتوازن الذي يتناول هموم الناس، ويحدثهم بلغتهم ، ويحترم أذهانهم ، ويفهم تقاليدهم وشئونهم ، ويستفيد من الموروث الثقافي والحضاري للأمة وهو موروث غني وعميق الجذور، يمكنه أن يشكل أرضا صلبة تقف عليها وسائل الاتصال العربية لمواجهة الضار من التدفق الخارجي ، وما يحمله من غزو يؤدي إلى التبعية [2]

إن هناك غيابا واضحا للفلسفة التي تكمن وراء البث الفضائي العربي في معظمه .. كيف يمكن أن يوظف هذا البث في خدمة الثقافة العربية ؟وماذا عن الأهداف التي تسعى إلها مثل هذه الفضائيات ؟ إن تحديد الهدف يضبط

---

(١) سامي الشريف : القنوات التليفزيونية المتخصصة ، رؤية نقدية ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام (القاهرة، كلية الإعلام ، العدد (٥) يناير / أبريل ١٩٩٩) ص ١٨٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :
حسين العودات : كيف نجعل القنوات الفضائية أداة للتعريف بالثقافة العربية والإسلامية (تونس، المنظمة العربية للتربية الثقافة والعلوم إدارة برامج الثقافة والاتصال ، ١٩٩٨) ص ٢٦-٤٨.

إيقاع العمل ومنهجيته ، وشروطه ، كما يؤدى إلى احتمال نجاحه ، وهذا ما نريده للفضائيات العربية ، حتى تكون وسيلة تطوير وبناء.

إن هذه القنوات ينبغى أن تلعب دورا فى خدمة الثقافة العربية بكل ما يعنى ذلك من حماية لتراث الأمة وجذورها .. ينبغى أن تساعد هذه الفضائيات كل ما هو عربى .

وقد أصبحت لهذه الفضائيات العربية بنية أساسية معقدة فى ملامحها ومتنوعة فى خصائصها، ومتزايدة فى نموها من الناحية الكمية على الأقل الأمر الذى أدى إلى ازدحام خريطة البث التليفزيونى بكم هائل من القنوات الفضائية العربية التى تتعدد برامجها وساعات إرسالها ، ونوعية الجمهور الذى يشاهدها فقدت شهدت المنطقة العربية انطلاق " ٥٥ " محطة فضائية عربية جديدة خلال الأشهر الثمانية عشرة الماضية ليصل العدد الإجمالى إلى " ١٥٥ " محطة فى متناول الجميع ، وذلك بحسب دراسة أجرتها مجلة "الاستشاريين العرب" وقد أضافت الدراسة إلا أن الدلائل تشير إلى أن هذا العدد الكبير من المحطات الفضائية لم يسفر عن أى تغيير فى مستوى معايير البث التليفزيونى العربى، على العكس تماما فمن خلال تسليط الدراسة الضوء على العديد من مكامن التميز أشارت إلى أنه لا تزال هناك فجوات متعلقة بالمحتوى الذى تقدمه هذه القنوات [1]

---

(١) الفضائيات العربية ، غياب الرؤية (مجلتى الإلكترونية) بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠٠٥ فى موقع:

www.bab.com. Sa/ news-comments/full_news.

وفى هذا الصدد أكد د. عاطف العبد أن عدد الفضائيات العربية قد وصل إلى " ٢٢٢ " قناة من بينها " ٢٣ " قناة غنائية تعرض من المنوعات ما قد يتعارض والقيم السائدة فى المجتمعات العربية (*)

وعلى الرغم من تزايد المحطات الفضائية العربية على نحو لافت للنظر لم نفكر حتى الآن بتأسيس اتحاد عربى للفضائيات العربية أو فضائية عربية واحدة على أقل تقدير لمخاطبة العقل الغربى والمستهلك العالمى للمادة الإعلامية ، بحيث تعكس وجهات نظرنا فى الأحداث لكى نعرف العالم بثقافتنا ، وحقيقة العقل العربى : تراثه ، وآفاقه ، وهواجسه (١)

إن الحاجة اليوم ماسة إلى فضائية عربية منفلتة من تحديات المحلية ومستقلة بنفسها عن التبعية للفضائيات الغربية .. فضائية تمتلك من الشجاعة والثقة بالنفس ما يكفى لاعتماد اللغات الأجنبية بها كى نتمكن من إيصال صوتنا إلى العالم ، ونقنع الجمهور أينما كان بحقيقة مواقفنا ومنظوراتنا وفهمنا لما يجرى حولنا .. علينا أن نمنع عملية تمثيلنا من قبل الآخرين عن طريق تمثلينا لأنفسنا ، وهذا الأمل مناط بهيئة عربية مقبولة من جميع الأطراف ، يمكن أن تجذب وتستثمر أذكى وأكفأ العقول المدربة تدريبا أكاديميا رفيعا يمكنها من إدارة هذا المشروع المنتظر .

(*) د. عاطف العبد: مدير مركز الرأى العام كلية الإعلام جامعة القاهرة فى حلقة من برنامج حالة حوار الذى يقدمه د. عمرو عبد السميع، حلقة الأربعاء ١٠/ ٥/ ٢٠٠٦ ، القناة الأولى .

(١) عمرو محمد سامى عبد الكريم : الإعلان التجارى فى الفضائيات العربية ، أبحاث المؤتمر العلمى الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام " الفضائيات العربية ومتغيرات العصر " (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٤) ص١٦٩

وأخيرا إن الفضائيات العربية أصبحت واقعا ملموسا لا يمكن القفز عليه وغدا لها من التأثير على المدى القريب والبعيد ما لا يمكن تجاوزه فهى بغض النظر عن الخلاف الثائر حولها ، والمآخذ عليها ، قد سدت فراغا كبيرا فى حياة المتلقى العربى ، إذا لولاها لغدا هذا المتلقى نهباً لقنوات أجنبية تبث له ما تريد ، وتشكل اتجاهاته بالكيفية التى تحقق مصالحها .[1]

القطاع الفضائى العربى .. التحديات الراهنة :

منذ مطلع حقبة التسعينات من القرن الماضى شهدت المنطقة العربية تطورات هائلة على صعيد التليفزيون كنتيجة للتطور التقنى الذى عرف طريقه إلى وسائل الاتصال الحديثة ، وهنا نؤكد على أن التعددية الإعلامية التى تعيشها المنطقة العربية تعتبر ظاهرة إيجابية حيث تتيح للمشاهد العربى التعرف على الثقافة العربية من خلال المادة الإعلامية التى تعرضها الفضائيات.

ومع انتشار الفضائيات فى عالمنا العربى ، توقع الكثير أن تسهم هذه الفضائيات فى دعم الوحدة العربية ، ورفع سقف الحرية ، ونشر الثقافة العربية ، وتقديم الأخبار الأكثر صدقا ، واحتراما لعقل المشاهد ، بل والانطلاق من أسر المحليات إلى فضاء العالميات والدوليات ، فلا يصبح المشاهد أسيراً لأخباره القطرية المصاغة بأحكام من القائمين عليها ، بل يصبح له مطلق الحرية فى انتقاء القناة التى تزوده بالخبر الصحيح أو الأكثر إقناعا على الأقل .

---

(١) محمد أحمد هاشم الشريف : البرامج الدينية فى القنوات الفضائية العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، قسم الصحافة والإعلام ، ٢٠٠٣) ص ١٢.

أمر آخر توقعنا أن تسهم فيه الفضائيات العربية وهو : كسر قاعدة أحادية المعلومات ، والأخبار التى تتدفق فى كل لحظة من دول العالم الصناعى إلى دول العالم الثالث ، لكن شيئا لم يحدث على أرض الواقع، ويعزو هذا الفشل من قبل الفضائيات العربية فى أداء دورها إلى أن الغرب الصناعى ما زال يحتكر الوكالات الأخبارية الأربعة الكبرى لبث الأخبار .

وهنا نؤكد على أن التنافس الشرس فى ميدان امتلاك تقنية الأقمار الصناعية واستخدامها فى البث التليفزيونى المباشر لا يأتى من فراغ ، وإنما يستند إلى قناعات عميقة لدى الحكومات ، والشركات العالمية الخاصة العاملة فى مجال الإعلام بأهمية هذه التقنية وإمكانية استخدامها فى سرعة انطلاقها عالميا ، خاصة والعالم يعيش فترة يسودها التحرر الاقتصادى ، والتجارى المطردان ، فترة تتقلص فيها المسافات وتختفى الحدود .

وتنظر الدول الكبرى إلى البث الفضائى كأحد الإنجازات الكبرى التى تحقق استراتيجيتها السياسية والثقافية ، وتدعم أفكارها الاقتصادية فهو إنجاز تحقق بجهد علمائها ، ومن ثم يجب حمايته هذا البث ودعمه بكل الطرق حتى ولو كان هذا على حساب دول وشعوب العالم الثالث ومن هذا المنطلق فقد أصبح البث الفضائى بمفهوم الغرب أحد عناصر التسلط الفكرى والثقافى الذى يمكن أن يؤثر – على المدى البعيد – فى هوية وثقافات دول العالم الثالث.

إن المحاولات المستمرة من قبل الدول المتقدمة للوصول إلى المجتمعات النامية عن طريق الفضائيات ، وعلى حساب تخلف دور وسائل الإعلام والثقافة التقليدية يؤدى إلى انعكاسات سلبية على القيم الثقافية والتربوية للدول النامية ، بالإضافة إلى ذلك يحدث نوع من خضوع تلك الدول لمزيد من

سيطرة الدول المصدرة للتكنولوجيا وأعتقد أن هذا تحد كبير يواجه الإعـلام الفضائى العربى .

وفى ظل المنافسة العالمية على عقـول وثقافـات البـشر يـصبح الـسعى إلى امتلاك الوسائل التى تحمى الخصوصية أمرا حتميا فقد ألغى البـث الفـضائى الحواجز الجغرافية ، وصار الإعلام - خاصـة المرئـى – أداة أساسـية فى بنـاء وتكوين الرأى العام العالمى .

وفى أكثر من مؤتمر دولى تعالت أصوات دول العالم النامى مناديـة بمزيـد من الحماية تجاه سياسة تصدير الثقافة الاستهلاكية التـى تتـدفق مـن الـدول المتقدمة من خلال بثها الفضائى ، وهذا يحدث فى غياب تـام ، وعـدم مراعـاة للمنطلقات التنموية والثقافية التى تحتاج إليها مجتمعات العالم الثالث .

إن الفضائيات العربية فى عصر تكنولوجيا الاتصال تواجه تحديات كثيرة وعليها أن تعى تماما الدور الذى ينبغى أن تلعبه خلال هذه المرحلة لابـد مـن إحداث تطوير فى مضمون وشكل البرامج التى تبثها حتى تستطيع الاحتفاظ بجمهورها ، وإشباع احتياجاته المتنوعة الأمـر الـذى قـد يغنيـه عـن متابعـة الفضائيات الغربية .

لابد من توفير الإمكانيات اللازمة لرفع كفاءة القطاع الفضائى العربـى حتى يستطيع تغطية كافة الأحداث السريعة والمتلاحقة التـى يـشهدها العـالم ويحرص المشاهد العربى على متابعتها. وهنا يجب الاعتراف بأن البث الفضائى الوافد استطاع أن يصل إلى كثير مـن العقـول العربيـة بمختلـف مـستوياتها الثقافية ويرجع ذلك إلى التقنيات المبهرة التى تقف وراء هذا البث .

والتحدى الأكبر الذى يواجه الفضائيات العربية يكمن فى هذا التساؤل .. إلى أى مدى سوف تنجح هذه القنوات فى مخاطبة الرأى العام الغربى الذى يحتفظ بصورة نمطية سلبية عن العرب ؟

وإذا كنا بصدد تبادل الأفكار حول دور الفضائيات العربية فى ظل المتغيرات الراهنة ، والمتوقعة فإن هذا يتطلب توجيه اهتمام خاص لبعض القضايا التى تحتاج إلى المزيد من الدراسة وتبادل الخبرات، ومنها على سبيل المثال [1]

أولا: استلهام الوسائل التى تساعد على زيادة قدرة إعلامنا العربى على تحسين الصورة العربية فى المجتمعات الأجنبية فى ظل بيئة إعلامية يسودها التنافس على سرعة الوصول إلى الجماهير ، وكثافة هذا الوصول .

ثانيا : محاولة التعرف على صيغ مبتكرة للتوفيق بين الوظيفة الإعلامية بوصفها رسالة ، والمنتج الإعلامى بوصفه سلعة ، فى ظل بيئة إعلامية عالمية تشهد ضخ أموال هائلة للاستثمار فى الأنشطة الإعلامية والمعلوماتية.

ثالثا: البحث عن سبل تعميق التفاهم والحوار بين الثقافات العربية والتقريب بينها من ناحية ، واحترام ذاتية كل مجتمع عربى وخصوصياته من ناحية أخرى .

ومثل هذه الأفكار يمكن أن تكون خطوات على طريق التحدى الذى يواجه الفضائيات العربية .إلا أن الخطوة الأكثر أهمية على هذا الطريق تكمن فى نجاح هذه الفضائيات فى مخاطبة الرأى العام الغربى بلغة يفهمها

---

(١) كلمة "حسن عماد مكاوى" فى افتتاحية المؤتمر العلمى الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام "أبحاث المؤتمر" ، مرجع سابق، ص ٢٥ .

وبموضوعية تتناسب وطبيعة العصر حتى يمكن محو أو على الأقل تحسين الصورة الموجودة فى أجندة الغرب عن العرب .

وأخيرا .. لقد أصبح الحديث عن الفضائيات العربية يفرض نفسه حتى على غير المتخصصين فالأمر فى غاية الخطورة لما تتسم به تكنولوجيا الفضاء من تأثيرات قد يكون لها على المدى البعيد نتائج غير مرغوبة فيها من قبل الشعوب .

إن ما تشهده الساحة الإعلامية عالميا يعد تحد صارخ لكل أنواع القيم ، تحد فرضته سياسة الواقع المتمثلة فى فرض هيمنة إعلامية ومنهج حضارى على كل ما يدب فى هذه المعمورة من بنى البشر .

القنوات الفضائية العربية .. مالها وما عليها :

تثير الفضائيات العربية – أكثر من أى وقت معنى – جدلا على خلفية ما تشهده المنطقة من تحولات ، وأحداث وضغوط خارجية ، ومن حيث قدرتها على الوصول إلى خطاب عربى قادر على التواجد فى الساحة الدولية . وينبغى التأكيد فى البداية على أن " التعددية الإعلامية" التى تشهدها المنطقة تعتبر ظاهرة إيجابية ، تتيح للمشاهد العربى التعرف على فروع الثقافة العربية من خلال ما تعرضه القنوات الفضائية من برامج [1]

ومهما قيل عن بدايات القطاع الفضائى العربى - خاصة الحكومى – وكيف أن هذه البدايات قد اكتنفها الكثير من الحماس الذى يفتقر إلى رؤية موضوعية ، أو أنها بدايات كانت أقرب إلى محاكاة لما يجرى فى العالم ، أو

---

(١) اتحادات إذاعات الدول العربية : ندوة "التعاون والتنسيق العربى فى مجال استخدام القنوات الفضائية العربية"، مرجع سابق ، ص٥٠ .

اندهاشا بثورة الاتصالات ، أو أنها جاءت حاملة معها دعاية لنظام سياسي معين .. مهما قيل عن التواجد العربى على الساحة الفضائية الذى لم يخرج عن كونه مجرد تواجد غير مؤسس لا يستند إلى إستراتيجية تحمل أهدافا تسعى إلى تحقيقها.. مهما قيل فإن الفضائيات العربية شهدت فى العقدين الآخرين على وجه التحديد طفرة هائلة فى مدى اعتماد المتلقى العربى عليها كمصدر رئيسى لمعلوماته ، واتجاهاته السياسية والفكرية المختلفة ، بل وصارت مخرجات الفضائيات العربية مفردات أساسية فى تكوين مدخلات أجندة وسائل الإعلام الغربية وأيضا صانعى القرارات على المقاربات الوطنية والإقليمية والدولية المختلفة ، وارتبط ذلك مع تنامى ما يسمى بظاهرة الانفجار، والانفتاح الفضائى Media Explosion الذى تجسد فى إطلاق ما يقرب من مائتى قناة فضائية عربية ما بين الحكومى ، والملكية الخاصة ، العامة والمتخصصة، أحدثت فى أقل من عشر سنوات تغييراً فى المجتمع العربى عجزت عن تحقيقه وسائل الإعلام المكتوبة ، والتليفزيونات العربية مجتمعة خلال العقود الماضية.(1) لقد أصبحت الفضائيات العربية – رغم ما يؤخذ عليها – قوة إعلامية لا يستهان بها فى تشكيل الرأى العام ، ولها الفضل فى تصعيد وجهات النظر حول الأحداث الجارية ، وتفسيرها مما يؤسس لاتجاهات الأفكار السياسية والاجتماعية والثقافية ، حتى الأيديولوجية، لدرجة أن أصبح عديد من أصحاب القرار الدولى يثقون بقدرتها المسيطرة على عقول الجماهير(2)

---

(1) حنان يوسف : الفضائيات العربية وإدارة الأزمات ، المؤتمر العلمى الأول للأكاديمية لعلوم الإعلام ، مرجع سابق ، ص ٣٨٧

(2) مصطفى عبد الله : علاقة الفضائيات العربية بالصحف المصرية ، المؤتمر العلمى الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام ، مرجع سابق، ص ٦١٤.

وإذا كانت الفضائيات العربية قد أصبحت واقعا ملموسا لا يمكن القفز عليه ، تأثيرها لا يمكن تجاوزه ، ويكفى أنها سدت فراغا كبيرا فى حياة المشاهد العربى الذى كاد أن يصبح أسيرا لقنوات أجنبية تبث لـه مـا تريـد وتـشكل اتجاهاته بالكيفية التى تحقق مصالحها. لكن ليس معنى هذا أن قنواتنا الفضائية قد وصلت إلى مرحلة من النضج فالطريق ما زال طويلا وشاقا والتحـديات تزداد يوما بعد يوم فى ظل التنافس المرير على امتلاك عقول البشر .

إن هذه القنوات أقيمت من أجل خدمة الثقافة العربية بكل ما يعنى ذلك من حماية لتراث الأمة وجذورها ولغتها، وهنـا كـان ينبغـى أن تـشجع هـذه القنوات كل ما هو عربى ، ولكن الواضح حتى الآن أن هذه القنـوات تفـتح أبوابها للثقافات الأخرى أكثر ما تتيح الفرص للثقافة العربية ، فنسبة إذاعـة الدراما الأجنبية على سبيل المثال أضعاف ما يذاع من الدراما العربية يدخل فى ذلك أيضا ما تذيعه هذه القنوات من برامج الأطفال ، والبرامج الخفيفة حيث يغلب عليها الإنتاج الأجنبى بما يحمله من أفكار وسلوكيات مما يجعلنا نـروج لسلع الآخرين فى قنـوات أنشأهـا فى الأساس لتخدم قضايانا وترسخ قيمنا "[1]

حتى المضامين المحلية التـى تبثهـا الفـضائيات العربيـة تحـاكى فى كثـير مـن الأحيـان، - وربـما عـن دون وعـى - المـضامين الأجنبيـة وهـذا يعنـى المزيـد مـن التـأثيرات الـسلبية عـلى المجتمعـات العربيـة خاصـة وأن هـذه المـضامين تقـدم باللغـة العربيـة ممـا يجعـل وصـول الأفكـار والقـيم إلى الجمهـور العـربي أسـهل ، وهنـا تكمـن الخطـورة ، هنـا تتحـول بعـض الفضائيات العربية إلى أداة ضد الواقع العربي .

---

(١) فاروق جويدة : الفضائيات العربية والمسئولية ، مقال نشر فى جريدة الأهرام القاهريـة بتاريخ ١٩/ ٨/ ٢٠٠١ ، ص ٣٦.

وتحت إلحاح ضرورة التواجد الإعلامي على الساحة العربية فضائيا عمدت الدول العربية إلى بث برامج قنواتها المحلية عبر الأقمار الصناعية، عدا قليل منها خصصت خدمة بذاتها كقنوات تلفزيونية فضائية وبتعبير أخر: إنها توجه نفس " الخريطة البراجية " إلى الجمهور المحلى والجمهور العربي دون الأخذ فى الاعتبار تفاوت التلقى، وخصوصيات المشاهدة التى يبنى عليها بشكل أساسى طبيعة، الإنتاج التليفزيونى [1]

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا ما هى مبررات أن تعرض فضائياتنا الحكومية تحديدا قضايا مغرقة فى المحلية لا تحظى باهتمام المشاهد العربى أو الغربي فى الوقت الذي توجد فيه قنوات أرضية هي المعينة بذلك. إن هذا الفكر سيؤدى بلا شك إلى ابتعاد الفضائيات العربية عن ساحة التنافس وينتقص من دورها فى حماية الهوية العربية، والأهم هو ترك الساحة للفضائيات الخاصة بغض النظر عما تقدمه.

إن صناعة " التليفزيون العربى " تواجه مأزقا حقيقيا مع تزايد الاحتياجات البراجية بشكل هائل فى ظل قاعدة إنتاجية ضعيفة القدرات على الصعيدين الوطنى والقومى [2] وعلى سبيل المثال: فإن مجمل الإنتاج الدرامى العربى فى السنة يبلغ ألفين وخمسمائة ساعة، قد

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:
أحمد العاقد: من نسق الانغلاق إلى نسق الانفتاح، عن التواصل الثقافى فى القنوات الفضائية العربية فى القنوات الفضائية العربية فى خدمة الثقافة العربية الإسلامية (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدارة برامج الثقافة والاتصال، ١٩٩٨) ص٧٧.

(٢) حسن حمدى: الإعلام العربى، الفرص والتحديات فى النظام العالمى الجديد، بحث مقدم إلى مؤتمر :الوطن العربى وتحديات العولمة (القاهرة، جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية، أبريل ١٩٩٩) ص. ص١١،١٠ .

تزيد أو تنقص عن ذلك بقليل، ولكنه لا يفى بالاحتياجات السنوية لقناتين عربيتين فقط [1]

ولا تنحصر القضية فى العجز الكمى من المنتج التليفزيونى فحسب بل تتجاوزه إلى الصعيد " الكيفى " إذا ما استثنينا بعض الأعمال المميزة التى تظهر على فترات متباعدة، هذا إلى جانب إعطاء بعض الفضائيات العربية الأولوية للانتشار الجغرافى على حساب المضمون ، والتركيز على المواد الجاذبة ، مثل برامج المنوعات والأغانى التى تغرق المشاهد فى حالة من السعادة الوهمية التى تبعده عن شعوره بالمسئولية تجاه مشكلات وطنه، وهذا ما يعرف بتغييب الوعى أى أن هذه القنوات سوف تناقض الهدف الأساسى التى وجدت من أجله وهو: تنمية وعى الشعوب العربية بقضايا أمتها .

وعندما نقترب من اللغة المستخدمة فى فضائياتنا العربية نجد أن كثيرا منها استبدلت العربية بلهجات محلية ، على الرغم من أن استخدام الفضائيات لمستوى معين من الفصحى قد يعنى الكثير بالنسبة لهذه اللغة التى كادت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وأعتقد أن المحافظة على اللغة العربية يأتى كأحد أهم الأهداف المنوط بالفضائيات العربية أن تسعى إليها كما أن مجاراة الأسلوب والنموذج الغربى فيما تقدمه بعض القنوات العربية من مواد وبرامج سواء : فى محتوى تلك البرامج ، أو مسمياتها ، أو طرق تقديمها ، يدفعنا إلى القول بأن هذه القنوات العربية – قد يسهم بعضها – فى مزيد من التشويه للثقافة العربية ، ومزيد من التباعد بين الجماهير العربية [2]

---

(١) محمد عبد الكافى : القنوات الفضائية العربية وإمكانية الاستفادة منها فى نشر الثقافة العربية الإسلامية (تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ن إدارة برامج الثقافة والاتصال ، ١٩٩٨) ص ١٨٤ .

(٢) محمد أحمد هاشم الشريف: البرامج الدينة فى القنوات الفضائية العربية ، مرجع سابق ، ص ١١٦

إن الانحدار الذى تسير إليه القنوات الفضائية العربية مذهل ومخيف ولا يؤدى إلا إلى الهاوية التى لا تحمد عقباها ، إن التردى السحيق الذى وصلت إليه فضائياتنا وهى تتسابق نحو التقليد ينعكس بصورة جلية فى الأداء الذى يتراجع يوما بعد يوما ، وفى الوجوه التى تقدمها الفضائيات على أنها كوادر إعلامية ، لكن الكثير منها لا يعرف عن الإعلام إلا اسمه ، ولم يصدق أنه سيقف فى مواجهة جمهور فى يوم من الأيام ، إلا أن المعايير المختلفة التى تتبعها بعض الفضائيات جعلت الكثير من المذيعات من بيئة لا علاقة لها بالإعلام .

ترى هل صدق على مثل هذه الفضائيات القول بأن الطريق إلى الفضائيات يمر عبر صالات عرض الأزياء [1]

وبموضوعية شديدة فإن القناتين عينة الدراسة تكاد تخلو من هذه النوعية من مقدمى البرامج إلا أن المستوى الثقافى للبراجيين (معدين ، مذيعين ، مخرجين)، مازال يحتاج إلى الكثير وهذا يعنى المزيد من الدورات التدريبية الحقيقة ، وليكن تدرج هؤلاء فى السلم الوظيفى مرتبط بمدى ارتقائهم بالمستوى الثقافى والمهنى .

إننا فى حاجة إلى براجيين تؤمن بالإعلام كرسالة ، وتنطلق من خبرة واعية واحترام لأمانة الكلمة ، وشرف المهنة حتى نرتقى بذوق المشاهد ويكون هؤلاء أكثر تأثيرا فيما يقولونه .

وعندما نسأل عن مدى خدمة هذه القنوات لانتمائها ، أو بمعنى أدق مدى تلبيتها لحاجاتنا الثقافية ، وهو ما يجيب عنه د. على القيم الذى ينعى حال الثقافة العربية والإسلامية فى هذه القنوات حيث لا يرى من خلالها بزوغ أى

---

(٢) الفضائيات وغياب المصداقية " على موقع : www.al_jzgerh.com

فجر ينبئ عن تقديم مضامين ذات قيمة للمشاهد العربى تغنيه عن ثقافة الكتاب الذى أضحى فى حال يرثى لها فى عالمنا العربى وفى رأى .د القيم أن ما يقدم حاليا عبر قنواتنا الفضائية ليس على مستوى الطموح ولا يعبر عن ثقافتنا ، ولا يزال حيز البرامج الثقافية ضئيلا مقارنة بما يقدم من برامج الفن والرياضة والمنوعات ، فعندما تصور أغنية جديدة (فيديو كليب) لمطرب من الدرجة الثالثة تبثها الفضائيات العربية عشرات المرات يومياً فى حين أن إتاحة مثل هذه الفرصة لكتاب جديد أو لمفكر يتحدث عن إنتاجه عبر الشاشة أمر قد يكون صعبا .

ويضيف د. القيم أنه فى مؤتمر لوزراء الثقافة العرب الذى عقد قبل عدة سنوات كان هناك إصرار من قبل الوزراء على إنشاء قناة ثقافية عربية الهدف منها نشر الثقافة العربية والتعرف بها[1]

والباحث مع هذا الإصرار لان ثقافتنا تواجه الآن بسيل جارف من التدفق الإعلامى والمعلوماتى الأمر الذى يتطلب المزيد من الحماية والدعم ، ولا أعتقد أن هناك أفضل من قناة عربية خاصة تقوم بذلك بعيدا عن الفكر القطرى الضيق.

وبعيدا عن السلبيات المصاحبة لأداء القطاع الفضائى العربى نجد الكثير الذى يحسب لهذا القطاع فقد استفاد المواطن العربى من قنوات هذا القطاع سواء على مستوى الوعى أو مستوى القضايا فلا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه القنوات شاركت بدور كبير فى الوعى السياسى لدى الجماهير العربية ، من خلال التحامها بالأحداث

---

(١) لمزيد من التفاصيل : برامج الفضائيات هل تلبى حاجاتنا الثقافية على موقع www. .Bab.com. Sa/articles/ full_ article

الجارية العالمية ومتابعة ما يجرى وما يدور حولها[1] فقناة مثل "قناة الجزيرة" على سبيل المثال ، أياً كان الرأى فيها ، والتنامى المتزايد لمشاعر الشك والريبة تجاه كل ما يصدر منها وعنها من مواقف وتوجهات ، فالأمر المؤكد أنها نجحت فى تجاوز "بيروقراطية" و ضيق أفق المنظومات الإعلامية العربية ، كسرت احتكار أمريكا لـ " الميديا" الإعلامية مما دفع أباطرة الإعلام فى العالم إلى تدارس التجربة ، ومراجعة أحكامهم ، وإستراتيجياتهم السابقة أملا فى الحد من تأثير الجزيرة ، وتحجيم قدرتها على التغلغل ، ليس فى الأوساط العربية فقد وإنما فى الأوساط الغربية والعالمية ، وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر من عام ٢٠٠١ باعتبارها الشبكة التليفزيونية الوحيدة التى لم تغلق مكاتبها فى أفغانستان ، الأمر الذى دعا المحلل الأمريكى "نيوتون ميناد " فى صحيفة " شيكا غوترميون " أن يعلق على ذلك بقوله " لقد علمتنا قناة الجزيرة درسا مهما ، وهو أن السوق العالمية للأخبار والإعلام لم تعد تهيمن عليه الولايات المتحدة لان حكومتنا – حسب وصفه – لا تملك منفذا خاصة بها فى المنطقة لذلك فإن عددا كبيرا من الأمريكيين لديهم الآن اتصالا مباشرا مع بث الجزيرة من خلال خدمة القمر الصناعى "ايكو ستار" [2] وإلى جانب هذا فقد أتاحت الفضائيات العربية فرصا متنوعة للاختيار أمام المشاهد العربى وهذا لم يكن متاح من قبل وكذلك جعلته يتابع أهم الأحداث العالمية

---

(١) فاروق جويدة : الفضائيات العربية الدور والمسئولية ، مرجع سابق ، ص ٣٦.

(٢) مجدى الطيب : أسرار تشفير الجزيرة ، مقال نشر فى مجلة روز اليوسف العدد ٣٨٦٢ فى ٢٠٠٢/٦/١٥ ، ص٨٠.

، وفى مختلف المجالات..أبواب جديدة للمعرفة فتحها القطاع الفضائى أمام مجتمعاته.

وقد حركت القنوات الفضائية العربية المياه الراكدة فى ميدان العمل التليفزيونى الحكومى فى الدول العربية ، التى استشعرت خطر انصراف الجماهير العربية عنها فراحت تخفف من سيطرتها الرقابية على البرامج وتسمح بهامش من حرية التعبير ، رغبة فى الحفاظ على مشاهديها[1]

ومن جانب آخر فإن هذه القنوات الفضائية العربية قد فتحت أبوابا كثيرة للحوار الذى كشف أمامنا جوانب كثيرة من سلبيات المجتمعات العربية على المستوى السياسى والاجتماعى والأخلاقى ، كما أن هذا الحوار فتح عيوننا على كثير من جوانب العجز والسلبية .

ولا شك أن هذه القنوات شاركت بدور كبير فى حركة الانتعاش الاقتصادى فى مجالات الاستثمار والتجارة ، وإذا توقفنا أمام تجربة فريدة فى "دبى" الآن سوف نكتشف إلى أى مدى استطاعت هذه المدينة الصغيرة أن تقلب الموازين التجارية فى منطقة الخليج كلها وذلك بفضل الدور الإعلامى[2]

كما أن بعضا من القنوات الفضائية الخاصة تبنت مواقف سياسية ، وإنسانية من منظور قومى ففى عام ١٩٩٣ تبنى " تليفزيون الشرق الأوسط" MBC برنامجا متكاملا لصالح البوسنة والهرسك ، وقد بلغ ما تم جمعه من خلال هذا البرنامج سبعة عشر مليون دولارا، كما أن التقنية العالية التى تمتلكها بعض القنوات الفضائية العربية الخاصة وتحررها من السيطرة

---

(١) سامى الشريف : القنوات الفضائية العربية ، والحفاظ على الهوية مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(٢) فاروق جويدة : الفضائيات العربية ، الدور والمسئولية ، مرجع سابق ، ص٣٦

الحكومية أتاح لها معالجة العديد من الموضوعات والقضايا بعيدا عن المواقف المتحفظة للحكومات العربية [1]

وبغض النظر عن سلبيات أو إيجابيات أداء الفضائيات العربية الذى تناولته بحوث ميدانية عديدة اهتمت بآراء ، وانطباعات الجمهور عما تقدمه الفضائيات العربية ، ومعدل مشاهدة هذه القنوات إلى أخره، فالمهم هو أن تحقق هذه الفضائيات الأهداف المرجوة فى حماية الهوية العربية والحفاظ على القيم والأخلاقيات فيما تبثه من برامج ، ومواد متنوعة ، وأن تكون بحق: البديل العربى فى الفضاء، لمواجهة مخاطر ما تبثه الفضائيات الأجنبية من مضامين وأفكار مغايرة للقيم والأخلاقيات العربية ولا تخدم مصالح الشعوب العربية ، لا أن تكون محاكاة للمضامين الأجنبية بمضامين عربية [2]

---

(١) سامى الشريف : القنوات الفضائية العربية ، والحفاظ على الهوية مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٢) إبراهيم العقباوى : أخلاقيات الإعلام والفضائيات العربية ، ورقة عمل مقدمة إلى " المؤتمر العلمى الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام ، مرجع سابق ، ص ٦٣٨ .

الخــلاصة ..

لاشك أن العقد الأخير من القرن العشرين قد شـهد تحـولات هائلـة فى تكنولوجيا الاتصال ، وقد تأثرت شـعوب العـالم بتلـك التحـولات بحيـث أصبح الإعلام بوسائله المختلفة قادرا على أن يـصنع الحكومـات والرؤسـاء والقادة ، أو على الأقل أن يساهم فى صنع هؤلاء ، وأن يغير مـسار الخيـارات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بل والثقافية بحيث فرض نوعا من الهيمنة على المجتمع والفرد، بل وصار للإعلام دور هام فى التنمية الشاملة ، ومساعدة الأمة فى الحفاظ على القيم ، والذاتية الثقافية ، وحماية الثقافة الوطنية وتعزيزها ومساندتها ، والحيلولة دون الغزو الثقافى ، أو ينبغى أن يلعـب الإعـلام هـذا الدور.

وقـد أصـبحت الـدول العربيـة - وهـى قليلـة الإمكانيـات خاليـة تقريبا أو تكاد تخلـو مـن الـصناعات الاتـصالية - هـدفا للتـدفق الإعلامـى مـن أوروبـا بـصفة عامـة وأمريكـا عـلى وجـه الخـصوص ، ولم تلحـظ الأنظمـة الـسياسية العربيـة مبكـرا هـذا التـدفق ومـا قـد يـصاحبه مـن خطـورة عـلى منظومـة القـيم الاجتماعيـة والثقافيـة بكـل مـا تحملـه مـن ملامـح عربيـة أصـلية ، ربـما لأن وضـع هـذه الأنظمـة الـسياسى والاقتـصادى والاجتماعـى ، وموقفهـا مـن الحريـات والديمقراطيـة ، وطبيعـة ملكيـة وسـائل إعلامهـا ، وتوجهـات هـذه الوسـائل وسياسـاتها وضـآلة الرسـالة الإعلاميـة والثقافيـة ، كـل هـذا جعلهـا بعيـدة عـن أى تصور موضوعى للمشهد الإعلامى الراهن .

إن المنطقة العربيـة لم تكـن معزولـة عـما يجـرى فى العـالم مـن تحـديث فى الاستخدام الإعلامى لتكنولوجيا الاتصال ، لكن مـا حـدث كـان مفاجئـا ،

وبخطى أسرع من كل التوقعات ، وطبيعى ألا تفلح قيود السلطة أو تشريعاتها فى منع الشعوب من التعامل مع القنوات الأجنبية ، ساعد على ذلك التطور الهائل الذى عرف طريقه إلى هوائيات الاستقبال .

وأمام هذا الواقع توجهت مجموعة من المؤسسات الإعلامية إلى منظومة البث الفضائى ، وتأسيس قنوات خاصة جبنا إلى جنب مع هذا التواجد المكثف للقنوات الفضائية الأجنبية فى المشهد الإعلامى العربى كمحاولة لتلبية رغبات الجمهور العربى من جهة ولتوصيل الفكر العربى إلى المجتمعات الغربية من جهة أخرى

ويعود الفضل إلى "تونس" التى شهدت ميلاد فكرة إنشاء مؤسسة عربية فضائية عندما طرح وزراء الإعلام والثقافة العرب فى اجتماعهم فى "بنزرت" عام ١٩٦٧ فكرة قيام الدول العربية بإنشاء وامتلاك شبكة فضائية عربية خاصة بهم ، وكان ذلك لإدراك الدول العربية أهمية توفير وسائل اتصالات متطورة تخدم الأهداف الإعلامية والثقافية والتنموية .

وبعد جهود ومشاورات أنشئت المؤسسة باتفاقية وقعت فى ١٤ أبريل ١٩٧٦م وتكمن أهم أهداف هذه المؤسسة ونشاطها فى :

أولا : تهدف المؤسسة إلى توفير واستثمار قطاع فضائى عربى للخدمات العامة والمتخصصة فى مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية لجميع الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية وفقا للمعايير الفنية والاقتصادية المعمول بها عربيا ودوليا .

ثانيا: بالإضافة إلى تحقيق هذا الهدف ، للمؤسسة أن تقوم بمختلف الأنشطة التالية :(١)

أ- مساعدة الدول العربية فنيا أو ماديا فى تصميم وتنفيذ المحطات الأرضية.

ب- إجراء البحوث والدراسات الخاصة بعلوم تكنولوجيا الفضاء .

ج- التشجيع على إنشاء الصناعات اللازمة لتجهيزات القطاع الفضائى والمحطات الأرضية فى الدول العربية .

د- القيام بعمل النقل التليفزيونى والإذاعى بين الإدارات والهيئات المختصة فى البلاد العربية عن طريق الشبكة الفضائية العربية، وكذلك وضع قواعد استكمال القنوات المخصصة للتليفزيون والإذاعة بما يحقق المطالب المحلية والجماعية العربية .

وقد اتخذت المؤسسة من المملكة العربية السعودية مقرا لها ، كما أنشئ مركز تبادل تابع لاتحاد الإذاعات العربية فى تونس .

غير أن الإشكالية المطروحة وبشدة فى هذا الشأن لا تكمن فى إنشاء محطات إعلامية ، وقنوات تليفزيونية ، بل فى كيفية استغلالها، واستثمارها لبلورة مضمون ثقافى وحضارى عربى قادر على التعايش مع باقى المضامين الدولية ، ومؤهل لتطوير ذاته.

---

(١) لمزيد من التفاصيل ومتابعة بنود الاتفاقية انظر ملحق (١) جامعة الدول العربية ، اتفاقية المؤسسة المصرية للاتصالات الفضائية فى :

حمدى قنديل: عربسات، الشبكة الفضائية العربية، وقضايا الاتصال فى الوطن العربى (القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب ،١٩٨٩) ص٢٦٤.

إن تعدد الأقنية الفضائية العربية وزيـادة عـددها لا يعنـى أن مثـل هـذه القنوات سوف تستطيع مواجهة مشاكل الأمة العربية وهمومهـا ، وتـسهم فى تحقيق رسالتها الحضارية ، إن لم يصاحب التعدد برامج تؤدى هذه الأغـراض والواقع أن الزيادة الملحوظة فى عدد الفضائيات العربيـة يؤكـد الحاجـة أكثـر فأكثر إلى إنتاج المزيد من البرامج وخاصة البرامج الثقافيـة المحـدودة جـدا – وحتى الآن – على الخرائط البرامجية للفضائيات العربيـة ، كـما نؤكـد ضرورة زيادة مساحة هذه البرامج وساعات البث المخصصة لها ، بهدف تعميق الثقافة القومية ، ودفـع المجتمعات العربية خطوات على طريق التنمية.

إن نجاح القنوات الفضائية العربية مرتبط بفهم مهام الإعلام الـوطني في ظل معطيات النظام الإعلامـي العـالمي الـراهن ، وعلاقـة الإعـلام بالتنميـة الشاملة وبمسارات الحرية والديمقراطية ، وبحق الاتصال والتعبير وتعدديـة الآراء .

ولاشك أن الإحاطة بالمضمون الثقافي والإعلامي لكل الفضائيات العربية أمر خارج السيطرة ضمن حدود هذه الدراسة ، ذلك لآن هذه القنوات بدأت تتزايد بصورة ملفتة للنظر ، حتى أن بعض الأقطار العربيـة تمتلـك أو توجـه بشكل مباشر أو غير مباشر أكثر من عدة قنوات ، إلا أنـه مـن خـلال تحليـل المشهد الإعلامى العربى الراهن فيما يتعلق بالقنوات الفضائية يمكن ملاحظة التالى :

أولا: إن الإنتاج التليفزيونى العربى لا يكفـى لـشغل مئـات الآلاف مـن ساعات بث القنوات الفضائية العربيـة سـنويا ، لـذلك تـضطر بعـض هـذه القنوات إلى بث الإنتاج القديم الذى أنتج لقنوات أرضية مع العلم أن هنـاك فرق كبير بين ما ينتج للقنوات الأرضية ومثيله الذى ينتج للقطاع الفـضائى ،

أو تضطر هذه القنوات إلى إنتاج برامج متسرعة سطحية أو الركون إلى بث المباريات الرياضية ويزيد الأمر سوءا ضعف التبادل البرامجى والتدفق بين الدول العربية.

ثانيا: من المفترض أن أحد أهم مهام القطاع الفضائى العربى العمل على تعميق أواصر اللحمة القومية العربية ، وخدمة الثقافة العربية وتنشيط الحوار والتفاعل بين المجتمعات العربية، ومواجهة الاختراق الثقافى الأجنبى ، والسؤال الذى نطرحه هنا.. هل هذا هو الهدف الذى دفع الدول العربية لاستئجار قنوات فضائية للبث التليفزيونى ؟

ويميل الباحث إلى الاتجاه الذى يؤكد على أن استئجار بعض العرب للأقنية الفضائية كان إما تقليدا لما يجرى فى العالم ، أو اندهاشا بثورة الاتصالات أو سعيا لدعم النظم السياسية ، وعلى هذا الأساس يمكن القول إن هناك غياب أو على الأقل عدم وضوح لأهداف عديدة من أهداف القطاع الفضائى العربى.

وفى ظل عدم وضوح الهدف ، وقلة الإنتاج فإن هناك استحالة لوضع خطط برامجية شاملة ومتوازنة وفيما يتعلق بالشئون المحلية فإن هذا جزء من مهام القنوات الفضائية لكن الأمر يقتضى إعادة النظر فى المواد المحلية بتنقيتها لتناسب المتلقى خارج الحدود .

ثالثا: من الملاحظ أن بعض الفضائيات العربية لا تعطى أى مساحة لحق الاتصال وحريته مما يؤدى إلى ضيق هامش الحريات ، وتوجيه البرامج ، وإعدادها بمعزل عن الاهتمام برأى المتلقى ،وهذا يتنافى تماما مع طبيعة المرحلة التى يعيشها العالم .

رابعا: ينبغى على الأنظمة الإعلامية العربية أن تتخلص من الانبهار بقدرة القنوات الفضائية، وأن تعمل هذه الأنظمة على ملء ساعات بث هذه القنوات بنوعية من البرامج التى تخدم ، وتعمل على تحقيق أهداف الأمة العربية ، وحماية المجتمعات العربية من الهيمنة والتدفق والغزو الضار بتقديم برامج تزيد اللحمة بين أبناء الأمة ، وتساعدهم على تحقيق التنمية الشاملة والتطور المتعدد الجوانب ، والمساهمة فى بناء الحضارة الإنسانية .

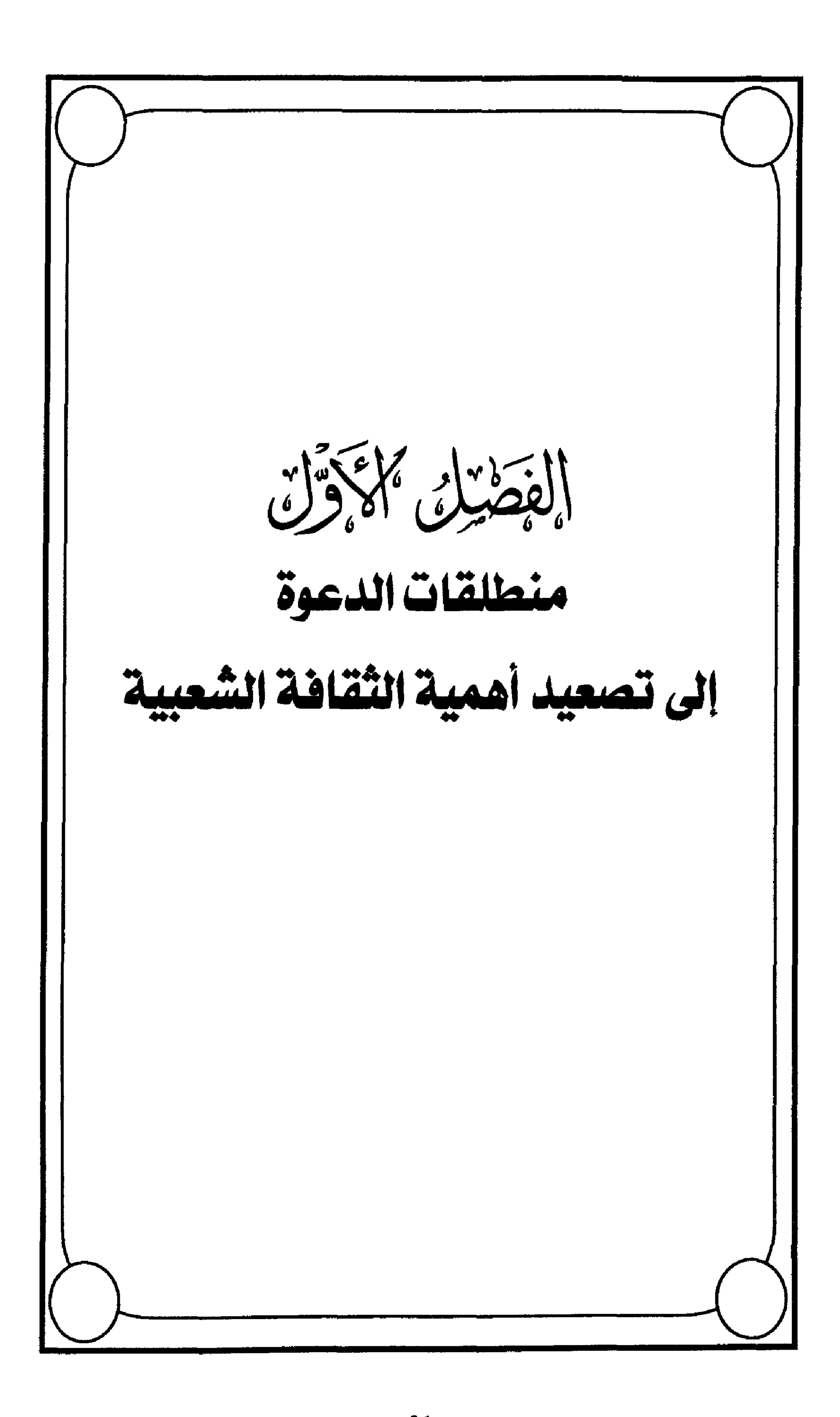
إن القطاع الفضائى العربى ينبغى أن يؤكد على الثوابت العربية المستمدة من القيم الدينية والأخلاقية ، وعليه أن يعمل على تأهيل المواطن العربى أينما كان موقعه داخل الوطن أو خارجه للتصدى لكل المحاولات التى تستهدف النيل من الهوية العربية ، وتشويه التاريخ العربى ،والتشكيك فى قدرتنا على مواصلة دورنا والإسهام من جديد فى البناء الحضارى على الأصعدة الإقليمية والعالمية .

الباب الثاني

الفضائيات العربية والثقافة الشعبية

الفصل الأول : منطلقات الدعوة إلى تصعيد أهمية الثقافة الشعبية.

الفصل الثاني : آليات هذا التصعيد.



الفَصْلُ الأوَّلُ

منطلقات الدعوة

إلى تصعيد أهمية الثقافة الشعبية

الفصل الأول

منطلقات الدعوة إلى تصعيد أهمية الثقافة الشعبية

مقدمة :

لا شك أن هناك شبه اتفاق بين الباحثين وخبراء الاتصال ، والإعلام ، حول المكان المتميزة التى تحظى بها وسائل الإعلام فى المجتمع المعاصر ، وخاصة بعد ثورة الاتصالات التى يعيشها العالم فى الوقت الراهن ، كذلك فإن هناك شبه إجماع على الدور الذى يمكن أن تؤديه هذه الوسائل فى مختلف مجالات الحياة المعاشة .

إن وسائل الإعلام تحتل الآن أهمية كبيرة فى المجتمعات الحديثة ، وتنبع هذه الأهمية من مسئولية هذه الوسائل تجاه المجتمع الذى تعمل فيه ، وخاصة فى ظل السيطرة الاتصالية للدول المتقدمة تكنولوجيا التى تحاول استغلال نفوذها لتحقيق مصالحها الخاصة ، وفرض أيديولوجياتها ، وثقافاتها مما قد يعرض الدول الأقل تقدما لخطر جسيم يتمثل فى فقدانها لهويتها القومية ، ويشكل نوعا من التبعية الثقافية .[1]

ومن المفترض أن تكون وسائل الإعلام جزءا هاما من النسيج الاجتماعى حيث تكوّن هذه الوسائل نظاما ثقافيا متماسكا ، يعبر عن الاتجاهات السائدة ، ويعمل على تنمية المفاهيم ، وتدعيم المعتقدات والقيم وأنماط السلوك الموجودة بالفعل ، كما أنها تمرر القيم والتقاليد من الأجيال السابقة إلى الأجيال

---

(١) غازى زين عوض الله: " الإعلام .. الواقع والمستقبل" (السعودية، مجلة المنهل، العدد (٥٧٧)، المجلد (٦٣)، ديسمبر ٢٠٠١) ص ٨.

التالية ، وهذا هو الدور الذى يمكن أن يلعبه الإعلام فى التنشئة الاجتماعية ، ونقل الميراث الثقافى وهى وظيفة أساسية للإعلام .

وإذا كانت الوسائط الجماهيرية – مقروءة ومسموعة ومرئية – تعد الآن بمثابة قوة اجتماعية ظهرت فى حياة الناس ، وتؤثر بشكل واضح فى ثقافتهم ونمط حياتهم ، فإن هناك من يرى فى تلك الوسائط خطرا يهدد المأثور الشعبى.

وبعيدا عن مثل هذه الآراء لا يمكن إنكار الدور الإيجابى الذى تلعبه وسائل الاتصال الجماهيرى فى الحفاظ على أنماط وصيغ المأثور الشعبى ، وترويجها مع الوضع فى الاعتبار أن هناك بعض الآثار السلبية التى تصاحب وجود المادة الشعبية فى هذه الوسائل ، خاصة فيما يتعلق باستغلال هذه المادة لأغراض تجارية أو للدعاية السياسية أو على الأقل أن تتواجد هذه المفردات التقليدية بشكل غير لائق بعيدا عن قيمها ودلالاتها الاجتماعية .

والعلاقة بين التطور التكنولوجى والإبداع الشعبى غالبا ما تثير الجدل إلا أن الشواهد تؤكد على إمكانية أن تلعب تكنولوجيا الاتصال دورا فى نشر وترويج وتقريب عناصر الثقافة الشعبية إلى أذهان أجيال جديدة ، فهى أقصد وسائل الاتصال ليست قنوات صماء، وإنما هى أقرب إلى أدوات فاعلة تساعد فى "عصرنة" الإبداع الشعبى، وعرضه فى حلة جديدة تتلاءم وروح العصر.

إن الوسائط الجماهيرية قد أثرت كثيرا فى صياغة نمط حياة الإنسان فى المجتمع المعاصر ، وظهر هذا التأثير واضحا فى طبيعة صياغة مأثوراته الشعبية ولا يفوتنا فى هذا الصدد أن نؤكد على أن من السمات الأساسية للفولكلور المرونة والقدرة على التكيف مع ظروف الحياة الجديدة ، فالمأثور الشعبى فى المفهوم الحديث للفولكلور ليس فقط تراكما لخبرات فكرية تشكلت عبر

أجيال عديدة ، ولكنه أيضا حركة دينامية وعملية تغير لمواكبة تطور الحياة الإنسانية، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نتتبع أثر الوسائط الجماهيرية فى تغيير أساليب حياة الناس الذى أدى بالمقابل إلى أحداث تغير ملحوظ فى تراثهم الشعبى . [1]

إن مأثوراتنا الشعبية فيها كما فى غيرها من مأثورات الشعوب قيم ومثل وسلوكيات جليلة وفيها أيضا أمور تافهة وسقيمة ، وعلى الإعلام أن يلقى الضوء على كل نماذج مأثوراتنا الشعبية الناجحة مما يفيدنا ، وما نقدمه لغيرنا من الأمم والشعوب .

ولعل مثل هذه المأثورات بشىء من الرعاية والاهتمام بعناصرها المادية والمعنوية ، وبوظائفها التى تستهدف المنفعة والجمال ، وبقيمها المتوارثة عبر الأجيال قادرة على التعامل مع مفردات القرن الجديد، القرن الحادى والعشرين بكل تحدياته .

إن هذه المقدمة الموجزة تحدد بصورة مختزلة دقيقة الأسباب التى جعلت من العلاقة بين الإعلام ، والثقافة الشعبية هدفا لمزيد من تصعيد أهمية المأثور الشعبى فى وسائل الإعلام المختلفة ، خاصة فى هذه الفترة التى تتعرض فيها ثقافات دول العالم الثالث لمزيد من الغزو والتهميش. وتتمثل منطلقات الدعوة إلى تصعيد أهمية الثقافة الشعبية إعلامياً فى مجموعة محاور أهمها :

---

(١) حصة زيد الرفاعى : الفولكلور فى الوسائط الجماهيرية ، مظاهر التأثير والتأثر بين فن الإعلام والثقافة الشعبية (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، عالم الفكر ، المجلد (٢٤) ، العددان الأول والثانى ، ديسمبر ، ١٩٩٥) ص ١٧٣.

أولا: المأثور الشعبى والحفاظ على الخصوصية الثقافية فى ظل موجات العولمة..

إن المأثور الشعبى بكل ما يعنيه من الأصالة قادر على أن يدعم هذا الاتجاه بالإضافة إلى ما يمكن أن تضيفه عناصر الثقافة الشعبية من أبعاد جديدة على طريق فهم واستيعاب الثقافة القومية.

إن المأثور الشعبى يحمل من عناصر الثقافة الأصلية ما يجعله أمينا على القيم الإنسانية والمثل الأخلاقية والخصائص القومية ، هو أقرب إلى نهر روافده الثقافة الرفيعة والشعبية ، وكذلك الخبرات والمعارف والتقاليد المتراكمة عبر الزمان .

ثانيا: الفولكلور واقع متجدد قادر على الإسهام فى البناء الحضارى:

إن حيوية وقدرة عناصر المأثور الشعبى على التفاعل مع متغيرات العصر تجعلها دائما قادرة على الإسهام من جديد فى البناء الحضارى للإنسان والدليل على قدرة المأثور الشعبى فى الاستمرارية يكمن فى أن الكثير من العادات الشعبية لدى كافة المجتمعات تستجيب لما يطرأ عليها من متغيرات العصر توفق عناصرها بناءً على تلك المعطيات فى صياغة متفاعلة معها ، ومؤكدة على حيوية تلك العناصر وديناميتها.(١)

ثالثا: المأثور الشعبى مصدر استلهام للفنون المعاصرة:

خاصة وأن مثل هذه العناصر فيها من الجمال والطرافة والغرابة ما تجعلها مؤهلة لإضافة أبعاد جمالية على الإنتاج الفنى المعاصر .

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :
سميح عبد الغفار : تطور العلاقة بين أنواع الخبز المنزلية ، وخبز السوق (المنصورة ، المركز الحضارى لعلوم الإنسان ، والتراث الشعبى ، دورية الثقافة الشعبية العدد الأول ، أكتوبر ١٩٩٨) ص ٥٦٣ .

إن الإعلام حين يقترب من دوائر المأثور الشعبى مستلهما منها ما قد يعين الناس على التصدى لمشكلاتهم الحياتية، فإنه بذلك قد يعيد الحياة مرة أخرى إلى قيم إنسانية عليا.. قيم كادت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة خلف هذا التراكم العلمى المذهل. والإعلام بفعله هذا لا شك أنه سيضيف حداثة على القديم كما أنه سيعطى الأصالة لإبداعه الفنى .

رابعا: المأثور الشعبى والتنمية:

حيث أكد بعض الباحثين الذين يشتغلون فى قضايا التنمية على أن إخفاق الكثير من مشاريع التنمية عائد إلى تجاهل المخططين لثقافة المجتمعات المستهدفة فما يصلح لمجتمع قد لا يصلح لمجتمع أخر .

إن تنفيذ البرامج التنموية ليس مرهونا بالمعلومات الإدارية والتكنولوجية والتنظيمية وحدها بل لابد من مشاركة الواقع الاجتماعى والثقافى من خلال الاطلاع ومعرفة واستثمار العادات والمعتقدات والأدوات التقليدية وأنماط وأساليب العلاقات الاجتماعية ، أى أنه لا مناص من الوقوف على المخزون التراثى واستغلاله لفتح الطريق أمام تنفيذ برامج التنمية ، وأى إغفال لهذا الجانب يعنى مزيدا من هدر الطاقات البشرية [1] .

أولا: المأثور الشعبى والحفاظ على الخصوصية الثقافية فى ظل موجات العولمة:

مع تعقيد حياة المجتمعات البشرية الأولى أخذت تتولد من الحياة الاجتماعية المشتركة فئات ظلت تنمو حتى انتظمت فى شكل طبقة سائدة يقابلها طبقة مسودة ولكل منهما ثقافته الخاصة المتمايزة : ثقافة الطبقة السائدة ،

---

(١) التراث الشعبى (دبى، جامعة الامارات العربية المتحدة ، ١٩٩٦) ص ١٤٤

وفى قمتها ثقافة الخاصة أو الصفوة، وثقافة الطبقة المسودة ، وهذا أمر طبيعى لأن ثقافة أى جماعة هى تعبير عن وجود تلك الجماعة ، وصياغة له ، وتبدو صور هذا التعبير فى الدين ، والاتجاهات العقائدية المتصلة به ، وفى القيم ، والمثل ، وأنماط السلوك العملية ، وفى النظرة الفلسفية إلى الكون ، وغالبا ما تصاغ هذه الصور فى أشكال فنية ذات قوالب ومضامين تشف عن أحوال تلك الجماعة وفكرها .[1] والحد الفاصل بين الثقافتين – الخاصة والعامة – لا يعنى عدم التقائهما ، فالتفاعل بين الثقافات – حتى فى المجتمع الواحد – أمر منطقى تؤيده الشواهد وتبرهن عليه خصائص الثقافة من حيث قدرتها على الانتشار والتفاعل مع غيرها فى منظومة تلقائية .

وإذا كانت ثقافة الصفوة قد حظيت باهتمام كبير من قبل رواد العلوم الإنسانية على مر التاريخ فإن ثقافة العامة الطبقة المسودة ظلت ولفترات طويلة بعيدة عن ميدان البحث والدراسة والاهتمام .

وعندما بدأت هذه الثقافة التلقائية – بكل ما فيها من إبداعات – تلفت نظر مجموعة من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين كان هذا يعنى بداية مرحلة هامة لمأثورات الشعوب. ولعل الالتفات إلى الفولكلور قد جاء فى الفترة التى أخذ الدارسون يواجهون الحياة الواقعية باعتبارها المصدر الأول لإدراك الإنسان لذاته ولمجتمعه ولمساره الثقافى والحضارى.[2] كما أن الاهتمام بالفولكلور يكمن فى

---

(١) يورى سوكولوف : الفولكلور قضاياه وتاريخه ، ترجمة : حلمى شعراوى وآخرون (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مكتبة الدراسات الشعبية، العدد (٥١) ، ٢٠٠٠) ص١١

(١) عبد الحميد يونس : الفولكلور الأمريكى بين الهجرة والاستقرار (القاهرة ، مجلة الفنون الشعبية ، العدد (٢٠) ، ١٩٨٧)ص ١٠٤

الإيمان بأن المأثورات الشعبية فى جوهرها انعكاس لطريقة شاملة فى الحياة بمعنى أنها تعبر بصدق عن هوية أصحابها ، وذاتيتهم الثقافية ، ورؤيتهم للحياة والكون سواء على الصعيد المادى أو المعنوى، وهى بهذا المعنى تكاد تشكل الجانب الأكبر فى ثقافة أى مجتمع ."(١)

إن الاهتمام بالفولكلور لا يمكن أن يكون وليد الصدفة ، ولا هو ثمرة اجتهاد شخصى لباحث فرد ، مهما بلغ علو هامته فى البحث، وحماسه للدفاع عن هذا الفرع الجديد من فروع العلم ، وذلك أن العلوم لا تنشأ ولا تموت فى بيئة معينة نتيجة حماس أو تهاون نفر من الناس أيا كان وضعهم على المسرح الثقافى لابد إذن أن يكون هذا الاهتمام استجابة طبيعية سوية لحاجة علمية لها وجودها الملموس على المستوى الاجتماعى والقومى ، حاجة يمكن أن تبرر هذا التشجيع من جانب أجهزة الدولة ، وهذا الاجتهاد ، وهذه النوايا المخلصة من جانب بعض الباحثين الأفراد . "(٢)

ورغم ذلك يبقى المأثور الشعبى حتى الآن بعيدا إلى حد كبير عن الدراسة التى تستوعب شموله خاصة فيما يتعلق بأطره النظرية أو المنهجية أو التاريخية.

ولعل أحد أهم العوامل التى تضاعف من الحاجة إلى دراسة المأثور الشعبى هو برز ظاهرة العولمة فى السنوات الأخيرة .. العولمة بكل ما تعنيه من زوال للحدود والحواجز بين الثقافات، أيضا بكل ما يصاحبها من تخوفات تأتى حاملة معها ثقافة الغنى مع محو تدريجى لثقافة الفقير ، واستبدالها بما لا يتناسب مع مكونات وأصول الثقافة والحضارة .

---

(٢) أحمد على مرسى : الفولكلور وثقافة المستقبل ،قضية المصطلح (القاهرة، مجلة الفنون الشعبية ، العدد (٤٦) ، ١٩٩٥) ص١٠

(١) أحمد أبو زيد : وآخرون ، دراسات فى الفولكلور (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٢) ص

إن الحديث عن الدور والوظيفة التى يقوم بها المأثور الشعبى بوصفه أحد أهم وسائل الدفاع عن ذاتية وخصوصية الشعوب أمر مرتبط إلى حد كبير بحاضر هذا المأثور ومستقبله فى إطار الثقافة التى ينتمى إليها. والمستقبل كما نتوقعه حافل بالمتغيرات ، خطوات متلاحقة على طريق التقدم الصناعى، وتعميق الاستخدام التكنولوجى، ومن هنا نتوقع صراعا بين الولاء للقيم القديمة ، والحاجة إلى تبنى قيم جديدة تتناسب والتغيرات الحادثة، الأمر الذى يدفعنا إلى التفكير فى الهوية الإقليمية للمجتمعات . وفى ظل هذه المتغيرات ترى .. هل ستلحق الثقافة الكونية المتوقعة موادا فولكلورية جديدة ، أم أنها ستعدل من طبيعة المواد القديمة ؟ .. هل ستظل لهذه المواد سواء القديمة أو المتوقعة الوظائف نفسها ، أم أنها ستختلف إضافة أو تعديلاً أو حذفاً .[1]

أن البحث عن وظيفة العناصر الفولكلورية شاق وعسير ، ويتطلب دراسة المجتمع بكل مكوناته أو على الأصح فإنه يقتضى من ناحية ضرورة التعرف على مدى تعبير هذه العناصر الفولكلورية على العلاقات والقيم السائدة فى المجتمع ، ومن ناحية أخرى دراسة العناصر الفولكلورية التى تدخل فى كل نسق من الأنساق الاجتماعية التى تؤلف البناء الاجتماعى ، مما يعنى فهم المجتمع ككل من زاوية فولكلورية بحتة[2] .

إن دور المأثور الشعبى فى تحقيق التميز والتفرد القومى ، وبالتالى تنمية الإحساس بالذات والهوية أمر لا خلاف عليه فهو أى المأثور أقرب إلى مستودع فيه نبحث عن الجذور والأصالة . والفولكلور بما يتمتع به من قدرة هائلة على البقاء متنقلا من جيل لآخر ومن عصر إلى

---

(١) أحمد على مرسى : الفولكلور وثقافة المستقبل ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
(٢) أحمد أبو زيد وآخرون : دراسات فى الفولكلور ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

عصر ، قادر على إشباع الحاجات النفسية والوجدانية للناس، يبدأ مع هؤلاء بنقل التجارب الحياتية ، وينتهي بالتسلية والترفية ، وبين البداية والنهاية مساحة كبيرة لفهم نسيج المجتمع ، والوقوف على ثقافته العامة التى لا يمكن أن تختزل فى أنساق ثقافة الصفوة .

إنه يحدد لنا الإطار الفكرى للمجتمع البشرى إذ أن أبناء المجتمع يودعون فنونهم الشعبية بمختلف أنماطها توصياتهم الفكرية وآراءهم عن الحياة والموت، والكون، ومظاهر الطبيعة، والدين والخرافات، والأساطير ورؤيتهم لمفاهيم الحق والباطل، وقيم الشرف والنبل ، ومقاييسهم فى الجمال ، وتصورهم للعالم الخارجى وعلاقتهم بالبيئة .(1)

إن هذا المأثور يحمل من عناصر الثقافة والأصالة ما يجعله أمينا على القيم الإنسانية ، والمثل الأخلاقية ، والخصائص القومية ليمثل فى النهاية إرثا حضاريا لا يستهان به باعتباره محصلة الثقافة الرفيعة والشعبية والخبرات والمعارف والعادات والتقاليد المتراكمة عبر الزمن(2).

والانتفاع بالعناصر الفولكلورية بما تحويه من كنوز المعرفة والحكمة أمر يجب الالتفات إليه ، فهذه العناصر فضلا عن كونها وثائق تاريخية تضم بين جوانبها ما يعين على التصدى لبعض المشكلات التى تواجه الإنسان فى المجتمع .

---

(1) قاسم عبده قاسم : الأدب الشعبى ، وسيلة للتعرف على الحياة الفكرية (القاهرة ، مجلة الفنون الشعبية ، العدد (٢٤) ، ١٩٩٨) ص ص ١٩ ، ٢٠

(2) عبد الحميد يونس : الفولكلور بين العلم والتكنولوجيا (القاهرة ، مجلة الفنون الشعبية ، العدد (٦) ، ١٩٨٦) ص

إن الـذين يبحثـون عـن أزمـة الـشباب المعـاصر أسـتطيع أن أوجـه أنظارهم إلى واحد مـن أهـم أسـبابها هـو حرمـان أطفـال الأجيـال الحديثـة من هـذا الـزاد الوجـدانى التربـوى منـذ أن انقطعـت المـرأة عـن أطفالهـا ، وانـشغلت عـن بيتهـا دون أن تقـدم لهـم البـديل المناسـب، ففقـد الأطفـال متعة الأدب الـشعبى ، وفقـد الأدب الـشعبى أرضـا كـان مـسيطرا عليهـا، أمـا الـدول المتقدمـة فحـين حـدث هـذا سـارعت إلى إعـداد البـديل فى شـكل مطبوعـات الأطفـال التـى تقـدم الأدب الـشعبى فى صـورة جديـدة معاصرة مستفيدة من التقدم العلمى المذهل .[1]

ويخطئ من يتصور أن الفنون الشعبية تستهدف التسلية والترويح عن النفوس المكدودة .. إن التسلية والترويح وظيفة ثانوية ، أما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام ، تطلب المحافظة على تراث الفرد العزيز فى أمته ، وتطلب المحافظة على الجماعة كلها فى آن واحد .[2]

وإلى جانب هذا ينبغـى أن توظـف العنـاصر الفولكلوريـة فى التـصدى لمواجهة المؤامرات الاستعمارية خاصة فى ظل دوائر العولمـة التـى تتـسع الآن حاملة معها خطر تهميش الثقافات الإقليمية، هذا من منطلـق أن الفولكلـور قادر على إشباع الاحتياجات الوجدانية والمادية للشعوب ، هو المحدد لملامح الهوية الثقافية، هو القادر على أحداث نوع من الاتزان النفسى، والاجتماعى ،

---

(١) محمد ذهنى : بين الأدب الشعبى ، وأدب الطفـل (القـاهرة ، مجلـة الفنـون الـشعبية ، العدد (٢١) ، ١٩٨٧) ص ٢٧

(٢) فـوزى العربـى : المـأثورات الـشعبية ، بـين النظريـة والتطبيـق (المنـصورة ، المركـز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى ، دوريـة الثقافـة الـشعبية ، العـدد الأول ، ١٩٩٨) ص٤٥

إنـه تـراث يملـك الكثـير مـن القـدرة عـلى زرع وترسـيخ الإيـمان داخـل المجتمعات.. الإيمان بالنفس والوطن .

إنه يمنح الوجـود الإنـسانى عمقـه التـاريخى وقـد اسـتخدم كثـير مـن الدارسين مواد المأثور الشعبى والحياة الشعبية فى إعادة بناء الفـترات الزمنيـة الغابرة التى لا يوجد عنها إلا شواهد ضئيلة متفرقة ، وهو مـا يعـرف باسـم منهج إعادة البناء التاريخى، فالفولكلور يضطلع فى هذه الحالة بدوره التقليدى كعلم تاريخى يكمل المعرفة التاريخية ، ويعمقها ، يوسعها .[1]

وقد يساهم الفولكلور علاوة على ذلك فى رسم ملامح الثقافات الحالية ، والأبنية الاجتماعية القائمة كما أنه يلعب دورا كبيرا فى تحليل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة .[2] وفى هـذا المجـال تقـدم الدراسـات الفولكلورية خدمة مباشرة فيما يتعلـق بعمليـات التغـير الثقـافى: عواملهـا ، وسرعتها ، واتجاهاتها ، ونتائجها.

وقد ظلت المأثورات الشعبية تحتفظ لنفسها بقيمة كبرى باعتبارها تراثـا يغلفه الخيال ، ويتزامن مع موروث واقعى هو حوادث التاريخ المجردة ، ومن المعروف أن الإطار الفكرى العام لأى مجتمع بشرى يتكون من تراكم الخبرات التاريخية والتقنين والتوصيف الأخلاقى والفكرى الذى يضعه هذا المجتمـع لنفسه نتيجة لما اكتسبه من خبرات. وإذا كان التاريخ يحمل لنا الواقع أو جزءا من هذا الواقع فإن المأثور الشعبى يحمل لنا الجانب غير المادى من هذا الواقع وهو جانب الانفعالات النفسية والرؤى العاطفية .[3]

---

(١) محمد الجوهرى : علم الفولكلور ، الأسس النظرية والمنهجية (القاهرة ، دار المعـارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١) ص

(٢) المرجع السابق نفسه ،ص

(٣) قاسم عبده قاسم : الأدب الشعبى وسيلة للتعـرف عـلى الحيـاة الفكريـة للـشعوب ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

ويعكس المأثور الشعبى ما يمكن تسميته تجاوزا التاريخ الوجدانى حيث التفاعل بين الأحداث التاريخية المجردة ، والمشاعر الإنسانية التى تعيش هذه الأحداث ، وغالبا ما يصب هذا التفاعل فى قوالب فنية شعبية تمثل فى النهاية رؤية شعبية للتاريخ .

ولأن المجتمع البشرى فى حاجة دائمة إلى معرفة تاريخه لكى يظل على اتصاله بماضيه رغبة فى فهم الحاضر ، واستشراق آفاق المستقبل ، فإنه ينقل هذه المعرفة شفويا من جيل إلى جيل يليه وقد غلفها الكثير من الخيال والمشاعر والعاطفة .[1]

أن دراسة الثقافة الشعبية ، وحمايتها - جمعا وحفظا وتوثيقا- من قبل وسائل الإعلام ينبغى أن تنطلق من كون هذه الثقافة ليست تراثا منسويا إلى الماضى أو جزءا منه ، إنما باعتبارها المدخل العلمى والمنطقى لدراسة وفهم الثقافة الرسمية ذاتها ، وعندئذ تتكامل الرؤى العلمية للثقافة القومية .

إننا فى حاجة إلى تفعيل دور عناصر المأثور الشعبى لما لها من دور فعال فى توحيد الأمة والتأكيد على خصوصيتها الثقافية فكرا ووجدانا . والعودة إلى عالم المأثور الشعبى لا تعنى فى معناها عملية تكرار أو اجترار الماضى ، بل هى عملية ينبغى أن تعى تماما إمكانيات هذه العناصر وقدرتها على دفعنا خطوات على طريق المستقبل باستنفار العناصر المضيئة الفاعلة فى الماضى ، وإيقاف العناصر المحبطة والضعيفة ، فالمأثور الحى يتصل بالحاضر ويضيف إليه الكثير من الطاقات المبدعة بحيث يمكن توظيفها فى إطار مستقبل الهوية الحضارية لهذه الأمة .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص٢٠

إن الحديث عن المستقبل وثقافته يقتضى منا أن نقترب من دوائـر المـأثور الشعبى - الذى يمثل جزءا هاما من ثقافة الـشعوب - لا ننظـر إليـه بحـذر وريبة مما يجعلنا لا نثق فى قدرته على الدفاع عن الهوية والخصوصية الثقافيـة ، ولا نقف موقفا متعصبا يتمثل فى الـدفاع المطلـق عـن الثقافـات التقليديـة ، والسعى وراء أطر قديمة تستوعب الجديد من عناصر التراث .

إن تطور المأثور الشعبى أمر طبيعى من ناحية ، وضرورى من ناحية ثانية ومعبرا من ناحية ثالثة عن التطور الذى لا يمكن إيقافـه أو تعطيلـه أو منعـه ولعل الجدل الذى يدور حاليا حول دور المأثور الشعبى وأهميته فى حماية الهوية الثقافية للشعوب ، بل على إمكانية استمرارية عناصر هـذا المـأثور يـأتى مـن موقف الذين ينظرون إليه ، فالمسرفون فى التقدم كادوا أن يتنكروا لمأثوراتهم ، والمحافظون الذين هم أقرب ما يكونون إلى مأثوراتهم يقدرونها بدرجة تقترب من التقديس .

والموقف العلمى فى هذا الخلاف هو أن نحتكم للحياة نفسها هـى التـى تقوم باختيار عناصر هذا التراث تبقى منـه مـا يـصلح ، وتحـور مـا يـستحق التحوير ليبقى المأثور الشعبى فى النهاية درعا واقياً لهوية الأمم .

ثانيا : الفولكلور واقع متجدد قادر على الإسهام فى البناء الحضارى :

لا شك أن القوى الخلاقة للشعوب بكل ما لديها من مرونة فى اسـتيعاب تراث الآخرين قادرة على مواصلة خلق موروثات جديدة تمثل فى النهاية نتاج لعمليات انصهار وتفاعل بين تراث الغير والتراث الخـاص. وهـذا يعنـى أن الفولكلور ليس معطى جاهزا ، إنما هو واقع متجدد ينتخب من قبل الشعوب ليلبى احتياجاتها ، هو أبعد ما يكون عن الجمود والبدعـة، حركتـه المـستمرة تجعله قادرا على التكيف قادرا على التفاعل . ولا يمكن أن تكون مفردات هذا

المأثور مجرد مجموعة من العناصر المتباعدة ، أو الجزئيات المتفرقة ، وكيف وهى انعكاس صادق لتفاعل الإنسان مع بيئته عبر فترة زمنية طويلة .

إن عناصر الفولكلور متكاملة ومتصلة ، كما أنها متداخلة، ومتفاعلة مع بعضها ، وهذا التكامل والتداخل لا يقتصر على جوانبها الشكلية فحسب بل يتجاوز ذلك إلى المضامين المعرفية أيضا، كما أنها فى الوقت ذاته تعبيرا إنسانى عن الاتصال والتواصل البشرى ، تناغما ، وتصارعا، ثباتا وتغيرا، ومن هنا ينبغى أن ننتبه إلى ما يمكن أن يظل مستمرا منها ، وما يمكن أن يتبدل أو يتغير [1].

والمادة الفولكلورية قد لا تحفل كثيرا ببقائها حيث تلقى بنفسها فى أحضان الشعوب يشكلها كل منهم طبقا لاحتياجاته ، ويدخل عليها من التغيير والتعديل والتبديل ، وبالإضافة والحذف ما يلائم ظروف بيئته ، ومتطلبات حياته ومقتضيات عصره لهذا كلما امتد الزمن بالأدب الشعبى واتسعت رقعة متلقية ، كلما وجدنا له أكثر من صورة، وأكثر من شكل .

وهذه الظاهرة لا تضير الأدب الشعبى أو تسئ إليه ، وإنما العكس هو الصحيح إذ أنها تعطيه القدرة على البقاء ، وتجدد شبابه بحيث يستطيع مسايرة الزمن ، وخدمة الأجيال المتعاقبة . [2]

وهذا التراث يتعرض ضمن جوانب الحياة التقليدية لوطأة التبديلات والتعديلات الناتجة عن تبنى أساليب الحياة الحديثة ، والناشئة عن التوسع فى الاستخدامات التكنولوجية الحديثة ، والمتأثرة أعظم التأثير بتغير البنية

---

(١) أحمد على مرسى : الفولكلور وثقافة المستقبل ، قضية المصطلح ، مرجع سابق ، ص ١٢

(١) محمود ذهنى: بين الأدب الشعبى وأدب الطفل ، مرجع سابق ، ص ٢٩

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفقا لضرورات التحضر والتحديث[1]. والمأثور الشعبى لا يناقض العلم، ولا يقف فى وجه التقدم التكنولوجى ، فلم يعد الفولكلور من مخلفات الماضى السحيق ، التى لا يمكن تحديد تاريخها على التحقيق أو الترجيح ، ولم تعد المأثورات من الجمود بحيث لا تقبل التطور أو التغير ، لم يعد الفولكلور مجرد رواسب متحجرة تخلفت من الماضى. إن الفولكلور ليس شارة على الزمن القديم الموغل فى القدم ، وليس زائرا وافدا من بيئة أخرى . إنه جزء لا يتجزأ من المجتمع الذى يعيش فيه ، يتفاعل معه ، ويفيد منه ، إنه متجرد أبدا مهما قبل عن عراقة بعض حلقاته ، وفيه القدرة على تعديل شكله ومضمونة بتعديل وظيفته .[2]

لقد تبددت النظرة القديمة التى أوحت بها الرومانسية وهى أن الفولكلور يعين على الفرار من الواقع بالوهم أو بالحلم .. لقد أصبح تأثير الأفكار العصرية على نشأة مأثورات شعبية جديدة من أهم فروع الدراسة الفولكلورية اليوم .

وتكمن داخل الفولكلور خاصية التوفيق حيث يمكنه أن يدخل فى علاقة تفاعل مع الفنون الأخرى ، ولكن ليس معنى هذا التفاعل أن يتخلى الفولكلور عن هويته وحقه فى الوجود المستقل .

وبهذه الكيفية لا يمكن أن تكون المأثورات الشعبية وحدات مغلقة على ذاتها ، أنها فيض من الرموز والقيم والعلاقات التى ترصد حياة الناس

---

(١) رشدى صالح: الفولكلور والتنمية (الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلد السادس، العدد الرابع، ١٩٧٦) ص ١٣ .

(٢) عبد الحميد يونس : دفاع عن الفولكلور (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣) ص ١٨ .

وتتعرض هذه الرموز وتلك العلاقات عبر تناقلها لعمليات تأويـل وتبـديل بالحذف والإضافة بعضها يـستقر فى وجـدان الـشعوب كمـأثور ، وبعـضها يتوارى ربما إلى زوال فى حين تتشكل مـأثورات جديـدة ، بعـد أن تتـوفر لهـا مقومات وخصائص ، وبعد أن تكتسب عنصر الزمن فى صالحها ، وهذا أمـر يحدث بالتدرج بين مد وجذر.

إن الحياة نفسها هى التى تقوم باختيار وتقييم عنـاصر المـأثور الـشعبى ، تبقى من هذه العناصر ما يـصلح وتحـور مـا تـراه ملائـما للتحـوير ، وتخلـق باستمرار عناصر جديدة . وما دامت عناصر المأثور الشعبى متجددة ، قـادرة على المضى خطوات على طريق التطور حاملـة الكثـير مـن أشـكال وملامـح التحديث ، مادامت كذلك فإن الإعلام بوسائله المختلفة عليه أن يقف طويلا أمام هذه العناصر ، عليه أن ينتقى منها مـا يـصلح لتقديمـه وإبـرازه ، وهـو مطالب فى عملية التقديم هذه أن يحافظ على المثل والقيم التى تمثل روح هـذه المأثورات عليه أن يتطرق لدلالات هذه المأثورات فى سياقها التاريخى .

ويعتقد الباحث أن هذا قلما يحدث فى تناول الإعلام للمادة التراثية ، فكل ما يسعى إليه الإعلام فى هذا الاتجاه هو طرافة وغرابة المضامين والأشكال التى تميز الثقافة الشعبية .

ثالثا : المأثور الشعبى مصدر استلهام للفنون المعاصرة :

المـأثور الـشعبى بكـل مـا يعنيـه مـن قـيم وتقاليـد وتجـارب ، مـن إبـداعات وفنـون هـو جـزء هـام مـن حيـاة الـشعوب ، وقـد تعالـت الأصوات منادية بمزيد مـن الحمايـة لعنـاصر هـذا المـأثور، إحيـاء مـا مـات منه ، وتسجيل ما يخشى عليـه مـن الـضياع حتـى يظـل تاريخـاً حيـاً يمكـن الاعتماد عليه عند المضى خطوات على طريق المستقبل .

وفى هـذا الـصدد لابـد أن نعـترف بـأن مفـردات المـأثور الـشعبى لا يمكن أن تكون كلها خيرا لأن ذلـك يتنـافى وطبيعـة الأشـياء ، فـالزمن قـد فرض على هـذه المفـردات معـان لم تعـد صـالحة للتـداول فى عـصرنا الحـالى وفى هـذه الحالـة يـصبح التمـسك بهـا نوعـا مـن التعـصب غـير المجـدى الذى قد يقود إلى الجمـود والتخلـف ، ومـع ذلـك لا يمكـن أن ينكـر أحـد أن مـن بـين تجـارب الـسابقين مـا يـصلح للوقـوف أمامـه ، والأخـذ منـه. يـساعد عـلى ذلـك أن الوجـدان الجمعـى لا يحـتفظ بـأثر مـا مـن موروثـه الشعبى إلا بـما يـشبع حاجاتـه الروحيـة والنفـسية والاجتماعيـة والجماليـة ، ولا يختـزن منـه إلا مـا ظـل وفيـا لهـذه القـيم والحاجـات، واسـتجابة للـدوافع والحـوافز والوظـائف التـى أبدعتـه أول مـرة فى منـاخ نفـسى مماثل.[1]

والإبداع الشعبى بطبيعته ، ليس إبداعا تلقائيا ، بل هو إبداع له قواعـده وأساليبه التى تحدد طرازه المتميز بين أشكال الإبداع الفنى، وإبداع كل مجتمع يتشكل تبعا لتلك القواعد الفنية والرؤية الجمالية ، وتكمن التلقائية فى التناقل، حيث تتناقل تلك الخبرة الفنية فى إدراك الجمال والتعبير عنه ، تناقلا تلقائيا بين الأجيال .[2]

---

(١) محمد رجب النجار: الثقافة القومية المشتركة فى الـتراث الـشعبى العربـى (المنـصورة ، المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى ، دورية " الثقافـة الـشعبية ، العـدد الثانى ٢٠٠٠) ص ٨

(٢) صفوت كمال : المأثورات الشعبية (الفولكلور) والإبـداع الفنـى الجـمالى (الكويـت ، المجلس الوطنى للثقافـة والفنـون والآداب ، عـالم الفكـر ، المجلـد (٢٤) ، العـددان الأول والثانى ، وديسمبر ١٩٩٥) ص ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

وعملية الإبداع الشعبى فى حد ذاتها كإبداع ، لابد أن تخضع لقواعد الإبداع الفنى ، من حيث مراعاة القيم الجمالية (كفن) فى هذا الإبداع فليس كل عمل شعبى فنا .

إن الإبداع الشعبى المجهول المؤلف هو فى واقعه التاريخى والإبداعى إبداع فرد تناقله أبناء المجتمع ، ويمكن أن يكونوا قد أدخلوا عليه بعض التعديلات أو التبديلات أو التغييرات مما يتوافق مع هواهم ، وذوقهم ، حتى وإن كان الفنان الأصلى الذى ابتدعه قد أراده على نمط معين يتوافق مع ذوق وفكر الجماعة التى أبدع هذا الفن من أجلهم، معبراً به - على اختلاف وتنوع وسائل أشكال التعبير الفنى - عن احتياجاتهم الفنية أكثر من كونه تعبيرا عن ذاتيته ورؤيته الجمالية للحياة .

المأثور الشعبى والمعاصرة ..

لا شك أن توظيف عناصر من الفن الشعبى، سواء أكان هذا التوظيف اقتباس من مضمون العمل الشعبى، أو استخداما لبعض أشكاله فى عمليات إبداع فنى جديد، سوف يحقق التواصل الثقافى بين ما كان وما هو كائن، من أجل كشف جديد ورؤية حديثة واستشراف واع للمستقبل، دون تقوقع فى التراث، أو تحيز إقليمى ضيق، أو دون الخروج من عالم الرومانسية الحالمة إلى واقع الرؤية الموضوعية النقدية لأشكال ومواضيع الإبداع الشعبى .

إن من الأهمية بمكان أن يتنبه المجتمع إلى عملية التكامل بين ما هو ذاتى وفردى فى الإبداع الفنى، وما هو شعبى وجماعى وهى عملية هامة فى إضفاء الأصالة على كل ما هو حديث ، وإضفاء البهاء الفنى على كل ما هو تقليدى وشعبى فعمليات الإبداع الفنى والجمالى فى المجتمع ، لابد وأن تتكامل معا

باعتبار أنها فردية ، أو جماعية تعبير عن الواقع الاجتماعى الواحد الذى يعايشه الفرد أو تحياه الجماعة .[1]

يتضمن بين جوانبه قيما جمالية سوف يغلف بالأصالة كل ما هو حديث ، وسيعمل على المزيد من عمليات التكامل فى الإبداع الفنى ، الفردى والجماعى.

والإبداع سواء أكان فرديا متميزا أم جماعيا شعبيا وموروثا ثقافيا حيا ، هو شكل من أشكال السلوك الاجتماعى لبناء المجتمع، يخضع فى ممارسته لمجموعة من القيم الإنسانية المتوحدة فى فكر الإنسان وتكوينه الثقافى مع مراعاة أن " الخبرة الجمالية تختلف عن سائر خبراتنا فى الحياة ، حتى وإن لم نتفق على طبيعة هذا الاختلاف .

إن الإبداع المعاصر الذى يضع أمامه نماذج المأثور الشعبى بما فيها من قيم فنية رائعة سواء بالمحاكاة أو الاستلهام ، أو توظيف بعض عناصرها هى عملية حيوية ومطلوبة ، وينبغى أن يلعب الإعلام دورا فى تفعيلها ، واضعا فى اعتباره ما يصاحب هذه العملية من سلبيات قد تسئ إلى مكانة المأثور وقيمته.

إن عملية استخدام أو استلهام عناصر من مأثورات الشعوب فى أعمال فنية معاصرة لا يمكن أن تندرج تحت لفظ شائع خطأ فى حياتنا الفنية ، وهو " تطوير" فالفنون الشعبية تتطور بتطور المجتمع ، وتنحدر بانحدار هذا المجتمع ، لأنها تعبير مباشر صادق أمين عن واقع المجتمع بكل ما فيه من قدرات إبداعية [2].

إن العمل الفنى المعاصر الذى يسعى وراء مادة فولكلورية – مستلهما منها – ينبغى أن ينظر إلى هذه المادة باعتبارها من مظاهر الإبداع الفكرى فرديا

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٦

أو جماعيا تستحق أن تنعم بحماية مستوحاة من الحماية الممنوحة لنتاج الفكر فى الثقافة الراقية وفى ظل الحماية سوف تستمر عناصر هذا المأثور ، وربما تنطلق إلى آفاق أوسع حاملة قيما إنسانية من الممكن أن تساهم فى التصدى لمشكلات وقضايا الواقع .

أما فيما يتعلق بحق الفنون الإعلامية المعاصرة فى أن تتدخل بالتعديل والتبديل فى صياغة ما اقتبسته من المادة الفولكلورية فهذا أمر مطلوب فتلك المادة فى حاجة مستمرة إلى صياغات جديدة ، نوع من التعديل يعطى لعناصر ومفردات المأثور الشعبى القدرة على مواصلة الحياة بشرط أن يمتلك الإعلام الخبرة الفنية التى تؤهله لذلك وأن يكون مدركا تماما لطبيعة وتاريخ المادة التى يستخدمها .

إن الإعلام والتعريف بمظاهر المأثور الشعبى ، وقيم النفع المتعددة التى تتضمنها عناصر هذا المأثور يحتاج إلى عمل مدروس، وجهد شاق لفريق عمل متكامل من الإعلاميين المتخصصين فى الحقل والميدان الفولكلورى .

وإذا كان المأثور الشعبى قد تسلل إلى قنوات الاتصال الجماهيرية – المرئى منها على وجه الخصوص – عبر تاريخ هذه القنوات واستطاع أن يجد لنفسه مكانا فى هذه الوسائل إما بصورته الأصلية أو من خلال فكر معدى المادة الإعلامية فإنه ينبغى أن نشير إلى أن هذه القنوات قد وجدت فى المأثور الشعبى منهلا ثريا للكثير من أعمالها ، وهذا مما لا شك فيه سوف يدفع هذه الأعمال خطوات على طريق الأصالة القومية .

والتفاعل بين المأثور الشعبى والإعلام مجال محفوف بالمحاذير، الأمر الذى يتطلب مقدرة خاصة من قبل الإعلاميين على فهم دلالات المأثور الشعبى وأبعاده الاجتماعية وسياقه التاريخى ، هذا إلى جانب القدرة على التمييز بين

الإبداع الشعبى الحقيقى ، والمادة الزائفة المدسوسة على المأثور وهذه دون شك مهمة عسيرة تواجه أغلب القائمين على برامج ومواد الثقافة الشعبية فى وسائل الاتصال. ومن هنا فإن التأهيل العلمى ، وامتلاك الأدوات بالنسبة لهؤلاء أمر حتمى .

ويؤكد الباحث على ضرورة أن يكون من بين العاملين فى وسائل الإعلام متخصصون فى الفولكلور حتى يتم تقديمه فى إطار دلالاته الاجتماعية وسياقه التاريخى .

ويتفاعل المأثور الشعبى كذلك مع فنون الأدب الحديثة كالشعر والرواية وغير ذلك من أنماط الإبداع الأدبى المعاصر ويشكل دورا فاعلا فى صياغة تلك الفنون باتجاه العديد من الفنانين نحو استلهام المأثور الشعبى من حكايات وأساطير وأغانى وعادات وتقاليد ، ومظاهر الحياة الشعبية المختلفة.

ويستوحى عدد من مؤلفى الفنون التعبيرية - من رقصات ومسرحيات وفنون موسيقية - العديد من إبداعاتهم الفنية من مصادر شعبية سواء فى الأفكار أو أساليب العرض والأداء. ويجد الفنانون التشكيليون فى منابع التراث منهلا ثريا للكثير من أعمالهم الإبداعية مما يضفى على تلك الأعمال طابعا بيئيا وأصالة قومية تكسبها شهرة محلية وعالمية .(١)

وفى هذا الاتجاه ينبغى أن يلعب الإعلام بوسائله المختلفة دورا متزايدا حيث يدعو مبدعيه لمزيد من التفاعل مع عناصر الثقافة الشعبية بإقامة المهرجانات ورصد الجوائز لأفضل الأعمال التى اقتربت من هذه الثقافة ويعتقد الباحث أن دور الإعلام هذا سوف يتجاوز الثمار القريبة المتمثلة فى

---

(١) حصة زيد الرفاعى : الفولكلور والفنون المعاصرة ، الفولكلور فى الوسائط الجماهيرية ، مظاهر التأثيرات والتأثر بين فن الإعلام والثقافة الشعبية ، مرجع سابق ، ص١٦٧

إضافة المزيد من إبهار الشكل وغرابة المضمون إلى واقع المواد الإعلامية إلى ما هو أعمق من ذلك حيث التعبير عن هوية المجتمع .

وإذا كانت وسائل الترفيه التقليدية (الشعبية) قد تراجعت لدرجة يمكن القول معها إنها الآن تقترب من نهاية طريق اللاعودة . أين رواة الحكايات ؟ أين الفرق الجوالة والمغنيون الشعبيون ؟ أين الأمثال الشعبية فى حياة الناس ؟ أين هذا الإبداع التلقائى ؟ إنه يتوارى . وهنا يأتى دور الإعلام ، وتحديدا التليفزيون .

لم يعد الأمر يقبل أن تقتصر عناصر المأثور الشعبى فى وسائل الإعلام على مجرد كونها خلفية للأحداث والموضوعات أو بمثابة اسقاطات على الفكر السائد أو محاولة التظاهر بمد الجسور إلى الماضى .

وأخيرا ينبغى التأكيد على عدة حقائق هامة فيما يتعلق بدور وسائل الاتصال فى الدعوة إلى العودة للمأثورات الشعبية والاستلهام منها، وفى مقدمة هذه الحقائق. [1]

أولا : إن عناصر المأثور الشعبى فيها من المرونة والحيوية ما يجعلها مصدرا حيا ومتجددا للاستلهام الفنى بالقدر الذى يقبل التطور والنمو مع تطور الحضارة الإنسانية ، ونموها منذ فجر التاريخ وحتى اليوم .

ثانيا : إن هذا المأثور يستوعب عناصر متنوعة تتحقق بوسائل مختلفة ، فيها المادى وفيها المعنوى ، فيها ما يستهدف المنفعة، وما يستهدف الجمال، بل وفيها ما يستهدف الجمال والمنفعة معا ، مما يؤكد حيويته وتفاعله وتجدده .

---

(١) محمود همام : الدور الريادى لوسائل الاتصال فى الدعوة لاستلهام عناصر التراث الشعبى فى الديكور المعاصر فى مصر (المنصورة ، المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى ، دورية " الثقافة الشعبية ، العدد الأول ،١٩٩٨) ص ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

ثالثا : إن هذا المأثور يحمل من عناصر الثقافة والأصالة ما يجعله أميناً على القيم الإنسانية والمثل الأخلاقية والخصائص القومية، ليمثل فى النهاية إرثا حضاريا لا يستهان به باعتباره محصله الثقافة الرفيعة والشعبية والخبرات والمعارف والعادات والتقاليد المتراكمة عبر العصور .

رابعا : إن المأثور لا يعنى أبدا أنه تراث البسطاء وحدهم ، كما لا يعنى وهم الأميين أو ثقافة الريفيين ، بل هو تراث الشعب بأثره لا يحول دون التقدم العلمى والتكنولوجى ، بل يعين عليهما ، ويحتفظ فى نفس الوقت بأصالة الشعب وملامحه الدينية المقدسة وقسماته الدنيوية الراسخة .

خامسا : إن "العصرية" لا تعنى الانسلاخ عن تراثنا الحضارى المجيد ، وإن التطور الحقيقى لا يقوم إلا على واحدة من أعظم الركائز الإنسانية وهى "الأصالة" ويعنى بها الاعتراف الحقيقى بالتراث الشعبى ، والعمل على الملاءمة بينه وبين التقدم العلمى والتقنى (١).

سادسا : إن العمل على جمع التراث الشعبى وحفظه وتوثيقه ونشره عن طريق كافة وسائل الاتصال البصرية والسمعية المتاحة لهو واجب إنسانى أصيل وموقف حضارى نبيل ومهمة وطنية ملحة فى ضوء المتغيرات التى تحيط بالثقافة التقليدية. ذلك لأن استلهام وتوظيف هذا التراث الشعبى ، المتمثل فى شتى ألوان الفنون الشعبية والحرف اليدوية التقليدية سيكون له أبعاد حضارية وتربوية واقتصادية فى غاية الأهمية فبقدر ما فى ذلك من إثراء للبيئة الثقافية، فإن فى هذا الاستلهام الفنى وتوظيفه فى جانب حيوى هام من حياتنا المعاصرة فيه مضاعفة من قدرتنا على الإبداع الأصيل المتصل بفنون

---

(١) عبد الحميد يونس : الفولكلور بين العلم والتكنولوجيا ، مجلة الفنون الشعبية ، مرجع سابق ، ص ٤ .

الزمـان (الأدب والـشعر والموسـيقى والغنـاء ومـا إليـه) وفنـون المكـان (كالتشكيل واللون والإضاءة وما إليها).

وهكذا، فإن النتيجة الحتمية لهـذه الـدعوة إلى اسـتلهام عنـاصر الـتراث الشعبي ، والحث على توظيفها عمليـا وجماليـا هـي تحقيـق الأصـالة الفنيـة ، وتأكيد مشاعر الانتماء الحضاري والثقافي، والابتعاد عن أثر التيارات الأجنبية الوافدة والدخيلة ، والخروج من دائرة النقل والاقتباس والتعريـب إلى آفـاق الاعتماد على النفس فى الإبـداع والوقـوف عـلى مـا احتفظـت بـه حـضارتنا الإنسانية الرفيعة وثقافتنا الشعبية العريقة من خيرة وحـذق ومهـارة ، وتـدل عليها هذه الشواهد الحية المتنوعة من الإبداعات التى صاغها الفنان الشعبى ، بكل ما تحمله من قيم جمالية متوارثة عبر الأجيال ، وبكل مـا تنفـرد بـه هـذه الفنون الشعبية والحرف التقليدية من خصائص مميزة ومتميـزة تؤكـد هويتنـا المحلية ، التي تستحق مكانها ومكانتها العالمية اللائقة بها تحت الشمس .

رابعا : المأثور الشعبي والتنمية..

نبعت فكرة الاهتمام بالثقافة الشعبية فى ظل متغيرات تكنولوجية لم يسبق لها مثيل يشهدها عالم اليوم ، ولعل أحد أهم العوامل التى تضاعف من الحاجة إلى دراسة المأثور الشعبي ، وتصعيد أهميته فى وسـائل الإعـلام مـا يمكـن أن تضيفه عناصر هذه المأثورات إلى واقع التنمية.

إن المـأثور الـشعبي هـو أكثـر العنـاصر الإنـسانية تعبـيرا عـن روح الجماعـة ومن هذا المنطلـق يمكـن توظيـف - بـل وينبغـي توظيـف - هـذه العنـاصر لخدمـة قـضايا التنميـة عنـدما توضـع فى شـكل معلومـات أمـام صانعي ومتخذي قرارات التنمية .

وإذا كــان هــدف التنميــة الحقيقــي هــو إحــداث تغيــير جــذري في الواقع الاجتماعي ومنظومة القـيم التقليديـة عـن طريـق إدخـال المزيـد مـن مفـردات التكنولوجيـا الحديثـة ، والأنـماط الـسلوكية المـصاحبة لهـا فـإن هذا قد يعنى احـتمالات للمواجهـة بـين الـدول المستهدفة بخطـط التنميـة ، ومـا يخطـط لهـا مـن تغييـب لخـصوصيتها التاريخيـة وهويتهـا الحـضارية وهذا يعنى المزيد من الحذر عند التعامل مع وجه التنمية التكنولوجى.

ويعرف محمد الجوهرى التنمية بأنها عملية تغير ثقافى دينامية (أى متصلة وواعية) موجهة ، تتم فى إطار اجتماعى معين بصرف النظر عـن حجـم هـذا المجتمع، وترتبط عملية التنمية بازدياد أعداد المشاركين من أبنـاء الجماعـة فى دفع هذا التغير وتوجيهه، وكذلك الانتفاع بنتائجه وثمراته[1] .

والتنمية فى رأى الجوهرى تشمل المجالات الإنسانية كافة ، ولا يتوقـف دور الجماعة المستهدفة بالتنمية على تنفيذ الأوامـر ، والانـضباط تحـت مظلـة القوانين ، ولكن لابد هنا من مشاركة فاعلة ومؤثرة لتلك الجماعة فيما يتعلـق باتخاذ القرارات الخاصة بأهداف التنمية . وتصل نتائج هـذا التعريـف إلى أن التنمية لا تتوقف على النمو الاقتصادي وإنـما تـشتمل عـلى التغيـير الثقـافي ، والتغيرات المحـددة فى البنـاء الاجتماعي وهذا يتطلب جهود الكـل لـصالح الكل[2].

ويذهب محمد الجوهرى إلى أبعد من ذلك حينما يعد مجموع ظواهر التغير الثقافى الدينامى الواعى والموجه لب عملية التنمية ، وحتى تنجح هذه العملية

---

(١) محمد الجوهرى : علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث (القاهرة، دار المعـارف ، طبعة أولى ، ١٩٨٥) ص١٤٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٥ .

لابد من تنشيط وتعبئة هذه العناصر وتخفيف وطأة الأساليب التقليدية . وإعادة صياغتها أو حذف بعضها عند الضرورة [1].

وعملية التنمية هذه لا يمكن أن تتم بشكل تجزيئى، ذلك أن التغير التكنولوجى لا يمكن أن تكون له فعالية تذكر إلا فى إطار الثقافى الكلية ونظمها الاجتماعية مجتمعة .

وقد استطاع بعض الأنثروبولوجيين بالفعل التوصل إلى وضع بعض النماذج التنموية كتلك التى قدمها "ليدز Leeds" و "أدامز Adams" ،وفيها وضعا كما هائلا من المعلومات المفيدة تحت تصرف مخططى مشروعات التنمية ، وكذلك أشارا إلى المناهج الملائمة لبرامج تنمية المجتمعات المحلية [2]. والثابت أن الصلة وثيقة بين المأثور الشعبى والتنمية من حيث المفهوم والمضمون والأهداف والبرامج . وبعيدا عن مساحة الالتقاء بين المفهومين المأثور والتنمية، فإن التنمية التى تدور حول الإنسان - الهدف والوسيلة - تدور حول سلوكيات الأفراد وأنماط تفكيرهم ، وأعتقد أن هذه السلوكيات وتلك الأنماط هى قوام الثقافة الشعبية .

أما تنفيذ البرامج التنموية فهو ليس مرهوناً بالمعلومات الإدارية والتكنولوجية وحدها بل لابد من مشاركة الواقع الاجتماعى والثقافى من خلال الاطلاع ومعرفة واستثمار العادات والمعتقدات والتقاليد والأدوات التقليدية وأنماط وأساليب العلاقات الاجتماعية ، أى أنه لا مناص من الوقوف على المخزون التراثى واستغلاله لفتح الطريق أمام تنفيذ برامج التنمية ، وأى

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٦ .

(٢) محمد الجوهرى : علم الفولكلور ، الأسس النظرية والمنهجية ، مرجع سابق ، ص.

إغفال لهذا الجانب يعنى مزيدا من هدر الطاقات البشرية ، وبعثرة الموارد المالية على برامج تنموية ينقصها التخطيط الشامل [1].

إن سياسات التنمية ينبغى أن تنطلق من قواعد ثقافية حاملة بعض التغيرات الثقافية المدروسة بعناية متجهة نحو تحقيق أهداف معينة وفق مراحل وخطوات محددة .

وفى هذا المجال لو افتراضنا أن جهة حكومية أو خيرية أقامت مستشفى عاما فى إطار التخطيط التنموى فى منطقة ما وكان من مهام هذا المرفق تقديم الخدمة الطبية المجانية للوسط الاجتماعى الذى حل فيه فإنه سوف يصطدم بالسقف المعرفى والقيمى لهذا الوسط إذا كان الطب الشعبى ما يزال يشكل المرجعية الرئيسية له فى المجال الطبى وسيكون مصير هذا المستشفى الإخفاق ما لم تجرى دراسات وافية لهذا الشان تضع فى الاعتبار تأثيرات المأثور الشعبى على هذا الجانب الحيوى من الحياة ، وقس على ذلك ما يتوقع حصوله للمجالات الأخرى ، وبخاصة فى الزراعة والتعليم والمرأة والطفل والمهنة [2].

وعلى الجانب الأخر لابد أن نشير إلى أن تجارب بعض المجتمعات تؤكد على أن التنمية كان لها وجهة نظر فى غير صالح المأثورات ، بل وصل الأمر فى بعض الأحيان إلى أن تضع التنمية نهاية لمجموعة كبيرة من عناصر الثقافة الشعبية .. فالتنمية المصاحبة لاكتشافات النفط فى منطقة الخليج مثلا أحدثت تغييرات كبيرة فى المجتمع وانعكس هذا بالطبع على العادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بتلك المجتمعات . أين الغواصون ؟ ولماذا تراجعت

---

(١) التراث الشعبى ، جامعة الإمارات العربية ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٢) نايف النوايسة : تأثير التراث الشعبى على التنمية (المنصورة ، المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى ، دورية " الثقافة الشعبية " العدد الثانى ٢٠٠٠) ص ٣٥١ .

قوارب الصيد ؟ .. لقد اتجه هؤلاء أو بمعنى أدق معظم هـؤلاء إلى شركـات البحث والتنقيـب وتكريـر الـنفط ، ومـع هـذا الاتجـاه انحـسرت الأغـانى والأهازيج والرقصات الشعبية التى كانـت ترافـق الإنـسان فى رحلاتـه مـع البحر. وينطبق هذا على كل مجالات الحياة التقليدية .

وعند الحديث عن العلاقة بين التنمية والمأثور الـشعبى ، ومـا يمكـن أن تضيفه عناصر هذا المأثور إلى واقع التنمية لابد أن يؤكد على أنها علاقة شائكة، فما أكثر ما تضيفه عناصر الثقافة الشعبية إلى التنمية ، ولكنها – أقصد عناصر الثقافة الشعبية – قد تفرض عقبات كثيرة أمام المزيد من الانطلاق على طريق التنمية أى أن للمأثور الشعبى أثار إيجابية وأخرى سلبية على الواقع التنموى. ولعل أبرز هذه الآثار السلبية :

- التقليل من شأن المرأة وإقصاؤها عن مجالات الحياة العامة .
- التواكل والاستسلام والرضا بالواقع دون الطموح .
- عدم الالتفات لقيمة الوقت ومحاولة استغلاله .
- الإيقاع البطىء الذى لا يناسب حركة الحياة فى الألفية الثالثة. ولعـل أبـرز الآثار الإيجابية فى هذا الصدد تكمن فى :
- ما يتضمنه المأثور الشعبى من فكر عن التدبير والتخطيط والتوفير والتعاون.
- المحافظة على المنجزات العامة .
- التركيز على مسائل التربية خلال التنشئة الاجتماعية وتربية الطفل.

إن الموقف يقتضى منـا جميعـا التركيـز عـلى الجوانـب الإيجابيـة لعنـاصر ومفردات الثقافة الشعبية، ووضع سياسات اجتماعية ودراسات علمية تقـف على جوهر المعوقات الثقافية التى تلامس أهداف التنمية، وأن يكـون هنـاك

تخطيط مدروس بين الباحثين فى المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تكون ثمرته دفع عملية التنمية دون الوقوع فى بعض مزالق التراث [1].

وهنا لابد من ضبط الاتجاه بعلامات واضحة على النحو التالى [2]:

- تطوير وتنمية الصناعات التقليدية الشعبية دون أن يلحق بأصالتها تشويه .
- تطوير الفنون الشعبية دون إفسادها بالتدخلات الفنية والإدارية .
- إجراء مواءمة بين وسائل الإعلام التنموى ومصادر الثقافة الشعبية.
- إجراء مسموحات ميدانية للمأثور الشعبى على مستوى الوطن العربى لتحديد النماذج والمواد التراثية التى من شأنها المساعدة فى دفع عجلة التنمية كالمسرح الشعبى والأغانى الشعبية والصناعات التقليدية .
- إقامة مراكز علمية تعنى بموضوع التراث ، وتكون على صلة بمؤسسات التخطيط للتنمية لتأتى الثمرة نابعة من جهد مشترك .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٦٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ص ٣٦٠ ، ٣٦١.



الفصل الثاني

استراتيجيات هذا التصعيد

الفصل الثانى

استراتيجيات هذا التصعيد

إن الاهتمام المتزايد بالثقافة الشعبية ربما صاحب المتغيرات التكنولوجية الهائلة التى يشهدها عالم اليوم وتؤثر بشكل ملحوظ على ملامح الخصوصية ، وربما تهدد بما هو أكبر من التأثير حيث يتوقع بعض المفكرين أن تختفى هذه الخصوصيات على المدى البعيد لتجد الشعوب نفسها أمام نماذج ثقافية موحدة تصدرها دول تمتلك أحدث نظم الاتصالات والمعلومات .

وبعيدا عن إمكانية أن يحدث هذا أم لا ، فإن هناك أسباب منطقية جعلت أولى الأمر من المهتمين بقضايا الأصالة والحفاظ على الهوية العربية يتنبهون إلى ضرورة ، بل وحتمية الاهتمام بالثقافة الشعبية ، وإلى الدور الذى يمكن أن يلعبه الإعلام فى هذا المجال .

إن الساحة الدولية تشهد فى الوقت الراهن مجموعة من المتغيرات التى ألقت بظلالها على الثقافات الإقليمية ، ومن المتوقع أن يكون لمثل هذه المتغيرات آثار سلبية على واقع ومستقبل تلك الثقافات ، وتبقى المهمة ثقيلة .. كيف يمكن دعم الثقافات الإقليمية فى مواجهة موجات العولمة المتلاحقة ؟ إن الإجابة تكمن فى تطوير الخطاب الثقافى ، وتصعيد أهمية الثقافة الشعبية فى الإعلام بوسائله المختلفة ، والتأكيد على دور هذه الوسائل فى مراعاة الخصوصية الثقافية والقومية ، والعمل من خلالها ، والتصدى لكل حملات تغريب الثقافات الوطنية ، وهذا يقودنا إلى الحديث عن استراتيجية إعلامية تعمل على أو بمعنى أدق تنطلق من تصعيد أهمية الثقافة الشعبية باعتبارها

جوهر الثقافة القومية وروح المجتمع ، وتقوم هذه الاستراتيجية على ثلاثة محاور رئيسية هى :

أولا: التطوير فى مضمون الخطاب الثقافى الذى يحمل بين طياته عناصر ومفردات المأثور الشعبى ، خاصة عندما يكون موجها للغرب .

ثانيا : التطوير فى شكل هذا الخطاب من حيث (الوسائل والأساليب) .

ثالثا : تأهيل وإعداد من يقوم بالخطاب الثقافى ، خاصة هؤلاء الذين يسعون إلى عناصر المأثور الشعبى كمادة لبرامجهم .

أولا : التطوير فى مضمون الخطاب الثقافى الذى يحمل بين طياته عناصر ومفردات الثقافة الشعبية ..

يتطلب تطوير الخطاب الثقافى الذى يهدف إلى دعم الهوية عن طريق إحياء نماذج المأثور الشعبى الناجحة ، والوقوف على ما فيها من قيم وسلوكيات التجديد فى فكر التعامل مع الإبداع الشعبى باعتباره تعبير عن فكر ووجدان المجتمع كما أنه فى الوقت نفسه تقييم لجوانب من حياة المجتمع الذى صنعها بذاته ، ومعرفة أيضا بقيمة الإنسان ، وإدراك لإحساسه وشعوره ، وتفسير لدلالات هذا الإبداع المرتبط أساسا بعملية الوجود الثقافى للإنسان فى المجتمع ما بين الوجود الثقافى العالمى للإنسان ككل .[1]

وعلى هذا الأساس فإن الدور الذى يمكن أن يلعبه الإعلام فى التعريف بالمأثور الشعبى ، وتصعيد أهميته ، يمكن النظر إلى هذا الدور على اعتباره نافذة من خلالها نطل على عالم هذا المأثور ، على ماض ينبغى أن يكون قاعدة

---

(١) صفوت كمال: استلهام عناصر من الفولكلور فى الإبداع الفنى الحديث (القاهرة ، مجلة الفنون الشعبية ، العدد (١٨) ، ١٩٨٧) ص ١٦

انطلاق نحو مستقبل أفضل وهنـا يظهـر الأثـر الكبـير فى الـدعوة للتمـسك بالأصالة الفنية ، والسمات الحضارية المتمثلة فى مأثورات الشعوب.

إن تطوير الخطاب الثقافى يكمن فى الكشف من جديد عن القيم الإنسانية العليا فى الإبداع الشعبى ، والتأكيد على أن ذلك يضفى حداثة على القديم كما أنه يعطى أصالة للإبداع الفنى الحديث ، على أن يتم ذلك فى تواصل ثقافى بين ما كان ، وما هو قادم فى مستقبل الأيام [1].

وكذلك فى توعيه المتلقى بأهمية الفولكلور باعتباره عنـصرا مـن عنـاصر الذاتية، والمساعدة على استحثاث الوعى بقيمة الفولكلور، وضرورة صونه . ولا شك أن نشر الإعلام للعناصر المكونة لهذا التراث الثقافى بشكل معاصر ، وعلى نطاق واسع يعد من الأمور الجوهرية التى ينبغى أن يعيها القائمون على الإعلام ومنظروه . ولكن من المهم عند الاضطلاع بهذه المهمة تلافى كل تشويه ضمانا لسلامة التقاليد الموروثة .

والنتيجة المباشرة لدور وسائل الإعلام فى تـصعيد أهميـة وقيمـة المـأثور الشعبى تكمن فى إيجاد منظومة متكاملة للأخذ بكل أسباب النهضة والتطـور والنمو مع الوضع فى الاعتبار القيم المتوارثة، هذا بالإضافة إلى نـشر التـذوق الفنى ورفع مستوى الحـس الجـمالى بعـد نـشر التعريـف العلمـى والتربـوى المدروس بمواطن الجمال الكائن فى إبداعات الفنان الشعبى .

إن تطوير الخطاب الثقافى ، وتصعيد الإعلام لأهمية الثقافة الشعبية يـأتى عن طريق :

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧ .

١ - إعادة النظر بالدراسة والفهم للمفاهيم والقدرات الكامنة والعناصر الخبيئة فى المأثور الشعبى ، مع اعتماد العناصر التراثية محورا للهوية الثقافية، فالمأثور الشعبى هو المحدد لملامح هوية الشعوب الثقافية ، وهو القادر على تحقيق الاتزان النفسى والاجتماعى لهذه الشعوب .

٢ - التعريف بالمأثور الشعبى الأصيل فى كافة صورة المادية والمعنوية ، وبقيمته التاريخية والحضارية عبر العصور .

٣- التوسع والإسراع فى عمليات جمع وتسجيل مختلف أنماط وأشكال مواد الإبداع الشعبى .

٤ - طرح موضوعات محددة من الإبداع الشعبى للمناقشة العلمية الدقيقة بهدف الكشف عن الخصائص الفنية لعملية الإبداع الشعبى.

٥- زيادة المساحة الإعلامية لمواد الفنون الشعبية وإحياء النماذج الناجحة لهذه المواد التى تعكس التغيرات الاجتماعية التى عاشها الإنسان .

وإذا كان الإعلام بمؤسساته المختلفة يلعب الآن دورا كبيرا فى رسم ملامح مستقبل الثقافات ، فأن الأمر يقتضى على تلك المؤسسات الإعلامية بما تملكه من مفردات تكنولوجية حديثة أن تقترب أكثر من دوائر الثقافة الشعبية فى محاولة لتفعيل هذه الثقافة ، والتأكيد على دورها فى صياغة الواقع الراهن بالكشف من جديد عن القيم الإنسانية العليا فى هذا الإبداع الشعبى ، الذى يضفى حداثة على القديم ، كما أنه يعطى أصالة للإبداع الفنى المعاصر .

إن التفاعل بين الإعلام والمأثور الشعبى فى عصر العولمة ، أصبح واقعا ينبغى التعامل معه بفكر جديد ، فالمفاهيم الاصطلاحية والكلاسيكية المحدودة التى غلفت علم الفولكلور ولفترات طويلة يجب أن يعاد النظر فيها

، فى ظل متغيرات حتمية تفرض نفسها الآن على الواقع المعاش للمجتمعات ، وهذا لا يعنى تراجع مثل هذه المأثورات، وإنما هو تعديل وظيفى فرضه المناخ التكنولوجى .. مهام جديدة سوف يحملها المأثور الشعبى فى الوقت الذى سيتخلى فيه عن بعض المهام الأخرى، وعلى سبيل المثال فالكلمة المروية التى كانت تتصدر قائمة المفردات الشعبية فى المفهوم التقليدى للفولكلور تراجعت حيث تحول الناس عن حلقات القص الشعبى ، بعد أن فقدت هذه الحلقات كونها وسيلة ترفيهية، فالإنسان المعاصر شغلته ظروف الحياة المعقدة فاتجه فى وقت فراغه المحدود إلى قراءة الصحف ومتابعة برامج الإذاعة والتليفزيون. وهذا يعنى أن الوسائط الجماهيرية لم تعد مجرد بديل ترفيهى فقد تجاوزت ذلك لتصبح أداة فعّالة فى التأثير على الناس على الرغم من حواجز المكان والزمان التى تفصل هذه الوسائل عن متلقيها .

إن وسائل الإعلام باعتبارها حاملة ، وناقلة للمنتج الفكرى ، وحافظة للقيم الإنسانية ، وآخذة بكل أسباب التطور والنمو ، والتفاعل الحى المتجدد فى مسيرة تواصل الأجيال عليها أن تلعب دورا رياديا فى التعريف بالثقافة الشعبية من جديد ، وإحياء نماذجها الناجحة بشكل عقلانى حيث إن معطيات العصر لم تعد تقبل الاستغراق فى ألوان الخطاب التى تعتمد على الخرافة والأسطورة والخيال البعيد عن منجزات العصر ، وبالدعوة إلى استلهام عناصر هذه الثقافة وتوظيفها عمليا وجماليا فى كل المجالات . أما فيما يتعلق بالتعريف بالثقافة العربية بصفة عامة فمسئولية ذلك تقع على عاتق المخطط الإعلامى، وصانعى السياسات فى الإعلام العربى وفيما يلى بعض الاقتراحات التى قد تساعد على تحقيق هذا الهدف :

أولا: دعوة الإعلاميين من المهتمين بقضايا الثقافة فى شبكات التليفزيون العالمية لحضور المؤتمرات العربية التى تعقد بشأن واقع ومستقبل الفكر الثقافى العربى ليطلع هؤلاء بأنفسهم على مدى تطور وانفتاح المفكرين العرب ، وتدخل فى هذا النطاق المؤتمرات التى تهدف إلى تناول المأثور الشعبى العربى وقضاياه .

وإلى جانب ذلك بث وقائع هذه المؤتمرات على الفضائيات العربية مصحوبة بالترجمة إلى اللغات الأجنبية حتى يشاهدها العالم .

ثانيا: تكثيف الاتصالات ، وتقوية العلاقات مع صانعى السياسات الإعلامية فى الغرب وذلك لحث هؤلاء على إعادة ترتيب أوراقهم فيما يتعلق بالصورة النمطية التى فى أذهانهم عن العربى .

ثالثا: توحيد وتنسيق الجهود العربية فى مجال الإعلام، مع تشكيل هيئة إعلامية متخصصة تكون مهمتها متابعة أهم الرسائل الإعلامية التى تعتمد فى مادتها على عناصر ثقافية بحيث يمكن وضع بعض المعايير التى من شأنها تقديم المادة التراثية بشكل يضمن بلورة الركائز الأساسية للشخصية العريقة .

ثانيا : التطوير فى شكل هذا الخطاب من حيث (الوسائل والأساليب).

المحور الثانى من محاور استراتيجية تصعيد أهمية الثقافة الشعبية فى وسائل الإعلام يكمن فى شكل الخطاب الثقافى الذى يجعل من المأثور الشعبى هدفا له، وتطوير هذا الشكل يعنى استخدام الوسائل والأساليب العصرية فى نقل وتوصيل عناصر ومفردات المادة الشعبية ، وكذلك الاستعانة بأفضل الأشكال الإعلامية ، وأكثرها تأثيرا على المجتمعات ، والاستفادة الكاملة من الثورة التى يشهدها العالم حاليا فى مجال الاتصال والمعلومات .

إن وسـائل الإعـلام تمثـل الآن أحـد أهـم الـصور البـارزة للتغيـيرات التكنولوجية التـى دخلـت حياتنـا، وأصـبحت المـؤثرات الإعلاميـة قـادرة عـلى تـشكيل الحيـاة الاجتماعيـة، والثقافيـة داخـل المجتمعـات، فمنـذ منتـصف الثمانينـات ، وحتـى الآن أصـبح الإعـلام بمختلـف وسـائله، أكثر التصاقا ببنـاء المجتمـع المعـاصر، والمتأمـل لواقـع هـذا البنـاء لابـد أن يـضع فى اعتبـاره الـدور الرئيـسى للإعـلام والمتمثـل فى خلـق الواقـع الاجتماعى للشعوب .

لقد ساد الإعلام ووسائله الإلكترونية الحديثة ساحة الثقافـة حتـى جـاز لبعض المفكرين أن يطلق عليها ثقافة "الميديا" و " ثقافة التكنولوجيا " و " ثقافة التكنولوجيا المتعددة " [1].

وهذا التدخل الصارخ فى ثقافات المجتمعات عن طريق وسائل الإعلام ، أصبح أمرا واقعيا ، وهو لا يقل خطـورة عـن التـدخل فى شـئونها الـسياسية والاقتصادية ، فالمضمون الإعلامى الوافد من الممكن أن يهدد الذاتية الثقافيـة للمجتمعات ، كما أنه يأتى فى مقدمة العوامل التى تساعد عـلى اهتـزاز أنـماط القيم السائدة فى المجتمع ، وعلى الجانب الأخر - ولكى تكتمل الصورة - فقد صاحب عمليات التقدم العلمى والتطورات التكنولوجية المعقدة التى مست الحياة اليومية للإنسان مساً مباشراً فى عـصرنا الحـاضر اهـتمام كبـير بدراسـة مأثورات الشعوب ، والحفاظ على المقومات المميزة لثقافات المجتمعات بهدف المحافظة على شخصيتها الفنية والفكرية ، وإبراز القدرات الإنسانية حتـى لا

---

(1) A. Giddiness, Modernity, Self-identity: self and society in the late modern: age, Stanford. CA Stanford university press. 1999. PP 21. 28

تطغى " الصنعة " على " الإبداع " وتلقى ملكات الإنسان الخلاقة خلف الكم الكبير من الإنتاج الآلى .

ولابد أن نقر فى البداية أن استخدام المفردات الفولكلورية فى وسائل الإعلام حق مشروع ، بل هو أمر مطلوب لمزيد من الحفاظ على هذه المفردات فالعناصر الفولكورية التى تصل إلى وسائل الإعلام لا شك أنها تستجمع قواها مرة أخرى لتواجه بذلك كل محاولات التهميش .

والتساؤلات التى يمكن أن تطرح عند دراسة العلاقة بين الإعلام والمأثور الشعبى .. إلى أى مدى يمكن أن يضيف الإعلام إلى واقع المأثورات الشعبية ؟ .. وما هى طبيعة هذه الإضافة ؟ والمنتج الإعلامى القائم على مادة فولكلورية هل هو مجرد محاكاة وتقليد لأشكال فى الإبداع الشعبى دون إدراك لوظيفة هذا الإبداع أو معرفة دلالاته الاجتماعية ، وسياقه التاريخى ؟ .. وعندما يضع الإعلام المأثور الشعبى هدفا له هل يبحث بذلك عن الأصالة والجذور أم أنه مجرد انبهار بما تحمله المادة الفولكلورية من قوة التعبير وصدقه ؟ .. هل يعى الإعلام مسئوليته الاجتماعية تجاه هذا المأثور أم أن ما يحدث ما هو إلا تعاطف غير واع مع ذكريات مجتمعيه ، وحنين عاطفى إلى أشكال من التعبير ذات خصائص قومية ؟ .. هل هو انعطاف فى الحركة الفنية والثقافية المعاصرة نحو منابع يفترض فيها السهولة ووضوح المعنى؟.

تلك هى الأسئلة والمعايير التى ينبغى أن تطرح عند مناقشة وتقييم ودارسة العلاقة أو بمعنى أدق علاقة التفاعل بين الإعلام والمأثور الشعبى .

والحق الممنوح لوسائل الإعلام فى تعاملها مع المأثور الشعبى ليس حقا مطلقا بمعنى أن هذه العملية تحتاج إلى خبرة فنية ، وإدراك تام لطبيعة وتاريخ

المادة الفولكلورية المستخدمة، بالإضافة إلى الاحتياجات الثقافية التى تقتضيها الحداثة والتطور .

ولا شك أن المادة الفولكلورية فى حاجة مستمرة إلى صياغات جديدة نوع من التعديل يعطى لهذه المادة القدرة على مواصلة الحياة ، وهذا التعديل لابد أن يحمل قيما تربوية وتعليمية تعالج الموضوعات الحياتية التى يفرزها الوقت الراهن .

حماية الموروث الشعبى وصياغته فى قوالب عصرية ..

واقتراب الإعلام من دوائر المأثور الشعبى أم محفوف بالمخاطر فقد يحمل هذا الاقتراب نوعا من المضاهاة ، أو الاستنساخ دون الوقوف على الطاقات التى تختزنها عناصر هذا المأثور .

كما أن هذا الاقتراب فى بعض الأحيان قد يعنى تشويه المأثور وإفراغه من محتواه بدعوى العزف على أوتار الحداثة ، وتقديمه لغير أصحابه بما يتفق مع أذواق هؤلاء .

أما الاقتراب المطلوب وعلى وجه السرعة فينبغى أن تتضافر الجهود لانجاحه بحيث لا يقتصر الأمر على المؤسسات الإعلامية فقط بل هى مشاركة مجتمعية تقودها وسائل الإعلام واضعة فى اعتبارها . إن الدول فى غياب النموذج الثقافى سواء بالقسر أو بالتقليل من شأنه كان حالها يؤول دوما إلى الضعف ، وتميل ثقافتها إلى التبعية الثقافية.

إن العمل الإعلامى الذى يسعى وراء مادة فولكلورية ينبغى أن ينظر إلى هذه المادة باعتبارها من مظاهر الإبداع الفكرى فرديا أو جماعيا تستحق أن تنعم بحماية مستوحاة من الحماية الممنوحة لنتاج الفكر فى الثقافة الراقية . وفى

ظل هذه الحماية سوف يستمر هذا المأثور، وربما ينطلق إلى آفاق أوسع حاملا معه قيما إنسانية من الممكن أن تساهم فى التصدى لمشكلات وقضايا الواقع .

أما فيما يتعلق بحق الإعلام فى أن يتدخل بالتعديل والتبديل فى صياغة ما اقتبسه من المادة الفولكورية فهذا أمر مطلوب ، فتلك المادة فى حاجة مستمرة إلى صياغات جديدة ، نوع من التعديل يعطى لهذه المادة القدرة على مواصلة الحياة، بشرط أن يمتلك الإعلام الخبرة الفنية التى تؤهله لذلك ، وأن يكون مدركا تماما لطبيعة وتاريخ المادة التى يستخدمها .

التليفزيون والمأثور الشعبى ..

لا شك أن التليفزيون بما يملكه من قوة تأثير غير مسبوقة على قطاعات كبيرة من المجتمع عليه الكثير فى مجال الحفاظ على الخصائص المميزة فى الإبداع الشعبى ووقايته ، وقبل مناقشة هذا الدور المستقبلى للتليفزيون فى مجال نشر وحماية المأثور الشعبى يطرح الباحث بعض التساؤلات : ما هى علاقة البرنامج التليفزيونى على اختلاف أشكاله بالمأثور الشعبى؟.. هل هى علاقة تعى ما فى المأثور من قيم إنسانية تراكمت عبر العصور أم أنها علاقة يغلفها نوع من الانبهار بما يحمله هذا المأثور من الطرافة والصدق والبساطة ؟.. ما هى الدوافع وراء هذه العلاقة وهل هو الانتماء ، ومراعاة الأبعاد والقومية أم أن الأمر لا يخرج عن كونه تعاطف غير مسئول ، وانعطاف تلقائى فى الحركة الفنية المعاصرة ؟ وهل هى علاقة تهدف إلى استثمار شعبية المأثور وما يتمتع به من مكانه فى القلوب ؟

أسئلة كثيرة ينبغى أن نطرحها عند مناقشة هذا الموضوع الشائك العلاقة بين المأثور الشعبى وأشكال وأساليب البرامج التليفزيونية . على أن تصدى التليفزيون للمادة الفولكلورية لا يمكن تحقيقه إلا من خلال جهود علمية

تعتمد على مجموعة متكاملة من الباحثين ، تسعى إلى استخلاص مواد هذه المأثورات من بيئتها المختلفة مع الوقوف على الأصول التاريخية لمواد هذه الموروثات بعناصرها المختلفة[1].

وهنا ينبغى أن نؤكد على أهمية الدراسة الميدانية لفرق العمل التليفزيونية حتى نصل إلى دلالات هذه العناصر الفنية والاجتماعية والنفسية .

على التليفزيون أن يسرع إلى تسجيل ظواهر ومظاهر الإبداع الشعبى ، والعمل على تصنيف هذه المواد تصنيفا موضوعيا علميا حتى يمكن استيعاب ما هو موجود ، وتتبع ما قد يحدث من تغيير فى أشكال هذا الإبداع وموضوعاته .

إن التليفزيون ، ونحن على أعتاب مرحلة قادمة ، مرحلة قد تهمش فيها الثقافات المحلية عليه أن يبحث وبدقة عن الأصول الصافية والمنافع الأصلية للمأثور الشعبى ، والتعرف الصحيح على كنوزه ونفائسه التى تمثل جانبا من حضارة البشرية ، وهو بذلك قد يعيد الحياة إلى قيم إنسانية عليا كامنة فى هذا الإبداع الشعبى، وأنه بعمله هذا يضيف على القديم المزيد من الحداثة.

إن المأثور الشعبى مصدر غنى بالنسبة للتليفزيون ، وعلى العاملين فى هذا المجال أن يعوا تماما هذه الحقيقية لابد أن يعودوا إلى صفحات هذا المأثور لاختيار ما يرونه مناسبا لطبيعة الفترة ومقتضياتها ، لابد أن تكون هناك معايير

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :
" نص الاتفاقية الدولية لصون الفولكلورية فى :
محمد الجوهرى : حماية التراث الشعبى دور مستقبلى لعلم الفوكلور (المنصورة ، المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى دورية الثقافة الشعبية ، العدد الأول ، ١٩٩٨) ص ١٠-٣٨ .

تضعها الاستراتيجيات الإعلامية ، يشـارك فـى ذلك بعض المتخصـصين فى مجال الفولكلور .

وفى محاولة لرصد المادة الشعبية فى وسائل إعلام العولمة -المرئى منها على وجه الخصوص - نجد أن استخدام الفولكلور فى محتوى المـادة الإعلاميـة لا يخرج عن :

١ - إحداث أثر ما فى نفس المتلقى بعيدا عن دوائر الفولكلور كخبرات حياة ودلالة اجتماعية وسياق تاريخى.

٢ - المحاكاة والتقليد حيث يعاد عرض الظاهرة الفولكلورية فى صورة قريبة الشبه من الحدث الشعبى الحقيقى على سبيل المحاكاة والتقليـد بغـرض توظيف واستغلال ما فى المادة الشعبية مـن غرابـه تثـير فـضول المتلقـى بحيث يتوقف عندها وقفة المنبهر بالمحتوى الشكلى .

٣- وهناك الفولكلور الذى يستخدم فى أغراض تجارية كالإعلان عن السلع والمنتجات .

وعند تقييم محاولات الاستفادة من المأثور الشعبى فيما يقدمه التليفزيـون من مادة ثقافية وترفيهية يمكن القول :

أولا: إن عملية اللجوء إلى المأثور الشعبى فى كثير من الأحيان هى أقـرب إلى محاولة للهروب من معالجة ما هو معاصر وراهن ، وتصبح المـادة التراثيـة المنتقاة على هذا الأساس مادة ترفيهية تساهم فى إبعاد المشاهد عن واقعه وعن فهم واستيعاب المشكلات التى تواجهه ، وبذلك تـصبح مـادة تقـوم بمهمـة التضليل بقصد أو وعى من مرسلها أم بغير قصد.

وتساهم عمليا هذه المادة فى تشويه وعى المشاهد ، وهـذا يـسير فى اتجـاه يخالف المرجو مما ينبغى أن تفعله المفردات الموروثة خاصة وهى قادرة على فهم الواقع والتعامل مع قضاياه. وإلى جانب ذلك فإن هذا التناول للمأثور الشعبى سيساعد على تلاشى ملامحه وتزييفه.

ثانيـا: تخضع عملية الانتقاء أو الاختيار إلى معايير ذاتية (وهذا نـادرا مـا يكون العامل الحاسم فى الاختيار) أو إلى معـايير خارجيـة متمثلـة فى طبيعـة الثقافة السائدة المرتبطة عضويا بطبيعة النظام السياسى والاقتصادى السائد (وهذا غالبا ما يكون العامل الحاسم). إنها عمليـة إخـضاع المـأثور الـشعبى لتوجيهات سياسية ولنظم حاكمة وفق المتطلبات المصلحية لهـذه الـسياسات وتلك النظم.

ثالثا: يؤدى هذا إلى تشويه المـأثور وكـذلك تـشويه رؤيـة المـشاهد لهـذا التراث الأمر الذى يؤكد أننا فى النهاية أمام عمل "مفبرك" الغرض منه جعل المأثور الشعبى يقول ما تريده الأنظمة السياسية وهذا يـؤدى إلى جـدار عـال يعرف طريقه إلى العلاقة بين الناس وما يقدمه التليفزيون من أشكال للمأثور الشعبى .

رابعـا: تؤدى عملية الانتقاء غير الواعى مـن المـأثور الـشعبى إلى انتـزاع أجزاء (أحداث ، مواقف، شخصيات، سياسات) من سياقها العام ، بحيـث تقدم كجزئيات معزولة عن ارتباطاتها وعلاقاتها ، وبالتالى مجردة من مغزاهـا ودلالاتها، وتتم هذه العملية أما بشكل واع مقـصود ، أو دون قـصد بـسبب محدودية القائم على العمل وعجـزه عـن فهـم المغـزى والـسياق الاجتماعـى للمأثور الشعبى .

ويعتقد الباحث أن البرامج التسجيلى الذى يرصد عناصر المأثورات الشعبية من بيئتها الطبيعية هو أنسب الأشكال البرامجية الذى تستوعب مثل هذه العناصر وتقدمها فى سياقها التاريخى ودلالاتها الاجتماعية مستفيدة من الزخم الإعلامى فى مجال القنوات الفضائية العربية ، فمثل هذه القنوات يمكن أن تكون نافذة نطل من خلالها على عالم المأثورات الشعبية وفى هذا الصدد يمكن بل ويجب ترجمة هذه البرامج إلى أكثر لغات العالم انتشارا حتى نقدم ثقافتنا التقليدية لغير أصحابها بشكل يضمن بلورة الركائز الأساسية للشخصية العربية ، وهذه مسئولية تقع على عاتق القائمين على الاتصال فى هذه القنوات الفضائية .

إن تطور المنتج الاتصالى فى مجال الثقافة الشعبية شكلا ومضمونا ضرورة تفرضها المتغيرات الثقافية التى تعرف طريقها إلى شعوب العالم.

وانطلاقا من أهمية الفضائيات العربية فيما يتعلق بتطوير الخطاب الثقافى ، وخاصة فى جانبه المرتبط بالمأثورات الشعبية يؤكد الباحث على ضرورة إطلاق قناة فضائية عربية - لتكن تابعة لجامعة الدول العربية - هدفها الاقتراب من المأثور الشعبى للمجتمعات العربية وتقديمه بشكل فيه من الإبهار الكثير وبأكثر من لغة عالمية ، حتى يمكن الدفاع عن هويتنا الثقافية ضد أى محاولة للنيل منها .

إن التليفزيون عليه أن يقوم بدور فعال فى نشر الوعى القومى بمأثورات الشعوب ، والإشارة إلى ما تتضمنه هذه المأثورات من قيم جمالية دقيقة لم يلتفت إليها من قبل، عليه الكشف من جديد عن القيم الإنسانية العليا فى هذا الإبداع مع التأكيد على مبدأ هام : إن الاكتناز الدلالى للمأثور الشعبى يعطى للجديد أصالة هو فى أشد الحاجة إليها كى يكتب له البقاء.

إن بنية التليفزيون التى ترتكز على دعامتين : الصورة الضوئية والمعلومة السريعة جعلته قادرا على التأثير الأيديولوجى فى المتلقى من خلال التسلية والترفيه وهما شعار الإعلام المرئى الحالى لكل برامجه وحتى البرامج الترفيهية هى فى الواقع أشكال تربوية تحمل توعية أيديولوجية [1]. وهذا ما ينبغى أن يفعله التليفزيون.. إعداد برامج - يفضل أن تكون فى شكل تسجيلى - تثقيفية للوقوف على المظاهر الفنية بما تعنيه من قيم جمالية تفوح رائحتها من كافة الإبداعات الشعبية ومن ثم إلقاء مزيد من الضوء على ملامح المأثورات والتعريف بالأصول والفروع ، وكذلك الرموز الفنية والقيم الإبداعية والخصائص المحلية المتميزة لما تحتويه البيئة والطبيعة. إن المأثور الشعبى سيبقى دوما مصدرا غنيا لمواد الترفيه التليفزيونى يسعى معدو البرامج إلى تقليب صفحاته للاختيار ما يرونه مناسبا ، وتتم عملية الاختيار وفق معايير محددة تتفق ومجموعة القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة فى المجتمع وهذا يفسر وجود عناصر المأثور الشعبى فى كثير من مواد الترفيه التليفزيونى .

المأثور الشعبى وشبكة الإنترنت..

تعد شبكة "الإنترنت" تقدما تكنولوجيا راقيا فى مجال الاتصال الجماهيرى وأصبح لها تأثير فعّال على كافة المستويات ، وأفادت منها العلوم بشقيها الطبيعى والإنسانى [2] وإذا كانت التكنولوجيا تعرف بأنها " تلك الأدوات أو الوسائل التى تستخدم لأغراض تطبيقية يستعين بها الإنسان فى

---

(١) أديب خضور : سوسيولوجيا الترفيه فى التليفزيون (الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلد (٢٨)، العدد الثانى، ١٩٩٩) ص ٢٦٦

(٢) شعبان أبو اليزيد شمس: الاحتياجات التدريبية للدعاة فى مجال الاتصال ، واتجاهاتهم نحو مستحدثاته (القاهرة ، جامعة الأزهر ، قسم الصحافة والإعلام ، مجلة البحوث الإعلامية ، العدد (١٦) ، أكتوبر ٢٠٠١) ص ٥٨ .

عمله لإكمال قواه وقدراته ، وتلبية لتلك الحاجات التى تظهر فى إطار ظروفه الاجتماعية ومرحلته التاريخية الخاصة " ، أى أنها وسائل يستخدمها الإنسان لتكملة ما ينقصه من قدرات، ولسد نقص يشعر به المجتمع فى مرحلة معينة من مراحل تطوره [1].

والخطاب الإعلامى المعاصر فى شقه الثقافى يتطلب تطويرا فى الوسائل والأساليب التى تنتقل بها الخصائص والسمات الثقافية بما يتناسب وروح العصر وهنا ينبغى ألا يغفل القائمون على الاتصال أهمية استخدام " الإنترنت " لتطوير الخطاب الثقافى والتعريف بالثقافة الشعبية .

ولا شك أن هذه الشبكة " العنكبوتية " للمعلومات لها قدرة فائقة على نشر العناصر الثقافية والترويج لها . إنها تتيح معلومات سهلة وميسرة بالنسبة لرجال الإعلام، ومن ثم يمكن الاستفادة منها فى الحصول على أى معلومات عن الموضوعات المختلفة المراد معرفتها، كذلك يمكن أن نفيد من هذه الشبكة فى العمل على نشر أنماط وعناصر المأثور الشعبى.

إن الأمر لا يتطلب أكثر من اتخاذ بعض المواقع على "الإنترنت" ، وبث المعلومات الدقيقة عن الثقافة العربية فى شقها الشعبى بشرط مراعاة الدقة فى انتقاء الموضوعات التى تبث على هذه المواقع.

إن هذا الفكر فى فهم واستيعاب التكنولوجية الحديثة ومحاولة الاستفادة منها فى نقل الثقافة العربية بسماتها الحقيقية ، وبلغات أخرى إلى جانب العربية

---

(١) إبراهيم شوقى عبد الحميد : علم النفس وتكنولوجيا الصناعة (القاهرة ، دار قباء للنشر ، ١٩٩٨) ص ٢٠ فى :
شعبان أبو اليزيد شمس : الاحتياجات التدريبية للدعاة فى مجال الاتصال ، مرجع سابق ، ص٥٨ .

سوف يتيح الفرصة لغير الناطقين بالعربية أن يتعرفوا على الخلفية الثقافية للاتجاهات الفكرية المعاصرة فى الوطن العربى ، ومن ثم يمكن أن تظهر مساحة التسامح والقيم النبيلة التى تغلف هذه الثقافة وخاصة فيما يتعلق بقبول الأخر .

لقد أضحت أجهزة الاتصال الحديثة – وما أكثرها .. الهواتف والإذاعة والتليفزيونية ، والبريد الإلكترونى ، والفضائيات – تلعب دورا كبيرا فى الأداء المؤسسى للثقافة العربية ، والتعريف بها على شتى الأصعدة ، و"الإنترنت" هو أحد أدوات التكنولوجيا الحديثة ، لذا يجب تفعيل دورها فى عرض صورة ثقافتنا العربية بصورة شمولية متكاملة تلاءم العصر وفيها من الموضوعية والصدق ما يجعلها تعرف طريقها إلى المجتمعات الغربية .

إن العلم الحديث قد أتاح للثقافة ومنها العربية فرصا كثيرة كى تعرف طريقها إلى خارج حدود الوطن حاملة معها أهم القيم والخصائص الثقافية التى تميز المجتمعات العربية ، بعيدا عن الصور النمطية والمشوهة التى تحاول وسائل الإعلام الغربية إلصاقها بالمجتمعات والشخصية العربية ويؤكد المفكر الإسلامى الشيخ يوسف القرضاوى على أهمية هذه الوسيلة ، وفى ذلك يقول : يجب على الأمة استخدام هذه الأداة الجبارة " الإنترنت" التى تخترق الأسوار، وتجتاز القفار والبحار لتغزو الأقطار ، وهى صالحة لأن تهدم أو تبنى ، وأن تزرع الخير أو الشر ، فلنستخدمها نحن فى سبيل الحق والخير ، لا الباطل والشر ، ولنجعل منها أداة بناءه لا معول هدم ، وإن غيرنا اتخذوها منبرا لنشر

أديانهم الباطلة، وفلسفتهم المدمرة ، كما أن من الناس من اتخذها منبرا للحديث عن الإسلام فى أكثر من ألف موقعا [1].

إن تصعيد أهمية الثقافة الشعبية من خلال تطوير الخطاب الثقافى الإعلامى ينبغى أن يوظف التكنولوجيا الحديثة لهذا الغرض .

وعند استخدام "الإنترنت" كخطوة على طريق تطوير الخطاب الثقافى يجب مراعاة الأتى :

أولا: ضرورة إنشاء مواقع متخصصة يمكن من خلالها التعريف بالمأثورات الشعبية ، والتركيز على دلالاتها الاجتماعية وسياقها التاريخى ، وما فيها من قيم جمالية ونفعية على أن تراعى الدقة والتوثيق فيما يقدم خلال هذه المواقع .

ثانيا: يجب أن تكون هناك وجهة نظر تتبناها وسائل الإعلام العربية للتأكيد على هويتنا الثقافية عبر شبكة "الإنترنت" والتنسيق الكامل بين هذه الوسائل لتصحيح صورة العرب أمام المجتمعات الغربية .

ثالثا: ضرورة تدريب الكوادر الإعلامية على استخدام هذه الوسائل الحديثة مع تبنى مشروعا متكاملا لموقع ثقافى عربى على "الإنترنت" وبأكثر من لغة يحتوى على كل ما يتعلق بسمات وخصائص الثقافة العربية بما فيها الثقافة التقليدية بمأثوراتها الشعبية .

إن من لا يملك مدخلا على "الإنترنت" فهو معزول عن العالم غير مؤثر فى مجريات الأحداث، ومن ثم علينا أن نجيد استخدام هذه الشبكة ، أن نلم بأركانها ومكوناتها حيث إن منظومة الإعلام الجديد هى منظومة رقمية .

---

(١) يوسف القرضاوى: أثر خصائص العصر الحديث على الأداء المؤسسى للدعوة (القاهرة، مجلة منار الإسلام، العدد (٦)، مايو / يونيه ٢٠٠١) ص ٧٥ .

ثالثا : تأهيل وإعداد من يقوم بالخطاب الثقافى ..

إن المحور الثالث من محاور استراتيجية تصعيد الثقافة الشعبية فى أجهزة الإعلام يكمن فى إعداد وتأهيل العاملين فى هذا المجال، فإذا أردنا الحفاظ على مأثوراتنا الشعبية ، وتقديمها بشكل لائق يضمن بلورة الركائز الأساسية للشخصية العربية فعلينا أن نقترب من الإعلاميين العاملين فى هذا المجال نحاول الارتقاء بمستواهم المهنى ، واضعين فى الاعتبار قيمة وثراء المادة الثقافية التى يتعاملون معها فما أكثر المحاولات الإعلامية التى أضرت بواقع الثقافات التقليدية ، حيث قدمتها بشكل سطحى يحمل الكثير من المبالغات ربما غير المقصودة التى وضعت هذا المأثور فى حيز الخرافة والتخلف .

إن وسائل الإعلام - تحديدا المرئية - تفتقر إلى المتخصصين فى مجال الفولكلور من معدى ومقدمى البرامج، والغريب أن واضعى السياسات الإعلامية فى هذه الوسائل قلما لفت نظرهم خلو أجهزتهم من إعلاميين تعى وتفهم ماذا يعنى المأثور الشعبى بالنسبة لواقع ثقافات الأمم .

وقد أشارت الاتفاقية الدولية لصون الفولكلور فى الدورة الرابعة والعشرين للمؤتمر العام لليونسكو التى عقدت فى شتاء ١٩٨٧، إلى ضرورة توفير تغطية أكبر لعناصر التراث الشعبى فى مؤسسات الاتصال الجماهيرى ، والمهم أنها اقترحت إنشاء وظائف لأخصائى الفولكلور فى تلك المؤسسات ، وإنشاء أقسام للفولكلور فى إطار هذه الهيئات ، بل وذهبت الاتفاقية إلى اقتراح تشجيع المؤسسات المحلية بأنواعها على إنشاء وظائف لأخصائى فولكلور متفرغين، وغير ذلك من إجراءات تشجيع إنتاج أفلام تسجيلية

فولكلورية للأغراض التربوية ، والعناية بالإعلام عن مصادر توفر المادة الفولكلورية .[1]

إن تفاعل المأثور الشعبى مع الإعلام بأجهزته المختلفة أمر محفوف بالمحاذير، وعلى الإعلاميين الذين يتصدون للمادة الشعبية - وهى مهمة ليست بالسهلة - أن يمتلكوا الأدوات التى تساعدهم على نقل ورصد ومتابعة التغيرات التى تطرأ على المادة الشعبية نظرا لمتغيرات العصر، عليهم أن ينتقوا من عناصر هذا المأثور ما يتناسب وطبيعة المرحلة التى تعيشها المجتمعات مؤكدين على ما فى هذه العناصر من قيم جمالية ونفعية ، عليهم أن يجعلوا من عناصر المأثور الشعبى قوة انطلاق تجاه مستقبل واع ، وهذا يتطلب منهم :

أولا : معرفة صحيحة بالمصطلحات الفولكلورية التى تعارف عليها علماء المأثورات الشعبية ، مع متابعة مستمرة لتطور هذه المصطلحات لتتلاءم مع تطور الحياة الإنسانية ، فالفولكلور "علم قديم جديد" والباحثون فى حقل الدراسات الفولكلورية فى سعى دائب نحو تطوير مصطلحاتهم ومفاهيمهم ونظرياتهم ومناهجهم العلمية لتواكب ظروف العصر .

ثانيا : معرفة الخصائص الأساسية التى تميز المأثور الشعبى عن غيره من ألوان المعرفة الإنسانية ، وأهم هذه الخصائص (٢):

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :
محمد الجوهرى : حماية التراث الشعبى دور مستقبلى لعلم الفولكلور ، مرجع سابق ، ص ١٠ ، وما بعدها

(٢) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :
حصة زيد الرفاعى : الفولكلور فى الوسائط الجماهيرية ، مظاهر التأثير والتأثر بين فن الإعلام ، والثقافة الشعبية ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ وما بعدها .

١ - القبول الجمعي ، فالمأثور الشعبي ربما ينشأ إبداعا فرديا ولكنه يكتسب صفة الشعبية بانتقاله من وجدان الفرد إلى التعبير عن مشاعر الجماعة .

٢- التناقل الشفهي ، وهى سمة غالبة فى أنماط الإبداع الشعبي على الرغم من قيام بعض الفنانين الشعبين بتدوين مأثوراتهم لحفظها من الضياع .

٣- قدرة المأثور الشعبى على التكيف مع ظروف الحياة الجديدة ، فلم يعد الإبداع الشعبى مجرد شئ قديم وإنما إبداع متجدد قادر على مواكبة ظروف الحياة الجديدة ، فالفولكلور لا يموت ، وإنما يجدد خلاياه لتمده بالحيوية والاستمرار .

٤ - وظيفة الفولكلور الاجتماعية ، وهى سمة أساسية من سمات المأثور الشعبى فمعيار الحكم على أصالة النمط الشعبى ليس بكونه قديما أو مؤلفا بالعامية، أو منسوبا إلى فئة اجتماعية معينة، وإنما بمدى شيوعه بين الناس ، وتعبيره عن وظائف اجتماعية مهمة فى حياتهم سواء كانت نفسية أو طقوسية ، أو تعليمية أو ترفيهية . ولا شك أن تلك الوظائف تتغير بتغير حياة الناس .

إن مهمة العاملين والمشتغلين بالخطاب الثقافى فى وسائل الإعلام المختلفة وتحديدا الخطاب الثقافى الذى يعتمد فى مادته على المأثور الشعبى مهمة شاقة وعسيرة فعلى هؤلاء تقع مهمة الحفاظ على الثقافة الشعبية بما فيها ومن فيها، عليهم أن يصححوا الأفكار تجاه المادة الفولكلورية من منطلق أهميتها فى الحفاظ على الهوية الثقافية . ولعل مثل هذه المادة فى أشد الحاجة الآن إلى الرعاية والحماية، ويكفى ما تواجهه من أخطار فى ركاب العولمة .

والحديث عن دور الفضائيات العربية فى توفير حماية أكثر لعناصر ومفردات الثقافة الشعبية يمكن أن يدخل فى روع البعض أن هناك تراثا واحدا

لا يتغير إلا أن الأمر أبعد ما يكون عن ذلك، فالمطلوب من القطاع الفضائى العربى أن يقيم توازنا دقيقا وأميناً بين أصالة العنصر الشعبى ، وحركته عبر الزمن على أن يراعى هذا الفكر إمكانية نمو المأثور أو أفوله، يراعى قدرة العناصر الشعبية على البقاء ، قد تعدل الحياة فى شكلها أو مضمونها ، قد تختلف وظيفتها، قد يكتب لها الانتشار أو الانحسار، ولكنها تبقى فى النهاية قادرة على الاستمرارية، تحتاج فقط إلى دعم ومساندة ، وهذا هو الدور الذى ينبغى أن تلعبه الفضائيات العربية .

وفى ظل إمكانيات هائلة للفضائيات العربية يطرح الباحث سؤالا .. لماذا لا تخصص قناة فضائية للمأثور الشعبى العربى بهدف الحفاظ على الهوية ، والتقريب بين أبناء الوطن العربى، وتوثيق صلاتهم بصورة تفوق فى فاعليتها وسرعتها كل الوسائل التقليدية المتعارف عليها .

إن تقديم ثقافتنا الشعبية ، بما فيها من قيم ومثل يعد خطوة هامة على طريق التقريب بين أبناء الوطن العربى ، وفى الوقت نفسه فإن المادة الشعبية فيها من الطرافة والغرابة ما يجعلها من المواد المحببة للمشاهد .

السودان مثلا لديه حصيلة غاية فى الثراء والتنوع من المأثورات الشعبية نتيجة لاختلاف البيئات فيه ، ويعتقد الباحث أن الجانب الأكبر من هذا التراث مازال إلى الآن أبعد ما يكون عن الاهتمام الإعلامى ، ولو حدث واقتربت منه كاميرات الفضائيات العربية لأضاف هذا الاقتراب أبعادا جديدة إلى الواقع الثقافى العربى، وحافظ فى الوقت نفسه على مثل هذه الإبداعات .

ويتساءل عبد الله النويس وكيل وزارة الإعلام فى الإمارات : " لماذا لا يكون مبررا مثلا أن أعرض على شاشات التليفزيون سباق الهجن؟ ولماذا يكون من روح العصر والحداثة أن أعرض أو أنقل على الهواء مباشرة مباراة فى

كرة القدم ولا أعرض لقطات من رياضتنا الشعبية المحببة ، رياضة الصيد بالصقور ، أو سباق الخيول العربية الأصلية ؟ لماذا يحق للناس أن يسهروا ليالى على حفلات شعبية من مختلف أصقاع المعمورة ولا يسهروا على رقصات شعبية من واقع هذه البيئة (*).

ولا شك أن مثل هذه القناة ستكون البداية الحقيقية على طريق التعامل مع المأثور الشعبى وتفعيله فى إطار خطة أو استراتيجية إعلامية عربية للحفاظ على ثقافتنا الشعبية تعتمد على كوادر بشرية معدة ومؤهلة علميا للقيام بهذه المهمة الشاقة ، لابد من إكساب هؤلاء مهارات التعامل مع التكنولوجيا الحديثة ، وفى الوقت نفسه إكسابهم خبرة التعامل مع عناصر الثقافة الشعبية .

(*) عبد الله النويس : الإعلام والتنمية الوطنية فى دولة الإمارات العربية (أبو ظبى، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ١٩٨٧) ص ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

الخلاصة ..

وبعد .. فإن وسائل الإعلام تعتبر اليوم من أكثر القوى الرمزية حضورا وتجليا وتأثيرا على المجتمعات ، وهى تعمل بالجذب لا بالضغط ، وبالترغيب لا بالترهيب ، مستخدمة فى ذلك تقنيات تكنولوجية حديثة وبذلك يفوق تأثيرها تأثير المؤسسات التعليمية والدينية التى تعمل معها فى نفس المجتمع .

وإذا كانت السيطرة الإعلامية للدول المتقدمة تكنولوجيا قد تعرض الدول الأقل تقدما لخطر جسيم يتمثل فى فقدان الهوية ، وإحداث نوع من التبعية الثقافية فإن التغير الحاصل اليوم فى النظام الإعلامى الدولى لابد أن يؤثر بعمق على الدول النامية ، وهذا التأثير فى رأى الدكتور فاروق أبو زيد سيتخذ مسارين متناقضين : الأول : إعطاء قدر متزايد من الحريات لوسائل الإعلام فى الدول النامية حتى تستطيع أن توائم أوضاعها مع طبيعة النظام الإعلامى الدولى السائد، وهو النظام الغربى الذى يقوم على الليبرالية بما تمثله من حرية وتعدد لوسائل الإعلام . أما المسار الثانى : فهو يؤدى إلى مزيد من التبعية الإعلامية [1] ولعل الاهتمام الزائد بالإعلام ، ومحاولة توظيف التكنولوجيا الحديثة لخدمة أغراضه وضع العالم أمام مرحلة غاية فى الأهمية والخطورة . أفكار وقيم الشعوب – خاصة فى الدول الأقل تقدما – هل يمكن أن تقادم مثل هذه التأثيرات الطاغية لوسائل الإعلام؟ هل يمكن أن تحافظ على هويتها وهى تعيش عالما إعلاميا يختلف بل يتناقض مع واقعها الحياتى ؟ إلى أى مدى سوف تستغل الدول المتقدمة إعلامها لتحقيق المزيد من السيطرة والهيمنة ؟

---

(١) فاروق أبو زيد: انهيار النظام الإعلامى الدولى من السيطرة الثنائية إلى هيمنة القطب الواحد (القاهرة، مطبعة الأخبار ،١٩٩١) ص ٤٧

إنها العولمة بكل ما تفرضه من تحديات ، وما تتيحه من فـرص وإذا كـان هناك شبه اتفاق على ما يحدثه الإعلام من متغيرات فى المجتمعات ، فإنـه وإلى الآن لم يتم استيعاب هذه المتغيرات لمعرفة كيفية التعامل معها .

وفى محاولة للحفاظ على المأثور الشعبى ينبغى أن يوظف الإعلام لمثل هذه المهمة ، فالخطر الحقيقى الذى يهدد بقـاء هـذا المـأثور لا يتمثـل فى انحـساره ووهن دلالاته ، ولا فى النظرة الدونية إلى هذا المأثور باعتباره تراكمات جامدة قد تتعارض مع الحداثة ، ولا فى قلة مردود التصورات البحثية التى تـستهدفه بغرض الوقوف على ما يتضمنه هذا المأثور من قيم قـادرة عـلى التفاعـل مـع مفردات الحداثة ، قادرة أيضا على أن نكون بمثابة النبـع الـذى يمـد الجديـد بصيغ إبداعية تستلهم من نفائس هذا الموروث .

إن الخطر الحقيقى – إلى جانب ما سبق – يكمن فى محاولات تسليع هـذا المأثور حيث الاستخدام النفعى بتحويلـه مـن موضـوع تراثـى إلى موضـوع استعمالى يحقق مصلحة أو منفعة أمنه [1] . ومثل هذه المحاولات وغيرها ينبغى أن يتصدى لها الإعلام فالمأثور الشعبى لا يمكن أن يعاد صياغته وفقا لحاجات السوق التى غالبا ما تكون إرضاءً لحاجات السائح الغربى وبذلك يبعد المأثور الشعبى عن دائرة احتياجات أصحابه فى حاضرهم .

ولا شك أن هناك منطلقات كثيرة تـدفع الإعـلام بوسـائله المختلفـة إلى الاهتمام بواقع المأثور الشعبى ومستقبله ، وفى مقدمة هذه المنطلقات :

١ – الدور الذى يمكن أن يلعبه المأثور الشعبى فى الحفاظ على الهويـة الثقافيـة وفهم الثقافات الحالية، وتحقيق التميز والتفرد القومى .

---

(١) محمد حافظ دياب : التراث الشعبى ، وسؤال الحاضر ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

٢- مرونة المأثور الشعبى وقدرته على التفاعل مع متغيرات العصر مما يجعلـه مؤهلا للإسهام من جديد فى البناء الحضارى للإنسان.

٣- إمكانية الاستفادة من عناصر المأثور الشعبى والاستلهام منه لإضافة المزيد من الأصالة إلى واقع الفنون الإعلامية المعاصرة وغيرها .

٤- إمكانية توظيف المأثور الشعبى للمـضى خطـوات عـلى طريـق التنميـة ، خاصة وأن بعض عناصر هذا المأثور تحمل الكثير من القيم الإيجابية .

وعند الاقتراب من الاستراتيجيات التى ينبغى أن تتبع على طريق تصعيد أهمية الثقافة الشعبية فى الإعلام المرئى تحديدا لابد أن نشير إلى تطوير الخطاب الثقافى ، خاصة الذى يحمل بين طياته عناصر ومفردات الثقافة الشعبية، ينبغى أن نعيد ترتيب أوراق علاقتنا بالثقافة الشعبية ، ننتقى منهـا مـا يتناسـب مـع متغيرات العصر ، مع ما يعين على التصدى للمشكلات الحياتية ، بعيـدا عـن عناصر التراث السلبية أو التى فقدت وظيفتها .

ولا شك أن تطوير الخطاب الثقافى يكمن فى الكشف من جديد عن القيم الإنسانية العليا فى الإبداع الشعبى والتأكيد على أن ذلك يـضفى حداثـة عـلى القديم ، كما أنه يعطى أصالة للإبداع الفنى الحديث . وهذه المهمـة تحتـاج إلى قدرات خاصة ، حتى يمكن تـلافى كـل تـشويه قـد يعـرف طريقـه إلى هـذه التراكمات الثقافية المتوارثة .

وعلى الجانب الأخر تبقى أهمية تطوير شكل الخطـاب الثقـافى خاصـة فى ظل الطفرات التكنولوجية الهائلة التى يعيشها عالم الاتصال . فالتليفزيون بـما يملكه الآن من قنوات فضائية يعد أحد أهم وسائل الإعـلام التـى ينبغـى أن توظف لتوفير المزيد من الحماية والرعاية والدعم للثقافـة الـشعبية ، عليـه أن يسرع فى تسجيل ظواهر ومظاهر الإبداع الشعبى حيث تمثل هذه الموروثـات

جانبا هاما من حضارة الإنسانية . إن تطوير منتج الاتصال فى مجال الثقافة الشعبية شكلا ومضمونا ضرورة تفرضها المتغيرات الثقافية، وعندما نتحدث عن تكنولوجيا الاتصال لا يمكن لأحد أن يسقط من حساباته شبكة "الإنترنت" بكل ما تعنيه من قدرة على نشر العناصر الثقافية والترويج لها ، وهذه فرصة قد أتيحت للثقافة الشعبية كى تنطلق خارج الحدود الجغرافية حاملة معها أهم القيم والخصائص الثقافية التى تميز المجتمعات .

وعند استخدام "الإنترنت" كخطوة على طريق تطوير شكل الخطاب الثقافى لابد من مراعاة إنشاء مواقع متخصصة للمأثور الشعبى العربى بأكثر من لغة على أن تراعى هذه المواقع دلالة هذا المأثور الاجتماعية وسياقه التاريخى ، وإبراز قيمه الجمالية والنفعية ، وهنا ينبغى أخذ الحذر ومراعاة الدقة ، على أن يتم ذلك بالتنسيق بين المؤسسات الإعلامية ، ومؤسسات المجتمع المدنى فى الدول العربية، وهذه الخطوة تحتاج إلى كوادر بشرية واعية على قدر كبير من مهارات التعامل مع التكنولوجيا الحديثة .

وعند الحديث عن العنصر البشرى العامل فى مجال الإعلام الثقافى ، وهو أحد محاور استراتيجية تصعيد أهمية الثقافة الشعبية لابد أن نشير إلى ما أكدت عليه الاتفاقية الدولية لصون الفولكلور ، حيث اقترح المشاركون فى المؤتمر العام لليونسكو الذى عقد فى شتاء ١٩٨٧م إنشاء وظيفة أخصائى فولكلور فى المؤسسات الإعلامية . إن مهمة الإعلاميين الذين يتصدون للمادة الشعبية مهمة ليست بالسهلة على هؤلاء أن يملكوا الأدوات التى تساعدهم على نقل ورصد ومتابعة التغييرات التى تطرأ على المادة الشعبية .

ومع نهاية هذا المبحث ، تفرض مجموعة من الملاحظات نفسها بصدد استراتيجية وسائل الإعلام فى تصعيد أهمية المأثورات الشعبية ، ويمكن الوقوف على أبرز هذه الملاحظات فيما يلى :

أولا: إن الارتباط بين الثقافة ووسائل الإعلام قد أصبح ارتباط بنيوى فكل جديد يعرف طريقه إلى هذه الوسائل يحدث هزة ثقافية ، ومعنى هذا أن الاتصال سوف يلعب أدوارا هامة فى بناء الواقع الاجتماعى للشعوب كبديل عن الوسائل التقليدية التى كانت تنقل التراث الثقافى الاجتماعى عبر الأجيال . وهذه العملية سوف تدفع وسائل الإعلام إلى اختراق دوائر المأثور الشعبى بعناصره المادية والمعنوية للتعريف به، وبقيمه التاريخية والحضارية، الأمر الذى يقتضى دقة متناهية لضمان المحافظة على أصالة هذا الموروث والبعد عن أى تشويه قد ينال منه .

والحفاظ على المأثور الشعبى لا يكون بوضع الموروثات فى المتاحف المتخصصة فحسب ، وإنما بالعمل على نشرها ، والتعريف بها وتسليط الأضواء على جمالياتها عن طريق كافة وسائل الإعلام(١) وهذا ما ينبغى أن يعيه جيدا الإعلام ورجاله .

ثانيا: عند التعامل مع مفردات وعناصر المأثور الشعبى إعلاميا ينبغى النظر إلى هذه العناصر وتلك المفردات على اعتبار أنها تنويعات من العادات والتقاليد والمعتقدات والمعارف والآداب والفنون عتقتها القرون فتاسجت وأقامت حضورها فى جسد وحياة الشعوب(٢) .

---

(١) محمود همام: الدور الريادى لوسائل الإعلام فى الدعوة لاستلهام عناصر التراث الشعبى فى الديكور المعاصر، مرجع سابق، ص ٤١٦ .

(٢) محمد حافظ : التراث الشعبى وسؤال الحاضر (المنصورة، المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى، دورية " الثقافة الشعبية "، العدد الأول ، ١٩٩٨) ص ٧٥ .

ثالثا: إن استراتيجية الإعلام فى تصعيد أهمية الثقافة الشعبية يمكن أن تنطلق من بعض المحددات أهمها :

١ - إعادة النظر بالدراسة والفهم للمفاهيم والقدرات الكامنة والعناصر الخبيئة فى المأثورات الشعبية ، مع اعتماد العناصر التراثية الثقافية محورا للهوية الثقافية ، فالتراث الشعبى هو المحدد لملامح هوية الشعوب الثقافية ، وهو القادر على تحقيق الاتزان النفسى والاجتماعى لهذه الشعوب .

٢ - التعريف بالتراث الشعبى الأصيل فى كافة صورة المادية والمعنوية ، وبقيمته التاريخية والحضارية عبر العصور .

٣ - الإسراع والتوسع فى عمليات جمع وتسجيل مختلف أنماط وأشكال مواد الإبداع الشعبى .

٤ - زيادة المساحة الإعلامية لمواد الفنون الشعبية .

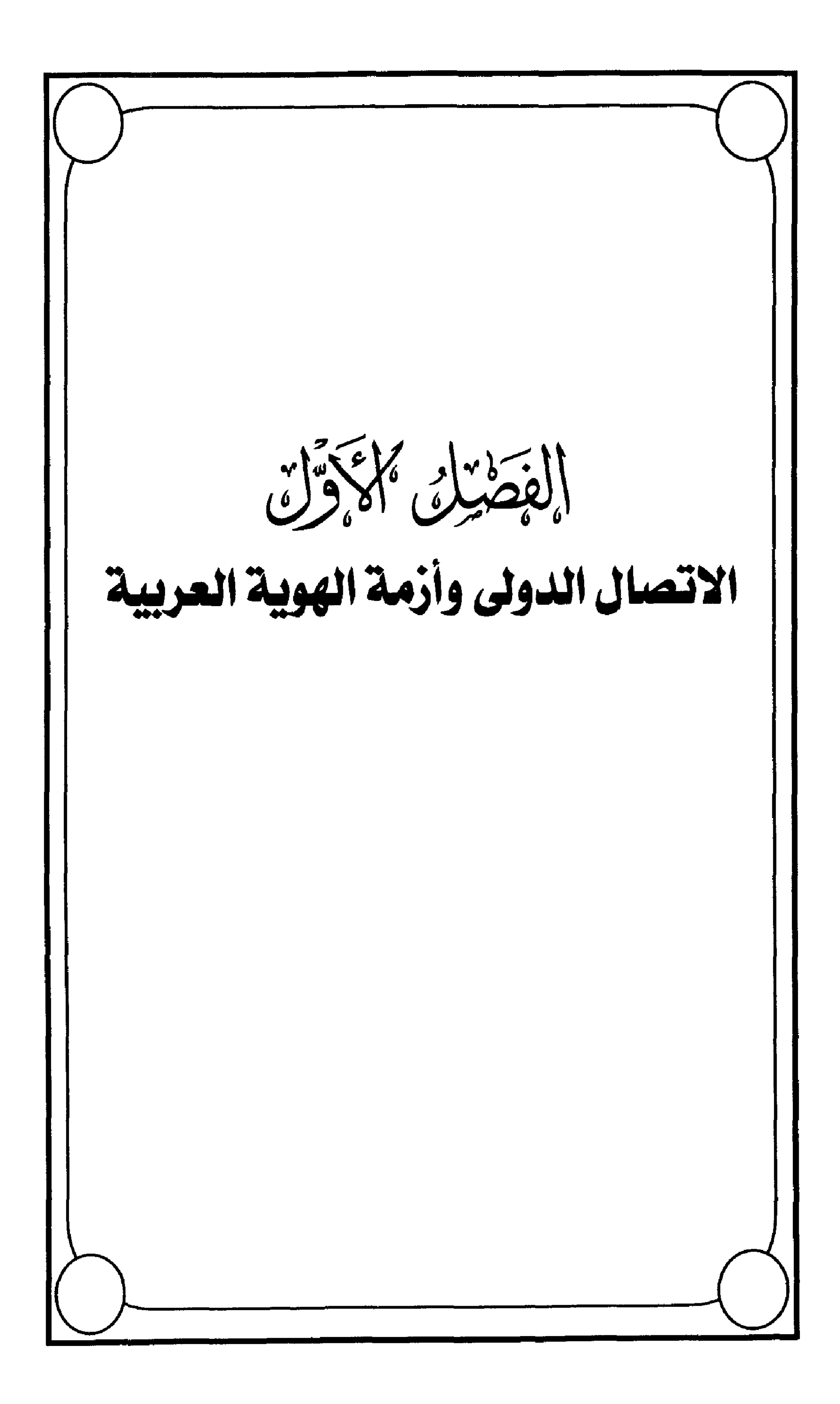
إن الإعلام ليس ابنا للحظة حالية ، بل هو مسئول كل المسئولية عن المستقبل .

الباب الثالث

خطاب العولمة والهوية العربية

الفصل الأول: الاتصال الدولى وأزمة الهوية العربية.

الفصل الثانى: الإنتاج الفضائى العربى ودور مستقبلى فى دعم الهوية العربية.



الفصل الأول

الاتصال الدولى وأزمة الهوية العربية

الفصل الأول

الاتصال الدولى وأزمة الهوية العربية

مقـدمة..

أدت الثورة العلمية ، والتكنولوجيا الحديثة إلى ظهور ما يسمى بمجتمع المعلومات مواكبا مع القفزة الكبرى فى تكنولوجيا الاتصال وخاصة فى مجال القنوات الفضائية مما أسفر بروز إشكاليات جديدة متعلقة بالوعى ، والقيم الإنسانية ، وأنماط السلوك .

ولا شك أن البث الفضائى الوافد بما يحمله من قيم وسلوكيات وأفكار قد تختلف وطبيعة المواطن العربى سيكون له أثر ربما يهدد بفقدان الهوية، فما يحدث الآن يشكل تغير هائل تدخل معه البشرية عصر التواصل الفورى والمباشر عبر الشاشات الإلكترونية الدائمة البث .

إن الثقافات الخاصة بالأمم والشعوب تقف الآن عارية أمام هذا التدفق الهائل من الرسائل والعلاقات التى تجوب العالم على مدار الساعة حاملة معها ثقافة استهلاكية قادرة على غزو الحواجز العرقية والغوية والقومية .

وتزداد المخاوف يوما بعد يوم من آثار العولمة الثقافية على الهوية العربية ، وذلك فى ضوء ما يقدم من مضامين مختلفة عن مجتمعاتنا عبر بث أجنبى وافد . والغريب أن هناك فضائيات عربية تسير الآن على هذا المنهج فما تقدمه – شكلا ومضمونا – هو أقرب إلى منتج إعلامى يخشى من تأثيره على الهوية العربية .

لقد تنامى الإحساس بفقدان الهوية بين عدد كبير من أبناء الوطن العربى ، وتشير الشواهد إلى أن الفرد العربى المعاصر يخسر قنوات

الاتصال بجذوره وعاداته وهويتـه ، فيومـا تلـو الآخـر يـصدّر إلينـا المزيـد مـن العـادات الغربيـة فى أسـلوب الحيـاة وهـى ليست فقـط دخيلـة عـلى المجتمع، ولكنها أيضا محل قبـول أبنائـه ، سـواء كانـت هـذه العـادات فى : الملـبس أو اللغـة أو المأكـل وهـى مجتمعـة تعـبر عـن كثـير مـن الـذوبان فى العادات الغربية.

وانطلاقا من هذا تزايدت الدعوات فى الآونة الأخيرة لصياغة استراتيجية إعلامية عربية تقوم على بلورة رؤية واعية تمكن من التعامل مع النظام العالمى الجديد بكل ما يحفل به من متغيرات ، وما يطرحه من تحديات ، تلك الرؤيـة التى تمكن الإعلام العربى من دعم رسالته الأساسية فى خدمة الجماهير العربية وقضاياها الإسلامية .. ولاشك أن هذه الرؤية التى نتطلع إليها يجب أن تسند إلى تطوير الخطاب الإعلامى العربى وآلياته ووسائله بما يساعد عـلى الحفـاظ على الهوية الثقافية والحـضارية للمجتمـع العربـى . ومـن ثـم فـإن الاهـتمام المتواصل بتوفير بدائل إعلامية عربية ثرية متنوعة يعد أمرا ضروريا بشرط أن تطرح هذه البدائل ما يتفق وميول واحتياجات وثقافة الإنـسان العربـى، وأن تعمل على تنمية ثقته ، واعتزازه بقوميته وهويته [1]

إن موضوع الهوية وأزمة القيم من الموضوعات التـى تتـصدر اهتمامـات الدول فيما يتعلق بالإعلام الفضائى ، تتساوى فى ذلك دول العالم المتقدم منهـا والنامى، فالعولمة بكل تحدياتها تواجـه الهويـات ، وربـما تـسعى إلى تـذويب الثقافات القومية والوطنية لحساب ثقافة عالمية واحدة هى الثقافـة الأمريكيـة

---

(١) عدلى رضا : كلمته فى افتتاح المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعـلام (القـاهرة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ، أبحاث المؤتمر ، ٤-٦ مايو ٢٠٠٤) ص ٣٠.

غالبا. إن مسألة الهوية قد أصبحت هما عالميا مشتركا بحيث غدت قضية مطروحة فى أمكنة كثيرة من بلدان العالم .

وتمر الهوية العربية حاليا بفترة عصيبة ، نتيجة لتوارد متغيرات عدة عليها ، وعلى الرغم من أن لبعض هذه المتغيرات جذورا سابقة إلا أن وطأتها قد ازدادت حدة مؤخرا نظرا لبروز معطيات عديدة على الساحتين : الدولية والإقليمية أوصلتها إلى ما يمكن أن نسميه الآن بمرحلة الانحسار !! .

إن طرح موضوع الهوية بما يعنيه من قضايا ثقافية شائكة مرتبط إلى حد كبير بحالات التوتر الاجتماعى، والتحديات التى تواجه المجتمعات ، وما أكثر هذه التحديات فى ظل العولمة .

مدخل إلى الهوية..

الهوية معناها فى الأساس التفرد[1] وهى ما يشخص الذات ويميزها[2] كالبصمة فى الإنسان يتميز بها عن غيره[3] وهى السمات المشتركة التى تميز بها جماعة لنفسها، وتعتز بها. وقد عرفها مجمع اللغة العربية بأنها : حقيقة الشىء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التى تميزه عن غيره ، وهى عبارة عن تلك القيم المطلقة التى تحتاج إلى جهد إنسانى متواصل لتنزلها إلى حقائق اجتماعية وحضارية .

فالهوية صفات ، وأحاسيس ، ونمط حياة مهيمن على كل شىء ، فى الملبس ، والمأكل والموسيقى، والفن والثقافة ، فى الحرية والمقاومة والصمود ،

---

(١) جلال أمين : العولمة (القاهرة، دار المعارف ، سلسلة اقرأ (٢٠) ، ١٩٩٨) ص ٥٣ .

(٢) عبد العزيز الدورى : الهوية الثقافية العربية والتحديات (مجلة المستقبل العربى العدد (٢٤٨/ ١٠، ١٩٩٩) ص ٦ .

(٣) محمد عمارة : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية (القاهرة ، نهضة مصر ، ١٩٩٩) ص ٦ .

فهى نمط معيشى متكامل يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به ، فيتغير معها دون أن يذوب فيها. يتأثر داخلياً لكنه يكتسب الجديد دائما ، وهى إحدى مكونات الشخصية الوطنية[1] .

الهوية هى الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية التى تؤدى إلى الفصل بشكل حاسم بين جماعة من الناس وأخرى وتنتج هذه الخصائص عن عاملين رئيسين، الأول: داخلى يتمثل فى تقاليد ومواريث تراكمت عبر حقب تاريخية ممتدة، والثانى: خارجى يعكس تفاعل الأمة مع وضع عالمى فوار متغير ، مفرزا موجات ثقافية متعددة، ونماذج حضارية مختلفة ، ينتج عنها ردود فعل ذاتية تفرض التعامل بخصوصيته مع تلك التقاليد، مانحة إياها هوية جديدة [2]

وإذا ما ذكرت " الهوية" بعامة اقترنت بها الهوية الثقافية بخاصة لتلازمها الشديدين ، ارتباط التابع بالمتبوع ، ومن ثم فهى تعنى التفرد الثقافى بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك ، ومثل وقيم ، ونظرة إلى الكون والحياة[3] والهوية الثقافية كيان يصير ، يتطور وليست معطى حاجزا ونهائيا ، وهى تصير وتتطور ، إما فى اتجاه الانكماش ، وإما فى اتجاه الانتشار ، وهى تزداد ثراء بتجارب أهلها ومعاناتهم بانتصاراتهم وتطلعاتهم ، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التى تدخل معها فى تغاير من نوع ما .

---

(١) أحمد مجدى حجازى : العولمة وتهميش الثقافة الوطنية (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، المجلد (٢٨) العدد الثانى ، ديسمبر ١٩٩٩ .

(٣) بدون كاتب : وعى الهوية العربية منظور تاريخى ، متاح فى:
Arab renewal. Com/ index. Php? Rd? Rd: Al & Alo

(٣) جلال أمين : العولمة والهوية الثقافية ، والمجتمع التكنولوجى الحديث (مجلة المستقبل العربى ، العدد (٢٣٤/ ٨) ، ١٩٩٨)، ص ٦١.

وعلى العموم تتحرك الهويـة الثقافيـة عـلى ثـلاث دوائـر متداخلـة ذات مركز واحـد : فـالفرد داخـل الجماعـة الواحـدة ، قبيلـه كانـت أو طائفـة أو جماعـة مدنيـة (حزبـا أو نقابـة...الـخ) هـو عبـارة عـن هويـة متميـزة ومستقلة ،عبارة عـن "أنـا" لهـا "آخـر" داخـل الجماعـة نفسها : "أنـا " تضع نفسها فى مركز الدائرة عنـدما تكـون فى مواجهـة مـع هـذا النـوع مـن الآخر. والجماعـات داخـل الأمـة هـى كـالأفراد داخـل الجماعـة لكـل منهـا ما يميزهـا داخـل الهويـة الثقافيـة المشتركة. والشىء نفسه يقـال بالنسبة إلى الأمـة الواحـدة إزاء الأمـم الأخـرى ، غـير أنهـا أكثـر تجريـدا وأوسـع نطاقا وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف .

هناك إذن ثلاثة مستويات فى الهوية الثقافية ، لشعب من الشعوب : الهوية الفردية ، والهوية الجمعوية، والهوية الوطنية أو (القومية) [1]

والعلاقة بين هذه المستويات ليست قارة ولا ثابتة ، بل هى فى مد وجـذر دائمين ، تتحدد بنوع "الآخر" بموقعه وطموحاته : فإذا كان داخليا ، ويقع فى دائرة الجماعة ، فالهوية الفردية هى التى تفرض نفسها "كأنا" وإن كان يقع فى دائرة الأمة فالهوية الجمعوية القبلية الطائفية ، الحزبية .. الخ) هى التى تحل محل "الأنا" الفردى ، أما إذا كـان الآخـر خارجيـا ، أى يقـع خـارج الأمـة والدولة والوطن ، فإن الهوية الوطنية – القومية – هى التى تملأ مجال "الأنا"[2]

ولا تكتمل الهوية الثقافية ، ولا تبرز خصوصيتها ، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية ، على الأخذ والعطـاء إلا إذا تجسدت مرجعيهـا فى

---

(١) محمد عابد الجابرى : العولمة والهوية الثقافية ، تقييم نقدى لممارسات العولمة فى المجـال الثقافى (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، أبحاث ومناقشات الندوة الفكريـة " العرب والعولمة " ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠) ص ٢٩٨.

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٩.

كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر : الـوطن والأمـة والدولـة . الـوطن : بوصفه الجغرافيا والتاريخ ، وقد أصبحا كيانا روحيا واحدا يعمر قلـب كـل مواطن، الجغرافيا وقد أصبحت معطى تاريخا والتـاريخ وقـد صـار موقعـا جغرافيا . الأمـة : بوصفها النسب الروحـى الـذى تنـسجه الثقافـة المـشتركة وقوامها ذاكرة تاريخية ، وطموحات تعبر عنها الإرادة الجماعية التى يـصنعها حب الوطن. الدولة : بوصفها التجـسيد القـانونى لوحـدة الـوطن والأمـة ، والجهاز الساهر على سلامتها ، وتمثيلها إزاء الدول الأخرى فى زمن السلم كما فى زمن الحرب[1]

ولهوية الأمة حدود تنشأ وفقا لظروف تاريخية معينة ، وهذه الحدود لا هى أزلية ، كما يزعم البعض ، ولا هى ظرفية متغـيرة بـسرعة ، إنهـا هويـة نـسبية تاريخية لا ثابتة أو جامدة ، هى خلاصة تاريخ خاص مـن التجـارب الثقافيـة والحضارية لأمة من الأمم ، وهى بهذا المعنى أمـر قابـل للتعـديل ، للتكيـف والتفاعل مع الهويات الأخرى بشرط أن يتم ذلك باختيار واع ضمن معادلـة متكافئة ، ولحاجة تفرضها الضرورة القومية ، وتقرهـا الإرادة الجماعيـة لكـل أفراد الأمة فى ظروف موضوعية[2]

إن العامل الأساسى فى تحديد هوية أمة من الأمـم هـو خليفتهـا الثقافيـة والتاريخية ، وأيضا صراعاتها الراهنة ، والتحديات الخارجية المفروضة عليهـا والتجارب المختلفة . والأوضاع الخاصة التى تمر بها الأمة هـى التـى تـصقل وتصهر هوية أفرادها ، ويـشتركون كلهـم فى وضـع تلـك الهويـة الجماعيـة ، ويتعودون عليها بمرور الزمن فتصبح فى نظرهم أصلية كلما تقادمت وكأنهـا

---

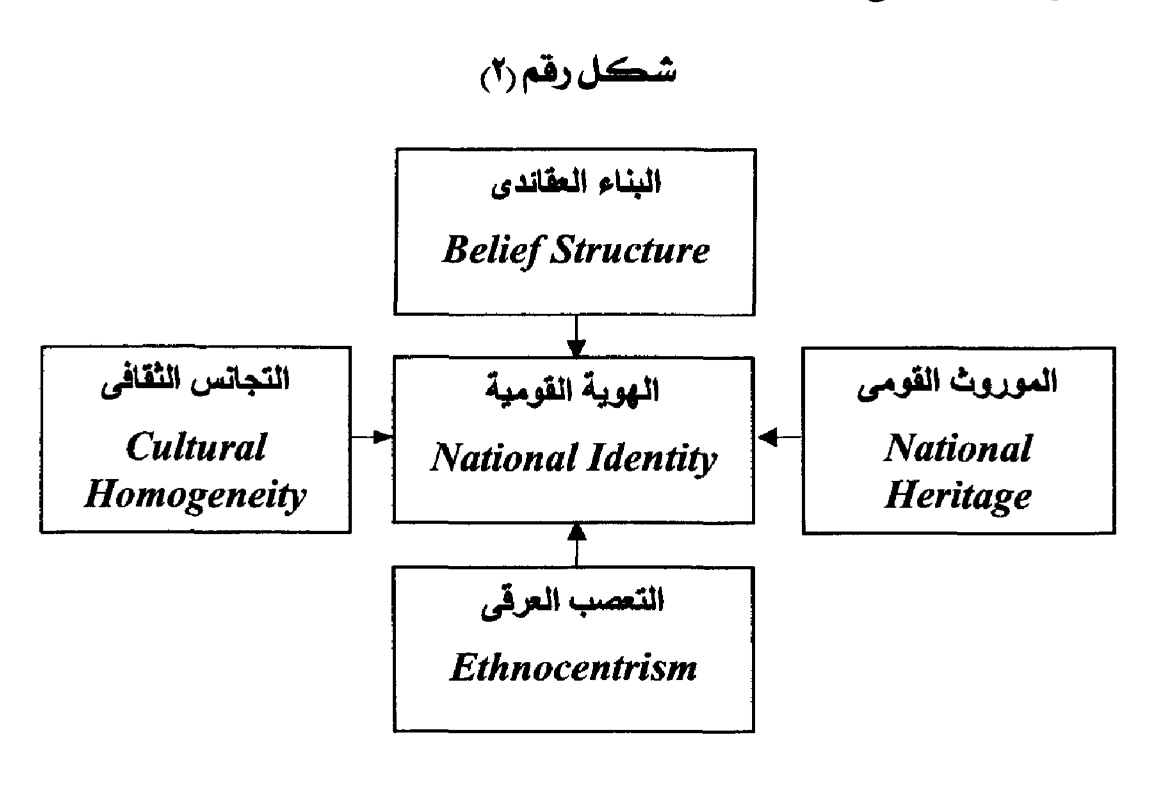
(١) المرجع السابق نفسه ، ص٢٩٩.

(٢) نديم البيطـار : حـدود الهويـة القوميـة، نقـد عـام (بـيروت ، دار الوحـدة ، ١٩٨٢) ص٦٧.

طبيعية ، وجزء من النظام الطبيعى نفسه ، بالرغم من ثبوت الطبيعة ، وتغير المعطيات الثقافية، والمراحل التاريخية(١)

وفى هذا السياق يؤكد الباحثان "بروس كيلور"(٢) و"توماس هالت" على أن هوية الأمة أو الهوية القومية National Identity تقوم على فكرة أن هناك عددا محددا من العناصر المتميزة التى تميز كل ثقافة عن غيرها من الثقافات ، وتساعد على استمرارها ، وعلى هذا يعرف الباحثان الهوية القومية بأنها مجموعة المعانى والمفاهيم التى تمتلكها ثقافة معينة ، وتميزها عن غيرها من الثقافات . وقد أشار الباحثان كيلور وهالت إلى المكونات الأساسية للهوية القومية فى الشكل التالى :

شكل رقم (٢)



---

(١) محيى الدين صابر : الإبداع والهوية والتوجيه (القاهرة ، دار الفكر العربى، ١٩٩٥) ص ١٦.

(2) Keiller. Bruce D.M. Hult. G. Tomas. 1999. "A Five country study of National Identity" in: international marketing Review: Vol.16. No.1. p 65-84 (Emerald).

ويتميز هذا الإطار بأنه يحاول أن يتجاوز تعريف الهوية القومية اعتمادا على الخصائص السلوكية والشخصية فحسب ، حيث يهتم بعوامل أخرى دون أن يهمل ويغفل أهمية وتأثير هذين العاملين.

ويعرف مكون البناء العقائدى Belief Structure على أنه الدور الذى يلعبه الدين والمعتقدات القومية فى تيسير المشاركة الثقافية والتضامن بين أبناء الثقافة الواحدة ، ويوفر هذا المكون الأدوات التى تساعد على حل النزعات، وتقليل التوترات بين أبناء الثقافة الواحدة .

أما مكونات الموروث الثقافى أو القومى Cultural or National Heritage فإنه يعرف فى ضوء أهمية الشخصيات ، والأحداث التاريخية فهو يعكس إحساس أبناء الثقافة الواحدة بمدى تميز تاريخهم .

ويعرف مكون التجانس الثقافى Cultural Homogeneity، على أنه عدد الثقافات الفرعية داخل الحدود القومية ، التى يمكن فى حالة عدم تجانسها أن تقلل من قوة الترابط داخل الهوية القومية الواحدة، كما هو الحال فى الثقافات الفرعية العديدة داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

والمكون الأخير للهوية القومية هو التعصب العرقى Ethnocentrism وهو ميل الأفراد أو المجتمعات لأجراء تقسيمات ثقافية مستخدمين مفاهيم الثقافة الخاصة باعتبارها الأساس فى هذه التقسيمات[1]

---

(١) ثريا أحمد البدوى : علاقة المضمون الإعلامى بالهوية القومية للشباب المصرى الجامعى ، أبحاث المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام ، مرجع سابق ، ص ص ٥٢٧ ، ٥٢٨.

وبعيدا عن المعنى اللغوى لكلمة الهوية ، عن كم التعريفات الهائل الذى صاحب أزمة الهوية ، هناك مجموعة من الثوابت التى اتفق عليها منها .

أولا: إن الهوية نمط معيشى متكامل يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به وقد يتغير لكنه لا يتلاشى .

ثانيا: للإعلام دور إيجابى فى تدعيم الهويات ، وله أيضا آثار قد تتعارض ومفهوم الهوية بما يعنيه من تفرد وتميز .

ثالثا: الحفاظ على الهوية لا يعنى الانطواء على الذات، وإنما يعنى المزيد من التفاعل المتكافئ مع الثقافات الأخرى بما يفيد الهوية ويدعمها .

رابعا: إن رسم حدود الهوية على الصعيد الواقع أمر ربما لا يكون منطقيا فهى مفهوم أيديولوجى أكثر منه علمى .

الهوية بين ثبات ومتغير..

فى البداية نتفق ، على أن الهوية ليست بالشيء الجامد، فهى نتاج حركة وتعاقب ، تتجدد كما تتجدد اللغة والمواريث ، ومن ثم فإن احتمالات تأثرها بالمضامين العابرة للقوميات أمر حتمى ، وهذا ما يجعل سؤال الهوية يفرض نفسه وبقوة فى مواجهة التحولات المتسارعة التى يعيشها العالم .

إن المؤشرات تؤكد على أن مسألة الهوية باتت ذات أهمية خاصة فى إطار العولمة ، وتفاقم التأثيرات الخارجية [1] خاصة فى الوقت الراهن حيث التنافس بين الفضائيات العالمية التى تبث عبر الأقمار الصناعية للجماهير المختلفة فى كل بقاع العالم بمختلف لغاتهم إنتاجا إعلاميا من إفرازات ثقافات متعددة جعلت الغلبة فيها للأقوى فى الإبداع والإنتاج والنشر والتوزيع، إنه إعلام العولمة بكل تحدياته التى تفرضها على شعوب العالم .

وإذا كانت الدراسات العلمية الموضوعية تحاول التركيز على تاريخية ونسبية الهوية وعدم الإقرار بثابتها مما يعنى فى سياقنا الحالى عدم التعامل بنظرية القطبية والمواجهة بين العولمة والهوية ، أو أنهما يسيران فى خطين متوازيين مع احتمالات الصدام والصراع عند حدوث التلاقى أو التقاطع فإن نسبية الهوية تجعلها مرنة قد تتعايش أو تقتبس من ثقافات أخرى ، بل قد تساعدها عوامل التقارب، وسقوط الحواجز على تفاعل إيجابى وخلاق مع العولمة. وهنا يبدو الخطر الحقيقى عند البعض : أن تنهار الهوية أمام غزو ثقافة العولمة .

إن أكثر الهويات محافظة ، وتدينا وأصالة لا تستطيع إلا أن تخضع لدرجات معينة من العولمة ، والعلمنة ، والتحديث ، ففى عالم اليوم لا توجد مناطق معزولة ، أو نائية ، وبعيدة عن تأثيرات " الغريب " الآتية من خارج هذه الثقافة لذلك قد يكون السؤال ليس كيف نقاوم العولمة ، ونحمى أنفسنا

---

(١) عبد القادر بن شيخ ، منى الحديدى وآخرون : البرامج الثقافية والتربوية ومسألة الهوية (تونس ، اتحاد إذاعات الدول العربية ، سلسلة دراسات إذاعية العدد (٤٣) ، ١٩٩٠) ص ٧.

منها ؟ ولكن كيف نعيش عالمنا الراهن بواقعية ، ودون تناقضات وتأزم ، وبلا إحساس بعقدة نقص أو خوف ؟ [1]

إن الهوية متغيرة بالضرورة ، ولكنها فى الوقت ذاته تتميز بثبات معين مثل الشخص الواحد ، يولد، ويشب ، ويشيخ ، وتتغير ملامحه ، وتصرفاته وأحيانا ذوقه ، ولكنه يبقى فى النهاية هو نفس الشخص ، وليس شخصا آخر غير أنه يتحكم التمييز بين عناصر الهوية القابلة للتغيير والأخرى غير القابلة لذلك والعناصر الثابتة فى الهوية هى : العقيدة والتوحيد ودون ذلك يعد من الكسب الإنسانى ، والاجتهاد البشرى القابل للتجدد والتغيير.[2] ومن الأخطاء الشائعة التعامل مع هوية الأمة و كأنها مغلقة وبالتالى إعطاؤها مفاهيم ومعانى لا تتعدى البنية الثابتة ، "فالهوية" ليست واقعا مجتمعياً ناجزا إنما هى قيم الأمة الجوهرية التى يتجدد فهمها بفعل الإنسان وفهمه وإدراكه وديناميته ، وقدرته على تحدى مشكلات عصره، فالإنسان هو الذى يحدد دور الهوية فى واقعه المعاصر فتقاعسه وترهله وكسله لا يحول الهوية إلى بديل عنه ، وإنما يجعله يفسر قيمها تفسيرا تبريريا فى حين أن الإنسان الفاعل ، والديناميكى سيحول هويته إلى مصدر ثراء وفعل حضارى[3]

---

(1) Mike Featherstone 1997. Undoing culture- Globalization Postmodernism and Identity. London, sage Publication, p.6

(2) www.Arab renewal/. Com/ index. Php? Rd: Al $ a 10 = 450 .

(٣) محمد محفوظ : الهوية وأسئلة الراهن ، متاح فى الموقع السابق ، نقلا عن:
عبد الرحمن محمد الشامى : الإنترنت والهوية العربية ، الفرص والمخاطر دراسة تحليلية ، أبحاث المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام، جامعة القاهرة ،مرجع سابق ، ص.

إن الهوية يمكن أن تكون مركبة مفتوحة ومرئية ، وقابلة لإعادة التشكيل، وهى مرهونة بقوة المجتمع على تأمين الإشباع الضرورى للحاجات الثقافية والجمالية والروحية لأفراده ، وإعادة صياغتها بما يتوافق مع المهام المطروحة ، ويستجيب للحاجات المتجددة [1]

ومن هنا فإن رسم حدود الهوية والخصوصية أمر صعب على صعيد الواقع ، لذلك يرى البعض أن الهوية والخصوصية هى مفهوم أيديولوجى أكثر منه علمى ، وبخاصة وأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال سمات كثيرة ومختلفة فقد يعبر عنها من خلال الدين، واللغة ، أو الدولة : " الوطنية " أو " القومية " وكل هذه الخصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها لذلك يمكن لمجتمع واحد أن يبدل هويته حسب المراحل التاريخية والظروف الحاكمة[2] وبينما يرى بعض الباحثين أن الهوية أصلا مصطلح سياسى ولد ضمن عملية صراع سياسية . ترى دراسات العلوم الاجتماعية الحديثة أن العرق (اللون ، أو الانتساب إلى أحد الأجناس البشرية) والثقافة والدين ، والأرض هى العوامل الرئيسية التى تحدد هوية الشعوب [3]

---

(١) كريم أبو حلاوة : الآثار الثقافية للعولمة ، حظوظ الخصوصيات الثقافية فى بناء عولمة بديلة (الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب ، عالم الفرك المجلد (٢٩) العدد (٢) ٢٠٠٠) ص ١٨٧ .

(٢) حيدر إبراهيم : العولمة وجدل الهوية الثقافية (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، عالم الفكر المجلد (٢٨) ، العدد الثانى ، ١٩٩) ص ١٠٣ .

(٣) محمود الزواوى : فى محددات الهوية ، (مجلة المستقبل العربى ، العدد ٢١٧/ ٣، ١٩٩٧) ص ٣١.

ماهية الهوية العربية..

تعددت تعريفات الهوية ، إلا أن معظمها يؤكد على أنها تعنى فهم الفرد لذاته من خلال علاقاته بالآخرين ، وهذا يؤكد على أن الهوية لا تتوقف على الجانبين الشخصى والنفسى ، ولكنها تتعدى ذلك إلى الجوانب الاجتماعية ، فمن خلال تفاعل الشخص ومشاركته فى أسس مؤسسة فإنه ينسب نفسه إلى هوية بعينها .

والهوية هى أقرب إلى مصدر أساسى يعتمد عليه الأفراد فيما يقدمونه من معانى للأشياء ، والأحداث حيث يبنى معنى الشىء أو الحدث وفقا لعدد من السمات والخصائص الثقافية المرتبطة به . ويحدث أن تتعدد الهويات للفرد الواحد نتيجة لمناخ اجتماعى وثقافى معين وهذا قد يمثل ضغطا على الفرد فنراه فى كثير من الأحيان يعبر عن ذاته بطرق مختلفة قد تصل إلى حد التباين فى سلوكه.

ويمكن تعريف الهوية "Identity" على أنها المشاركة فى عناصر أساسية تحدد شخصية وتوجيهات الأفراد من حيث احتياجاتهم، واهتماماتهم ، وأهدافهم المشتركة. وهنا لابد أن نضع فى الاعتبار أهمية الاختلافات بين أفراد الهوية الواحدة وإذا كان بناء الهوية العربية يأخذ فى الاعتبار كل نقاط التوافق ، وأيضا جوانب الخلاف ، فان الهوية العربية تتشكل من خلال العديد من العناصر المشتركة مثل ، الثقافة واللغة ، والعناصر الجغرافية ، والخلفية التاريخية ، كما تضم أيضا بعض الاختلافات مثل التاريخ مع الاستعمار، والقبلية والاختلافات الدينية . ويعنى ذلك أن العرب كمجموعة دول يمكن أن ينتموا إلى بعضهم البعض ليشكلوا الهوية العربية فى ظل وجود عناصر التشابه والاختلاف بينهم ، ومن العناصر المشتركة التى تشكل الهوية العربية ،

اللغة ، والثقافة ، والـدين ، والخـبرات الاجتماعيـة والـسياسية والاهتمامـات الاقتصادية والمكانة التاريخية [1]

إن الوقوف على ماهية الهوية العربيـة يعنـى مجموعـة مـن الثوابـت التـى تشترك فيها الدول العربية ، وبعض الاختلافات منها الخصوصية التى تميز كل دولة على حدة ، وعلى سبيل المثال التاريخ مع الاستعمار والقبلية .

وعند الاقتراب من الهوية العربية ، وتحديدها ينبغى التأكيـد عـلى بعـض الحقائق ومنها :

أولا: النظر إلى الهوية على أنها حالة دائمة من التطور والتكوين والتحـول فهى كينونة مستمرة شكلا ومضمونا .

ثانياً: قبول أهمية تعدد الهويات ضمن الهويـة العامـة المـشتركة بـما يغنـى التجربة ويثريها .

وهنا أشير إلى بعض وجهات النظر التى ترى أن الهوية العربية تستعـصى على التعريف ، وكذلك كونها لم تصل بعـد إلى مرحلـة الاكـتمال والنـضج ، ويرجع ذلك إلى جملة عوامل منها:

١ - حالة العجز الذى يعيشها العرب فيما تعلق ببناء منظومة اجتماعية تراعى حقوق الإنسان ، وتتخذ من العدل قاعدة انطلاق لها .

٢ - الاستبداد السياسى – بكل أشكاله وألوانه – الذى يغلف معظم الأنظمة الحاكمة فى المنطقة العربية.

---

(1) Barakat. Halim (1993) Arab world society. (culture and state. Berkley University of California press. Pp 32-34.

٣- غياب فكرة العمل العربى المشترك رغم حتمية هذه الفكرة فى وقت يتجه فكر العالم الغربى نحو التكتل والوحدة.

٤ - ما نعيشه من تبعية كاملة للغرب ، تبعية تكاد تحجب عنا خطر تلاشى هويتنا بما تعنيه من ركائز أساسية للشخصية العربية .

ثالثا: لعل ما يميز الهوية العربية هو كونها تتخطى حدود الدولة القطرية لتشمل العالم العربى كله وأنها تتشكل بعوامل مشتركة هى اللغة والدين والتقاليد ، ولعل اللغة تمثل أهمية خاصة لوسائل الإعلام بالقدر الذى تشكل فيه رموز الهوية العربية ، وقد أدى توحد العالم العربى فى الحرب ضد الاستعمار والتطلع إلى الاستقلال فى النصف الثانى من القرن العشرين إلى إثراء الهوية العربية وكان وجود إسرائيل سببا لتدعيم الهوية العربية –فى مراحل معينة – باعتبار أنها تمثل تهديدا مباشر لهذه القومية(١)

رابعا: هناك من يؤكد على أن الهوية العربية الآن هى أبعد ما تكون عن التعريف الدقيق معاييرها قد اختلفت ، والدليل أن جيبوتى والصومال تتمتعان الآن بالعضوية الكاملة لجامعة الدول العربية . ويعزى البعض فشل وضع تعريف للهوية العربية إلى التركيز على أسئلة مثل : من نحن ؟! بدلا من ماذا سنفعل ؟

وفى هذا الإطار يحاول كثير من الباحثين إيجاد تعريف للعرب وللهوية العربية فيرى الجابرى أن الفرد يكون عربيا عندما يشعر بالألم عند تعرض شعب أو فرد عربى لعدوان أجنبى، هذا الشعور الذى يهيمن فى وقت الأزمات لا يتناقض مع النزوع نحو الوحدة العربية أو ما يعرف " بهوية

---

(1) Lynch .M. (2002) “Jordan’s Identity and interests” in telhami, sh & M. Barnett (eds) op. cit.

العرب " ويعد هذا النزوع التعبير الإيجابى عن ذلك الشعور خارج أوقات الأزمات " فالعرب" هوية تتشكل وتصير . لذلك فأن يكون الفرد عربيا ، ليس مغربيا أو مصريا أو سعوديا الخ هو أني كون عروبيا ، أى نزوعا نحو تعزيز الوحدة الثقافية العربية القائمة بوحدة اقتصادية ، ونوعا من الوحدة السياسية. وقد ارتبطت الهوية العربية بمشروعات تاريخية مختلفة خلال القرن الماضي ، فالعروبة (Arabism) كان لها معان مختلفة لدى فاعلين مختلفين فى أوقات مختلفة ، وكان هناك جدل واسع فى العالم العربى على معنى العروبة [1]

الهوية العربية ، أبعادها وعوامل تشكيلها ..

" الهوية " من المصطلحات قليلة الضبط ، يسميها البعض الذاتية ، والبعض الآخر الذاتية الثقافية، وقد عرفت اليونسكو الذاتية الثقافية بأنها ليست تراثا جامدا ، ولا مجموعة من التقاليد ، بل هى دينامية داخلية ، عملية إبداع مستمر للمجتمع بموارده الذاتية ، تغذيها التنوعات الداخلية القائمة بصورة واعية ومقصودة ، وتقبل الإسهامات الآتية من الخارج باستيعابها عند الحاجة، وهى الشرط الأساسى فى تقدم الإفراد والجماعات والأمم لأنها تحرك الإرادة الجماعية ، وتشكل أساسها ، وهى تحفز على تعبئة الموارد الداخلية من أجل العمل، وهى التى تجعل من التغيير اللازم تواءما خلاقا .

وتشمل الهوية العربية على ثلاثة أبعاد : يتعلق الأول بالبعد السياسى الذى يعبر عن إمكانية العمل العربى المشترك، وتفعيل الحراك الجماعى للدول العربية. والثانى يتعلق بالبعد الجمعى الذى يتضمن الشعور العام على مستوى الجماعات ، والشعوب العربية بالمرجعية الموحدة .وأخيرا البعد الفردى الذى

---

(١) خيرت معوض محمد عياد : الهوية العربية كمتغير فى معالجة الصحافة العربية للغزو الأنجلو أمريكى للعراق ، أبحاث المؤتمر السنوى العاشر ، مرجع سابق ، ص ٦٥٩ .

ينصب على الفرد فى علاقته الإنتمائية لمرجعية عضوية ومعنوية بعينها هى الهوية العربية [1]

تحديات الهوية..

إذا كان التنافس يشتد الآن بين الأطراف الدولية، فى ظل التطور التكنولوجى الهائل الذى وفرته الأقمار الصناعية فى عصر السماوات المفتوحة فإن محاولات الاستحواذ على شعوب المنطقة العربية تتزايد، خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، وبعد الاتهامات المتبادلة بين الشرق والغرب حيث اتهم الغرب الشرق العربى و الإسلامى بتزايد الكراهية نحو الغرب واتهم الشرق العربى والإسلامى الغرب بتشويه صورة العرب والمسلمين [2]

لقد تسابقت العديد من الدول فى إطلاق موجة من القنوات الفضائية الناطقة بالعربية للترويج لسياساتها ومصالحها فى المنطقة العربية، ومن أمثلتها القناة الفضائية الإسرائيلية الناطقة بالعربية، وقناة أمريكية ناطقة بالعربية أيضا هى " الحرة "، وأصبحت القنوات الفضائية الناطقة بالعربية محورا لاهتمام عدد كبير من الدول التى ترصد لها ميزانيات هائلة، وتستخدم إمكانياتها البشرية والتقنية لجذب عيون وآذان المشاهدين العرب[3] ولاشك أن

---

(١) خالد صلاح الدين: اتجاهات النخبة المصرية نحو إدارة القنوات التليفزيونية الأخبارية للأزمات العربية فى إطار مدخل إدارة الصراع، أبحاث المؤتمر العلمى السنوى العاشر، لكلية الإعلام، مرجع سابق ص ٩٧٣.

(٢) " فى الشرق الأوسط"، أفواه تتكلم وآذان مسدودة، مقال نشر فى صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ٣/ ٩/ ٢٠٠٢، ص ٦.

(٣) هبة أمين شاهين: المعالجة الإخبارية للقضايا العربية فى القناة الفضائية الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية، دراسة تحليلية، أبحاث المؤتمر العلمى السنوى العاشر، كلية الإعلام، مرجع سابق، ص ٧٣٢.

مثل هذا الغزو الفضائى يعد تهديدا لهوية الشعوب ويجعل من كيفية الحفاظ عليها أمرا صعباً وشائكاً.

لقد وضعت أكثر الدول عراقة احتياطات خاصة للحفاظ على هويتها حين وافقت تلك البلدان على اتفاقية منظمة التجارة العالمية "الجات" لكنها ترددت كثيرا أمام البند المتعلق بالثقافة والإعلام ، وأرجأت الموافقة عليه إلى أجل ، لأن كل دولة تخشى من فقدان هويتها الثقافية أمام قوة التأثيرات : الثقافية والإعلامية الأجنبية [1]

لقد تنامى إحساس لدى المجتمعات بالخطر على الوجود الذاتى لأفرادها ويكفى أن نعرف أن الرئيس الفرنسى " شيراك " رفض طلبا " لماكدونالدز " فى إقامة مطعم فى برج "إيفل" لأن هذا البرج علامة من علامات الهوية الفرنسية ، ويجب أن يظل فضاؤه منفردا بنمط المعيشة الفرنسى[2]

ومعنى هذا أن الخوف على الهوية لم يعد قاصرا على دول بعينها ، وإنما أصبح هاجسا يؤرق مفكرى أعرق الدول

وهذا الفكر أخذ يولى الثقافة اهتماما يتعاظم تدريجيا حتى أصبحت من أهم العوامل التى تساهم فى فهم حالة التغير الحضارى التى يعيشها العالم اليوم

---

(١) سامى محمد ربيع الشريف : القنوات الفضائية العربية ، والحفاظ على الهوية ورقة بحث مقدمة إلى ندوة " الإعلام الدولى وقضايا العالم الإسلامى (القاهرة ، رابطة العالم الإسلامى ، ٢٨، ٢٩ : ١٩٩٨) ص ص ٢، ٣.

(٢) أحمد فتحى سرور : كلمة فى افتتاح المؤتمر العلمى السنوى العاشر ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ، مرجع سابق ، ص ٧ .

وتفسيرها، فالثقافة تعتبر المكـون الأساسـى لوجـدان أى مجتمـع وهـى ورح حضارته لكونها تعبر عن العمق التاريخى المتراكم والمترسب فى المجتمع[1]

إن مشكلة الهوية أصبحت مـن الموضـوعات الثقافيـة ، وقـضايا الفكـر السياسى والاجتماعى التى يحتدم النقاش حولها ، وتشغل الـدوائر العلميـة ، نظرا لصراع الهويات الناتج عن هذا الكم من الرسائل الإعلامية المعبرة عـن هويات مختلفة ، وربما متباينة فى عصر السماء المفتوحة

وفى مثـل هـذه الأجـواء تـسعى المجتمعـات إلى الحفـاظ عـلى ذاتيتهـا وأصالتها وتقاليدها ، والسؤال الذى نطرحه الآن هل تنجح مثل هذه المساعى فى وقت توضع فيه الخصوصية فى مواجهة غير متكافئة مع العالمية ، والمحليـة مع الكونية ، والتقليدية مع الحداثة .. "الأنا" فى مواجهـة "الأخـر" والأنـا فى هذا السياق هو الذى يدافع عـن الهويـة والخصوصية والمحلية والتقليديـة أما الآخر فهو الذى يتحد مع العولمة والعالمية والمعاصرة والكونيـة والحداثـة بعيداً عن ذاتيته.

وعلى الرغم من طرح موضوع الهوية منذ أواخر القرن التاسع عشر وأخذ مداه الكامل خلال حقبتى : الأربعينات والخمسينيات مـن القـرن العـشرين وظهور مشكلة الهوية فى أجلى معانيها بالخلاف بين دوائرها المختلفة القطريـة والقومية والإسلامية والعالمية غير أن أزمة الهوية العربية ما تزال قائمـة حتـى الآن بالرغم من الوضوح الشديد الذى تتسم به ، والسبب فى ذلك يرجـع إلى جملة العوامل التى ذكرها الباحث من قبل.

---

(١) جيهان سليم: عولمة الثقافة، واستراتيجيات التعامـل معهـا فى ظـل العولمـة (القـاهرة، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٩٣/ ٧، ٢٠٠٣) ص ١١٨ .

ويمكن تقسيم التحديات التى تواجه الهوية العربية إلى تحديات داخلية ، وأخرى خارجية.

أولا: التحديات الخارجية :

تعد " العولمة " التى ظهرت بقوة على الساحة خلال العقد الأخير من القرن الفائت أبرز تحد يواجه الهوية العربية وأصعب اختبار لمدى تأصل هذه الهوية فى الكيان العربى وقدرتها على الصمود ومقاومة الذوبان والاضمحلال ، حتى ليمكن القول إن الهوية العربية بحق تقف الآن عند مفترق الطرق.

لقد ارتبط سؤال الهوية بعملية العولمة باعتبارها القضية المحورية التى تعبر عن مدى التحدى الحضارى الحقيقى الذى يشهده العالم " العربى والإسلامى مع نهاية الألفية الثانية ، يكاد يكون سؤال الهوية الهاجس الوحيد الثابت فى أى معالجة لصيرورة العولمة ، وبخاصة وأن البعض يراها وكأنها مخطط محكم ، واستراتيجية محددة تم تخطيطها وتنفيذها بوعى وقصد بها اجتياح بقية العالم وتهديد الثقافات المحلية والقومية والأخرى [1]

إن الزيادة المطردة فى البث الفضائى الغربى الموجه للمنطقة العربية قد يهدد بنوع من الذوبان الثقافى ، وغياب أهم ملامح الهوية العربية .

ثانيا: التحديات الداخلية وتتمثل فى غياب دور الأسرة:

وتعدد أنظمة التعليم ، واختلاف فلسفتها ، بالإضافة إلى البعد عن العربية اللغة الأم ، واستبدالها فى كثير من المواقع بالإنجليزية . هذا إلى جانب

---

(١) حيدر إبراهيم : العولمة وجدل الهوية الثقافية ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

شيوع اللهجات الدارجة بما فيها من تعبيرات تعكس مدى انحدار المستوى اللغوى فى المنطقة العربية.

إن الهوية العربية تمر حاليا بفترة عصيبة نتيجة لتوارد متغيرات عدة مرت عليها وعلى الرغم من أن لبعض هذه المتغيرات جذور سابقة إلا أن وطأتها قد زادت حدة فى الآونة الأخيرة نظرا لبروز معطيات عديدة على الساحتين : الدولة ، والإقليمية ، أوصلتها إلى ما يمكن تسميته بمرحلة الانحسار المهدد – لا قدر الله – للانكسار[1]

وعلى الصعيد الدولى تمثل العولمة أبرز التحديات التى تواجه الهوية العربية أما على الصعيد الإقليمى فقد تعالت فى الآونة الأخيرة أصوات متناثرة هناك، تنادى بضرورة الانسلاخ عن الهوية العربية الأم التى احتوت المجتمع ، الإسلامى كسياق ثقافى جامع على مدى قرون عدة واستبدالها بهويات أخرى غير العربية [2]

إن الهوية لابد وأن تعانى من التوجهات السياسية والاقتصادية للعولمة التى تهدف إلى تشكيل العالم وقولبته وفقا لنمط قيمى موحد World as a Whole يسود العالم ويسيطر عليه ، فالتعرض لاختراق البرامج التلفزيونية الأجنبية فى كثير فى بلدان العالم يعنى أن هناك أخطارا ثقافية على المجتمعات المحلية قد تلقى بظلالها على الثقافات والهويات القومية من خلال تعرض مواطنيها لثقافات وقيم أجنبية، ووجهات نظر دول أخرى .

---

(١) عبد الرحمن محمد الشامى: الإنترنت والهوية العربية ، الفرص والمخاطر، مرجع سابق ، ص ٦٣٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٣٦.

إن الإعلام الأجنبى قد يلعب أكثر من دور فيما يتعلق بإعادة تشكيل هوية المجتمعات المحلية ، فإما أن يساهم فى ضعف هذه الهوية من خلال فرض مضامينه وقيمه وتوجهاته وسياسته وثقافته على شعوب المجتمعات المحلية ، وأما أن يدعم الهوية ويقومها من خلال عودة المجتمعات المحلية إلى قيمها وتراثها وتاريخها ومعتقداتها كنوع من أنواع مقاومة التأثيرات السلبية التى يمكن أن تحدثها المواد الإعلامية الأجنبية ، ولا بد أن نشير إلى قدرة المجتمعات على الاستفادة من التفاعل مع المضامين الأجنبية مما يثرى هويتها [(1)].

وقد يتجاوز الأمر موقف المقاومة هذه ، وتتمكن المجتمعات المحلية من الاستفادة والتفاعل مع المضامين الأجنبية الوافدة بما يثرى هويتها .

إن ما يعيشه العالم الآن من طفرات تكنولوجية متلاحقة ، وضعت المجتمعات الإنسانية على حافة هاوية .. قيم متباينة يحملها بث وافد ، نماذج سلوك يروج لها إعلام عالمى قد لا يحفل كثيرا بفكرة الخصوصية الثقافية ، وهذا قد يعنى ذوبان الهوية الإقليمية .

إن تأثر الهوية بالمضامين العابرة للقوميات ، أمر حتمى ، ويكفى العولمة بما تفرزه من إنتاج إعلامى يدعو إلى المزيد من الاندماج حاملا ثقافية استهلاكية ، وإذا كانت الهوية والعولمة قد التقيا فهذا ليس معناه أن الصدام هو النتيجة الوحيدة لمثل هذا اللقاء ، فنسبية الهوية ، تجعلها مرنة بقدر يمكنها من التعايش بل ومن الاقتباس من الثقافات الأخرى ، يساعدها على ذلك عوامل

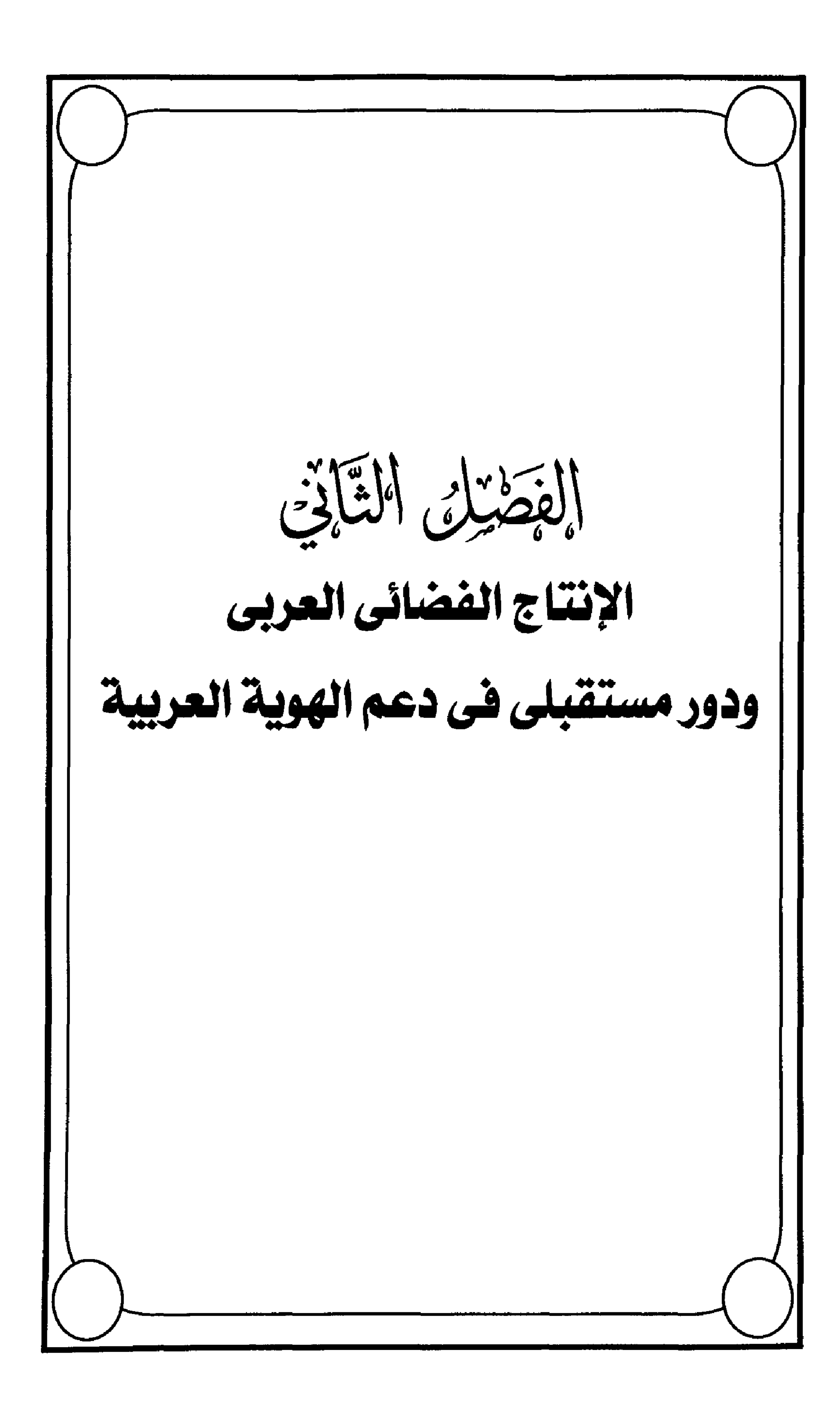
---

(١) ثريا أحمد البدوى : علاقة المضمون الإعلامى الأمريكى بالهوية القومية للشباب المصرى الجامعى ، أبحاث المؤتمر العلمى السنوى العاشر ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، مرجع سابق ص ص٥٤٠، ٥٤١ .

التقارب، وسقوط الحواجز الجغرافية ،وعندئذ يحدث التفاعل الإيجابى الخلاق بين الهوية والعولمة .

وهنا لابد أن نؤكد على حقيقة لا تقبل الشك ألا وهى أن الهوية الثقافية تعرف المزيد من الثراء فى ظل تجارب أهلها ومعاناتهم ، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الأخرى .

إن التحديات التى تواجه الهوية – فى ظل التطور التكنولوجى الذى وفرته الأقمار الصناعية –كثيرة، وهذا ما يجعل الإحساس بخطر فقدان الهوية يتنامى بين المجتمعات لا فرق فى ذلك بين مجتمع متقدم وأخر نامى . وفى مثل هذه الأجواء تسعى المجتمعات إلى الحفاظ على ذاتها، وأصالتها والسؤال الذى يطرحه الباحث .. هل تنجح مثل هذه المساعى فى وقت توضع فيه الخصوصية فى مواجهة غير متكافئة مع العولمة ؟



الفصل الثاني

الإنتاج الفضائى العربى

ودور مستقبلى فى دعم الهوية العربية

الفصل الثانى

الإنتاج الفضائى العربى
ودور مستقبلى فى دعم الهوية العربية

يشكل الإعلام المعاصر من خلال مؤسساته ووسائله المختلفة أحد المؤسسات الرئيسية فى عملية التنشئة بيعدها الاجتماعى والسياسى بحكم قدراته غير المحدودة فى التأثير على الفرد معرفيا واتجاهيا وسلوكيا بل تجاوز دوره فى تأثيره ومداه أدوار بعض المؤسسات الأخرى العاملة فى مجال التنشئة مثل المدارس ودور العبادة ، والمؤسسات السياسية ، والنوادى ، والأسرة وذلك بحكم ما يتمتع به من جاذبية واستمرارية ، وإلحاح وتشويق فى الوقت الذى ينتهى فيه دور بعض المؤسسات مثل المدرسة فى مرحلة معينة ، ويعوق عمل باقى المؤسسات العديد من الصعوبات لتبقى الساحة مفتوحة للإعلام لكى يؤثر[1]

وأخطر قضايا الإعلام المعاصر بالنسبة للوطن العربى يكمن فى التأثير السلبى لمضمون الإعلام الأجنبى على هويته وخاصة فى ظل آليات العولمة القادرة على التأثير والتوغل فى البنى الثقافية التقليدية . وهنا يمكن أن نؤكد على أن من يملك إعلاما قويا يمكن أن يؤثر على الأخر فى قيمه وأخلاقياته وعاداته وتقاليده وصولا إلى هويته.

---

(١) مفيد شهاب : كلمة فى افتتاح المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام جامعة القاهرة ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

والتأثير السلبى لمضمون الإعلام الأجنبى على الهوية العربية يمكن تتبعه من خلال وظائف إعلام العولمة التى تتمثل فى [1]

١ - إحداث ثورة إدراكية ونفسية تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيف مع متطلبات العولمة وشروطها .

٢ - اختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنوب من خلال المسلسلات والأفلام وبرامج المنوعات الأمريكية، وتقديم النموذج الأمريكى كغاية مثلى .

٣ - استقطاب النخب المثقفة للترويج لفكرة العولمة ، وأيديولوجيتها عبر الحوارات التليفزيونية .

٤ - توظيف وسائل الإعلام الدولية والمحلية كأحزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج القيم الاجتماعية والثقافية الغربية مما يتسبب فى إحداث بلبلة ، واضراب شديد فى منظومة القيم المميزة للثقافات المحلية .

٥ - ترسيخ التدفق غير المتوازن للمعلومات ، والاتجاه الرأسى أحادى الجانب للإعلام من الشمال إلى الجنوب ومن الثقافة المسيطرة إلى الثقافة التابعة .

إن فرض المادة الإعلامية الأجنبية على اختلاف أشكالها وبما تملكه من عناصر جذب وتشويق ، وما تحمله من قيم وسلوكيات وأفكار تتباين فى كثير من الأحيان مع خصائص وطبيعة المواطن العربى يمكن أن تؤثر على المدى البعيد فى إحداث آثار سلبية على الهوية ومنظومة القيم الحاكمة والفاعلة فى المنطقة العربية .

---

(١) عواطف عبد الرحمن : الإعلام العربى وقضايا العولمة (القاهرة ، العربى للنشر والتوزيع ، دراسات فى الإعلام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩) ص .ص ٤٠ ، ٤٥ .

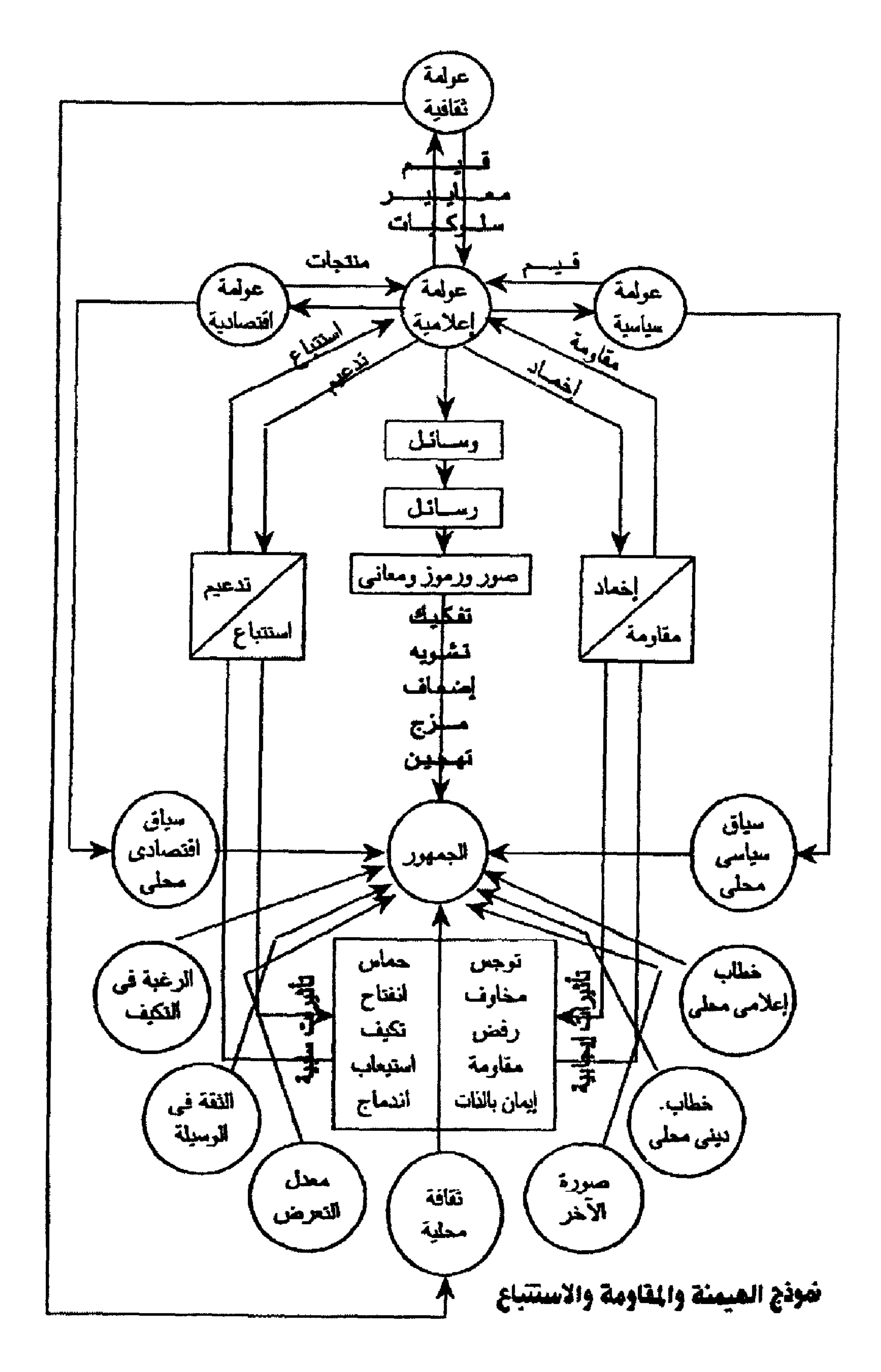
إن العولمة الأمريكية تقدم شكلا جديدا من الثقافة الجماهيرية العالمية من خلال الصورة التى تعبر حواجز اللغة فى كل اتجاه وتسود هذه الثقافة من خلال كافة الوسائل التى دخل بها الفن البصرى والجرافيكى ، وتتسم بأنها شكل من أشكال التمثيل الثقافى يعمل على إضفاء طابع التجانس ، وله قدرة امتصاصية ضخمة للأشياء ، وإعادة تشكيلها فى إطار التصور الأمريكى للعالم[1]

إن العولمة الإعلامية ، أحدثت وتحدث الآن عمليات إعادة تشكيل للثقافات بمعنى تهميش العلاقات الطبيعية والمنطقية بين الأرض والجغرافيا والاجتماع ، وذلك من خلال إطلاق إشارات ثقافية من مواقع ثابتة عبر بث وافد يفكك الأبراج الإنسانية والرموز ويمزق التراكيب الثقافية المتوارثة مما يسهم فى تعميق أزمة الهوية .

ولعل مثل هذه الإشارات يصعب مقاومتها نظرا لما تتمتع بع من مقومات الإبهار والإثارة ويمكننا أن نقترح نموذجا جديدا يفسر علاقة الجمهور المحلى بالخطاب الإعلامى المعولم ، ويوضح طبيعة الاستجابات المترتبة على التفاعلات المتعلقة بالهيمنة والمقاومة والاستتباع.

---

(١) محمد سعد أحمد إبراهيم : خطاب العولمة والهوية فى وسائل الإعلام الأمريكى الموجهة بالعربية، وانعكاساته على استجابات الشباب، أبحاث المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام ، مرجع سابق ، ص ٣٧.


عولمة ثقافية
قيم
معايير
سلوكيات
منتجات
عولمة اقتصادية
عولمة إعلامية
قيم
عولمة سياسية
استتباع
تدعيم
إخماد
مقاومة
وسائل
رسائل
صور ورموز ومعانى
تدعيم
استتباع
إخماد
مقاومة
تفكيك
تشويه
إضعاف
مزج
تهجين
سياق اقتصادى محلى
الجمهور
سياق سياسى محلى
الرغبة فى التكيف
خطاب إعلامى محلى
حماس
انفتاح
تكيف
استيعاب
اندماج
توجس
مخاوف
رفض
مقاومة
إيمان بالذات
الثقة فى الوسيلة
خطاب ديني محلى
معدل التعرض
ثقافة محلية
صورة الآخر
نموذج الهيمنة والمقاومة والاستتباع

شكل رقم (٣)

يتضمن نموذج الهيمنة والمقاومة والاستتباع للخطاب الإعلامى المعولم على أربعة أبعاد هى [1]

أ- السياق التفاعلى للعولمة : حيث تتكامل وتتفاعل أبعاد العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية لتشكل دوائر التأثيرات الثقافية المتمثلة فى قيم ومنتجات العولمة التى يجرى تسويقها عبر آليات سياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية .

ب- الخطاب الإعلامى المعولم : ويتشكل هذا الخطاب فى سياق نظام اتصالى عالمى يوحد معايير تقييم الأخبار وإنتاج المفاهيم والصور والمعانى على نحو يساعد فى الترويج لثقافة عالمية مهجنة ، تمزج بين الثقافة الغربية والثقافة المحلية حتى تكتمل عملية الامتصاص بشكل تدريجى ويستخدم الخطاب الإعلامى المعولم آليات التفكيك والتشويه والإضعاف والمزج والتهجين إزاء قيم الثقافة المحلية ، ليتكامل دور الخطاب الإعلامى مع دور آليات العولمة السياسية والاقتصادية ، والثقافية المتمثلة فى الضغوط الدبلوماسية ، وحملات التشويه الإعلامى ، وفرض العقوبات ، وبرامج المعونات ومبادرات التغيير المفروضة من الخارج .

ج- المتغيرات المؤثرة على استجابات الجمهور للخطاب الإعلامى المعولم : وتشمل ثلاثة سياسات متفاعلة هى :

١ - السياق الذاتى : ويتضمن معدل التعرض، مستوى الثقة فى الخطاب الإعلامى المعولم ، صورة الآخر ، والرغبة فى التكيف مع ثقافة العولمة.

---

(١) محمد سعد أحمد إبراهيم : خطاب العولمة والهوية فى وسائل الإعلام الأمريكى الموجهة بالعربية مرجع سابق ، ص ١٣١ .

٢ -السياق المحلى : ويتضمن محصلة التفاعل بين المتغيرات التالية : (السياق السياسى المحلى ، السياق الاقتصادى المحلى ، الثقافة المحلية ، الخطاب الإعلامى المحلى ، الخطاب الدينى المحلى)

٣- السياق الدولى : ويتضمن تأثيرات العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية على السياقات المحلية بأبعادها المختلفة ، وانعكاس التفاعلات بين الدولى والمحلى على الجمهور

د- التأثيرات الثقافية للخطاب الإعلامى المعولم : وتنقسم إلى نوعين من التأثيرات :

١ - استجابات المقاومة : وتتمثل فى التوجس والخوف من ذوبان الثقافة المحلية ، والرفض للانفتاح والتبعية ، والمقاومة للهيمنة الثقافية ، والإيمان بالذات من خلال العودة لجذور الهوية والدفاع عنها .

٢ - استجابات الاستتباع : وتتمثل فى الحماس للقيم والمعايير الوافدة ، والانفتاح على الثقافة الغربية ، والتكيف معها واستيعاب أنماط القيم والسلوكيات والاندماج فى ثقافة العولمة.

وفى هذا الإطار يتبنى الجمهور نفس المعانى المستهدفة من قبل الخطاب الإعلامى المعولم، الذى يقوم بدوره فى تدعيم استجابات الاستتباع [(١)] .

إن العولمة ظاهرة ليست ممكنة إلا فى إطار بيئة إعلامية عالمية ، شكل جديد من ثقافة وسائل الاتصال ، تسود فيها مجموعة من القيم والمفاهيم والصور

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٤.

التى تسهم فى إنتاج نسيج الحياة اليومية ، وصياغة الهوية وفق منظور العقيدة الليبرالية الجديدة .

وفى هذا المجال يمكن أن نوجز سمات الخطاب الإعلامى العولمى على النحو التالى :

أولا: خطاب تبشيرى استعلائى يعكس نزعات الهيمنة والتسلط، والاستبداد ويتناقض فى كثير من الأحيان مع ما يدعيه من حريات وحقوق الإنسان .

ثانيا: خطاب هو أقرب إلى العدائى ، يتخذ من الإسلام خصما حضاريا ومن ثم يحرض القوى الدولية على التصدى لكل ما هو عربى إسلامى جاعلا منه مصدر الشر والإرهاب .

ثالثا: خطاب أحادى التوجه يستند إلى المرجعية الواحدة ، والنموذج الواحد ويروج للمعايير والقيم ذات البعد والفكر الواحد ويتجاهل التنوع الثقافى وكل أشكال وملامح الذاتية .

رابعا: خطاب اختزالى يخترع صراع الحضارات خطوة على طريق النفاذ إلى الثقافات المحلية .

خامسا: خطاب أصولى يتجه نحو تسييس الدين ، وتدين السياسة من خلال تحويل القضايا العقائدية إلى مسائل إنسانية مصيرية (١)

إذا كانت العولمة هى عالم أبعد ما يكون عن الدولة ، عن الأمة ، عن الوطن .. إنه عالم المؤسسات، والشبكات العالمية ، عالم "الفاعلين" وهم "المسيرون" والمفعول فيهم وهو المستهلكون للسلع والصور والمعلومات،

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٦ .

وإذا كانت العولمة كذلك فإننا كعرب فى أشد الحاجة إلى انطلاقة لآفاق العلم والثقافة فاعلين مؤثرين .. فى حاجة إلى مقاومة الاختراق بتوفير نوع من الحماية لهويتنا العربية ضد أى انحلال أو تلاشى ومن هذا المنطلق لابد أن نأخذ من العولمة ما يساعدنا على التصدى لآثارها السلبية .. الإمكانيات اللامحدودة التى توفرها العولمة أعنى الجوانب الإيجابية منها وهذا ما تفعله الدول الأوربية الآن حيث توظف العلم والثقافة فى الدفاع عن هويتها ، ومحاولة بلورة الركائز الشخصية لمجتمعاتها .

وفى هذا المجال يشغل الإعلام حيزا واسعا فى استراتيجيات الدول السياسية والاقتصادية والعسكرية متخذا من تكنولوجيا الاتصال قوة تأثير غير عادية تفوق قوى الاقتصاد والدبلوماسية ، بل والقوى العسكرية .

وبالقدر الذى أسهم فيه الإعلام الدولى الراهن فى تمكين الثقافات من تجاوز الحواجز التقليدية بين الثقافات ، فقد صاحب هذا الإسهام تدفق غير متوازن للمعلومات بين الشمال والجنوب تدعمه مؤسسات إعلامية دولية لا تتوقف عن تجاوز الخصوصيات الوطنية منتهكة بذلك الثوابت القومية ، مخترقة الحدود السيادية ، تبسط نفوذها عبر الإمكانيات التقنية الكبيرة ، وتكريس إمكانيات البث عبر الفضاء والسؤال الذى نطرحه نحن أبناء هذه الأمة التى كانت قبل قرون وإلى الآن هدفا للاختراق بكل أشكاله .

أين نحن على خريطة العالم اليوم ؟ وعلى هذه الخريطة هل يمكن أن نحتل مكانة توفر علينا تكاليف ضرائب إضافية ندفعها من أجل الحفاظ على هويتنا

وأن نكتسب من الماضى بتجاربه سلاحا يمنحنا فرصة عادلة فى مواكبة الحياة بشروط أفضل؟ [1]

إن البث الفضائى الوافد يحمل الكثير من المخاطر مما يتتج عنه إحساس متنامى بفقدان الهوية بين عدد كبير من أبناء الوطن العربى وبالقدر الذى كانت فيه وسائل الإعلام أحد المصادر الأساسية فى تدعيم الهويات الوطنية ، والتأكيد عليها ، فإن هذا الدور ينبغى أن يفعل الآن ، خاصة فى ظل التقدم التكنولوجى الهائل الذى تشهده وسائل الاتصال.

إن مقدرة الإعلام على بناء هوية الشعوب من خلال تشكيل إدراك الأفراد لأنفسهم وللآخرين أمر لا يقبل النقاش ، ومن ثم يمكن توظيف الإعلام فى بناء أجندة الجمهور ، والتأكيد على أولويات وفعاليات بعينها ، وتجاهل الأخرى ، ويمكن أن تقدم معلومات تتعلق بسياسات ومصالح ، وتجعل الأفراد يعيدون التفكير فى التكلفة والعائد المرتبط بها بمعنى آخر يمكن استخدام الإعلام للتأكيد على هوية معينة من خلال تبيان الفوائد منها [2]

وإذا كانت هناك اتجاهات تؤمن بالتأثير السلبى لإعلام العولمة وخطره على الهوية متمثلا فى قدرة البث التلفزيونى المباشر عبر الفضائيات على اختراق الثقافات القومية وغزو العقول ، فإن هناك من يرى أن مثل هذا الاختراق قد يكون غير منطقى على الصعيد المعاش ، فثوابت الهوية تستطيع أن تقاوم مثل

---

(١) صباح ياسين على : مناقشات السيد ياسين فى مفهوم العولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية " العرب والعولمة " (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠) ص٧١.

(٢) خيرت معوض محمد عياد : الهوية العربية كمتغير فى معالجة الصحافة العربية للغزو الأنجلو أمريكى للعراق ، أبحاث المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، مرجع سابق ص ٧٠.

هذه التأثيرات خاصة وأنه لا يوجد ارتباط إيجابي بين تكنولوجيا الاتصال العالمية وتشكيل الهوية المحلية القومية ، وبالتالى فوسائل الإعلام العالمية لن تؤدى بالضرورة إلى مجتمع معولم تسوده ثقافة واحدة ، ولكن إلى هويات متعددة تتخطى الحدود القومية مؤكدة تميزها وأصالتها

وفى هذا السياق قد تلعب العولمة دور المحرض Provocation حيث تدفع المجتمعات المحلية إلى العودة للثقافات الفردية ، والتقاليد والتمسك بالأرض، والأصول ، والقيم والأصالة

وفى مواجهة المفهوم الكونى للهوية الثقافية ، الذى يرفض فكرة الهوية المحلية نشطت الأدوات الإعلامية المحلية داخل العديد من المجتمعات فى محاولة لحماية ملامح وقيم الهوية المحلية ، وقدمت تفسيرا لفكرة الهوية الثقافية الكونية - التى روج لها منظرو العولمة - فى إطار مفهوم الاستعمار الثقافىCultural Imperialism ويصف هذا المفهوم محاولات الدول المهيمنة فرض منتجها الثقافى بما يعكسه من اعتقادات وقيم وأيديولوجيات يتبناها المجتمع المصدر لهذا المنتج على المجتمعات الأخرى الهامشية التى تمثل حلقات أضعف فى النظام العالمى ، والاستعمار الثقافى بهذا المعنى هو استراتيجية تتبناها الدول المهينة من ناحية وتجابهها من ناحية أخرى سياسيات محلية فى الدول المستقبلة [1]

وفى مقابل الفكرة التى يطرحها صانعو العولمة ومنظروها حول تقريب وتذويب الحدود والفواصل بين الهويات المحلية كخطوة على طريق هوية

---

(1)Foote, Joe S., the Structure and marketing of global television News, Journal of. Broad casting & Electronics, media, winter 1995, Vol. 39 No.1 p.2.

كونية واحدة مشتركة ، والفكرة النقيضة لها التى تـؤمن بأهميـة تفعيـل قـدرة الخطاب الثقافى على حماية الهوية المحليـة ، فى مقابـل هـاتين الفكـرتين تطـرح وجهة نظر ثالثة هى أقرب إلى فكرة توفيقية فى إطار الـlocalism ويعنى الرؤية العالمية لما هو محلى . وقبل أن نسأل عن استراتيجية إعلامنا العربى – وخاصة قطاعه الفضائى – فى مواجهة خطاب العولمة ، وبيـان مـدى تـأثير الاتـصال الدولى على الهوية العربية ، أود أولا أن أقترب مـن المـشهد الـراهن للإعـلام العربى حيث التحديات التى تواجهه ، ويمكن صياغتها فى :

أولا: التقدم العلمى والتكنولوجى الهائل وما يصاحبه من سيطرة لـرأس المال على وسائل إعلام العولمة التى تجاوزت الاقتصاد والسياسة حيث القـيم والأخلاق وأنماط الحياة وتتمثل هذه التحديات فى بعض المظاهر منها

ثانيا: الإنسان المعاصر وكيف يعيش فى فضاء عالمى لا يعـترف بالحـدود حيث تتعدد الشبكات والقنوات الفضائية التى تحمل من القيم المغايرة لثقافة المتلقى الكثير .

ثالثا: خلق أنماط استهلاكية جديدة من خلال ما يحمله الإعلام الوافد من إعلانات تحمل احتياجات وتطلعات أكبر من القدرة الاقتـصادية للجماهـير المتلقية ، وهذا ربما يضعف من الإحساس بالانتماء لهؤلاء .

رابعا: العولمة التى واكبت ثورة الاتصالات ، وأتاحت الفرصة كاملة أمام صـانعها للـتحكم فى صـناعة المعلومـات مـن خـلال الـشركات العملاقـة والشبكات الدولية .

وإذا نظرنا إلى بعض ملامح المشهد الراهن للإعلام العربى وأين هو من دعم ومساندة الهوية العربية فإننا نلاحظ ما يلى :[1]

أولا: قصور فى تحقيق تكتل إعلامى عربى يربط بين الغايات والإمكانات وبين الشعارات والممارسات ، ويرتبط القصور فى تحقيق التكامل الإعلامى العربى عضويا بالقصور فى إحداث نوع من التكتل على الصعيد السياسى العربى ، وذلك نتيجة لتبعية الإعلام للسياسة .

ثانيا: قصور فى البحوث النظرية فى مجال الإعلام فضلا عما تدين به العديد من أكاديميات الإعلام العربى لتبعية المدارس الغربية .

ثالثا: تسرب نسبة هائلة من المواطنين العرب إلى منافذ الإعلام الأجنبية لفقدان الثقة فى الإعلام العربى

رابعا: هناك العديد من الإذاعات العربية الموجهة تذيع ولا تسمع ، وكالات أنباء عربية ترسل ولا يشاهدها إلا القليل ، وعلى الرغم من وجود (٢٢) وكالة أنباء عربية لا تزال وكالات الأنباء الغربية تستأثر بالساحة العربية .

خامسا: تدفق إعلامى غائب أو شبه غائب ما بين الدول العربية ، فقد ظلت حركة الإعلام العربى المشترك ضعيفة فى بلوغ الأهداف القومية ، وسيطرت المصالح القطرية على تحديد مجال حركة الإعلام العربى المشترك .

سادسا: إعلام فضائى معظمه مهاجر فى غير موطنه العربى يستورد أكثر موارده الإعلامية من الغير .

---

(١) أحمد فتحى سرور : كلمة فى افتتاح المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام ، مرجع سابق ، ص .ص ٧ ، ٨.

وقد أدرك وزراء الإعلام العرب - الذى يشار إليهم بأصابع الاتهام فيما يتعلق بدور الإعلام العربى فى توفير المزيد من الرعاية والحماية للثقافة العربية – خطورة وقدرة الإعلام الدولى المعاصر الذى تحركه الدوائر السياسية والاقتصادية والعسكرية على اختراق المجتمعات العربية ومن هنا طالبوا فى اجتماعهم الذى عقد بالقاهرة فى ٢٧ من يونيو ٢٠٠٣ بإنشاء قناة عربية يتم تمويلها عن طريق القطاع الخاص ، وتعمل على دعم ومساندة قضايا الثقافة العربية بعيدا عن التوجيهات السياسية.

إلا أن ذلك لا يعنى أننا بلغنا ما نبغيه من الرسالة الإعلامية العربية فلابد أن نكون واعين أن الإعلام العربى لم يبن حتى الآن استراتيجية إعلامية طويلة المدى للتعريف بالهوية العربية[1]

وعلى طريق الحفاظ على الهوية تواجه الإعلام العربى مشكلات كثيرة لعل أهمها :

أولا: ضعف القطاع الخاص العربى ، وتراجعه أمام الشركات متعددة الجنسيات التى تصوغ الآن رسائل إعلامية لتوثر فى عضد وأسس الثقافة العربية .

ثانيا: ضعف منظمات العمل الإعلامى العربى المشترك فهناك العديد من مؤسسات التعاون الإعلامى بين الدول العربية إلا أن شأنها شأن بقية منظمات العمل العربى المشترك تعبر عن تراجع مستويات التضامن والعمل العربى المشترك لمواجهة تحديات الهوية العربية.

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٩.

ثالثا: ضعف فعاليات مؤسسات المجتمع المدنى، وخاصة العاملة والمسئولة عن الإعلام العربى فتلك المؤسسات يمكن أن تلعب دورا هاما وحيويا فى مستقبل الرسالة العربية، وكيفية تنميتها المستمرة لمواجهة التحديات الوافدة ، للتوصل إلى اتفاق عربى حول تحديد ماهية مصالح المجتمعات العربية التى يجب كل الأطراف احترامها والعمل فى إطارها . وفى هذا الصدد لابد أن نتخلى عن طابع رد الفعل والانفعالية وألا يكون خطابنا الإعلامى تصادميا، بل علينا أن نتعلم مهارات الحوار ، ومناورات التفاوض ، وأن نحدد بدقة محتوى الرسالة الإعلامية وكذلك المتلقى المستهدف من تلك الرسائل.

ولعل أخطر قضايا الإعلام المعاصر بالنسبة للوطن العربى هو أن العالم العربى مازال فى موقف المتلقى ، ومازال صوته ضعيفا وغير مسموع فى ظل النظام الإعلامى الدولى ، وذلك بحكم ما يتسم به هذا النظام من سمات تعكس الواقع الاقتصادى والثقافى والسياسى ، الأمر الذى يتجسد فى وجود خلل فى التدفق من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال ، وهو خلل كمى وكيفى يؤدى إلى ثلاث ظواهر سلبية[1]أولها: إن ما ينشر عن العرب وقضاياهم فى وسائل الإعلام – عالميا – ومازال معظمه يأتى من دول الغرب . ثانيها : إن جانبا كبيرا من المواد التى يبثها العرب عما يحدث فى العالم من قضايا وأحداث مازال مصدرها الأساسى هو وسائل الإعلام الغربية .

ثالثهما : إن صورة العرب فى وسائل الإعلام الغربية مازالت هى الصورة النمطية للعربى المسلم بكل جوانبها وأبعادها السلبية .

---

(١) مفيد شهاب : كلمة فى افتتاح المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام جامعة القاهرة ، مرجع سابق ٢٠.

ويزيد تفاقم هذا الخلل الإعلامى انشغالنا فى العالم العربى بمخاطبة أنفسنا والصراع العربى العربى من جانب ، والتركيز فى المواد الإعلامية على ما يرفه ويمتع ويجذب المشاهدين من خلال طابع تجارى غالب على وسائلنا الإعلامية ، خاصة الفضائيات

وإذا كنا نتحدث عن استراتيجية إعلامية عربية قادرة على توفير نوع من الحماية للهوية العربية فإن هذا ليس غاية ما نأمله من إعلامنا فالأمر قد يتجاوز ذلك إلى محاولة دفع الهوية العربية خطوات على طريق التفاعل مع الهويات الأخرى من منطلق إحداث تغييرات عصرية مطلوبة لهويتنا بما لا يتعارض وثوابتنا الثقافية .

إن السياسة الإعلامية تمثل واحدا من المحاور الهائلة لتحقيق التقارب بين الشعوب ، وترسيخ المفاهيم الإيجابية لكل حضارة عن الأخرى ، وأن الرسالة الإعلامية قادرة على أن تزيل الكثير من الجوانب السلبية المغلوطة عن الحضارات الأخرى .

ونجاح الإعلام العربى فى إحداث نوع من التوازن بين الحفاظ على الهوية ، وتطويرها وإخراجها من دوائر الحملة الشرسة التى تحاول النيل منها يفرض علينا فكرا يخاطب الآخرين بلغتهم وأساليبهم ، وكخطوة على هذا الطريق فإننا مطالبون بتجاوز القضايا والخلافات الإعلامية القطرية ، والتركيز على بناء منظومة إعلامية عربية قادرة على الاستجابة لمتطلبات الحوار بين الحضارات .

إن مقاومة الهوية العربية لكل أشكال الاختراق فى وقت يعيش فيه إعلامنا العربى ما يسمى بالصدمة الناتجة عن قوة الإعلام الدولى المعاصر هذا إلى

جانب ما تعانيه معظم المنظمات الإعلامية العربية من مشكلات أساسية لعل أهمها:[1]

١- غياب التخطيط الاستراتيجى لمواجهة التكتلات الإعلامية الدولية.

٢- ضمور الإنتاج العربى وشح الإبداع .

٣- الاعتماد على الرسائل الإعلامية الأجنبية ، وإعادة بثها إلى المواطن العربى .

إن بقاء هويتنا مرتبط إلى حد كبير بتغير العقلية التى تدير الإعلام العربى على المستويات القطرية، وخاصة الإعلام الخارجى ، وهو ما يتطلب أن يعى جيدا واضعو السياسات الإعلامية المتغيرات الدولية المحيطة ، وكيفية توظيف قنواتهم الفضائية لخدمة سياساتهم الخارجية القومية والقطرية ، وبدور المتغيرين الإعلامى والثقافى فى التعامل مع المتغيرات البيئية ، وأن يدركوا حتمية التعاون المشترك .

وطالما أن الإعلام العربى على المستوين القومى والقطرى مسيس فإن تحقيق انطلاقة إعلامية تساعد على نشر الثقافة العربية خارج حدودها ، وتعمل على تغيير صورة العرب النمطية التى عرفت طريقها إلى الغرب تحتاج إلى أن يعى قادة النظم السياسية أولا دور المتغيرات الإعلامية والثقافية فى إدارة البيئة الدولية ، وبأهمية التعاون مع الأشقاء ، مع الالتزام بتوفير المخصصات المالية التى يحتاجها هذا التعاون والمشاركة الإيجابية فى إطار مؤسسى يتولى البحث والتفكير والتخطيط والإنتاج المشترك ، وبدون توافر وعى قادة النظم

(١) أحمد فتحى سرور : كلمة فى افتتاح المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام جامعة القاهرة ، مرجع سابق ، ص١٠ .

السياسية سيظل العمل العربى على حالته الراهنة من الضعف والوهن ، والخمول وبطىء الاستجابة[1]

إن الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية أصبح التحدى المطروح علينا بشدة فى عصر السماوات المفتوحة التى تكتظ بالأقمار الصناعية التى تحمل مئات القنوات التلفزيونية من كل أنحاء الدنيا بما تحمله من تأثيرات مختلفة تشكل الفكر والوجدان على السواء [2]

وتنطلق الشعوب فى هذا القلق من حقيقة أن العلم بطبيعته عالمى ولكن الثقافة بطبيعتها ليست عالمية، وإنما هى تعبير أمين وصادق عن الذاتية سواء كانت ذاتية المثقف أو المبدع بالدرجة الأولى ، أو الذاتية القومية التى يستمد منها هذا المثقف أو المبدع ذاتيته الخاصة ، وكلما كانت الثقافة أمينة وصادقة فى التعبير عن ارتباطها بجذورها الأصلية الضاربة فى أعماق التاريخ ومنظومة القيم المختلفة والتراث الثقافى والفنى والشعبى والمرتبطة فى نفس الوقت بقضايا الواقع المعاش وطموحات وآمال المستقبل لهذا الشعب أو ذاك ، كلما كانت متميزة وكلما كانت قادرة على النفاذ من النطاق الإقليمى إلى النطاق العالمى الواسع ، والأدباء الكبار الذين يفوزون بجوائز "نوبل" ، ويصبحون

---

(١) راسم محمد الجمال : كيف يمكن تقديم الصورة الحضارية العربية للمشاهد الأجنبى عبر الفضائيات العربية فى :
القنوات الفضائية العربية فى خدمة الثقافة العربية الإسلامية (تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،١٩٩٨) ص ٢٢٤.
(٢) أمين بسيونى · الهوية الثقافية العربية فى عصر الفضاء فى :
القنوات الفضائية العربية فى حزمة الثقافة العربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ٢٥٩.

أدباء عالميين إنما يحققون هذه المكانة بصدقهم الشديد فى التعبير عن الأرض التى ينطلقون منها والثقافة التى ينتمون إليها"[1]

وما بين التواصل الثقافى ، الذى يستند إلى حرية التعبير عن الذات وحرية التعرف عن الأخر، والاستتباع الثقافى الذى يقوم على الانصياع والإذعان ينقسم قادة الخطاب العربى إلى فريقين : الأول يدعو لمزيد من التمسك بالأصول والهوية ، على اعتبار أن هذا التمسك بمثابة خط الدفاع الأول الحاجز الذى يتصدى لكل محاولات الغزو الثقافى.

أما الفريق الثانى فأصحابه أقرب إلى فكرة الهوية العالمية التى تتجاوز التجمعات الاجتماعية داخل الأوطان ، فالأرض عند هؤلاء مدينة إنسانية تستحق أن تسمى المجتمع المدنى العالمى

وفى إطار هذه الجدلية القائمة أصبحت القضية التى تستحوذ على اهتمام الكثيرين هى : كيف يمكن لأمة أن تزاوج ما بين الأصالة والمعاصرة حتى تواجه تحديات وإشكاليات البقاء ؟ وكيف تمنح الأجيال القادمة مهمة رسمية تطالبهم بالسعى لتحقيق مركز متميز فى سباق التقدم والريادة فى ظل سيادة التقنية والعولمة دون أن يعنى ذلك تخليهم عن جذورهم الأصلية وهوية تاريخهم الخاص

ومن هذه الجدلية يبرز التحدى ، كيف يمكن تحقيق طرفى المعادلة .. الحفاظ على الهوية ، والانفتاح على العالم للإفادة من ثمرات المعرفة الإنسانية؟! .. وما هو الدور الذى ينبغى أن تلعبه الفضائيات العربية فى هذا المجال ؟

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٩.

إن الحفاظ على الهوية ، هذا الشعار الذى ترفعه الشعوب لا يمكن أن يتحقق من تلقاء نفسه ، كما أنه ليس موضوعا قاصرا على النقاش والجدل ولكنه عمل قومى ينبغى أن تتضافر الجهود لتحقيقه ، وهنا ينبغى أن تلعب الفضائيات العربية الدور المنوط بها فهذه المنابر الإعلامية مسئولة عن ربط الإنسان العربى بجذوره الأصلية المستمدة من قيمه الروحية وحضاراته وتاريخه وثقافته وتقاليده الطيبة و الوعى العميق بقضاياه المعاشة وطموحاته وآماله القومية ، وتشكل درع الوعى الذاتى الذى يجعله قادرا على التعايش مع عصره والتعامل معه بنضج يستطيع من خلاله أن يفرق بنفسه بين الثمين الذى يفيده ويضيف إليه ، وبين الغث أو السلبى الذى يمكن أن يؤثر على هويته .

ولكى تتمكن هويتنا من البقاء على الإعلام العربى أن يعى تماما خطورة هذه المرحلة بالنسبة لوجوده ، عليه أن يعيد ترتيب أوراقه مرة ثانية واضعا فى اعتباره الدور الذى تقوم به الشركات متعددة الجنسيات فى صياغة رسائل إعلامية من القوة بمكان يسمح لها بالتأثير فى أسس وأبجديات الثقافة العربية

على الإعلام العربى أن يطور أجهزته على الأرض ، فهذه الأجهزة هى الركيزة الأساسية ، وقاعدة الانطلاق لخدمة فضائية عربية تراعى الثقافة العربية ، وتعمل على دعمها ومساندتها وصولا للحفاظ على الهوية

إن توفير البديل الفضائى العربى جنباً إلى جنب مع القنوات الأجنبية من منطلق أن التواجد الفضائى العربى – بشرط أن يكون تواجدا لائقا – هو الزاد الذى ينعش ذاكرة الإنسان العربى بكل ما يحافظ له على هويته ، ويعمق انتماءه، ويجعله قادرا على التعامل مع عالم بلا حدود ثقافية

إن الأسلوب الأمثل للتعايش فى عصر الفضاء هو أن نعطى ونأخذ، نؤثر ونتأثر، يكون لدينا ما نقدمه من عطاء قبل أن نتطلع إلى الاستفادة من عطاء الآخرين[1]

وحتى يستطيع إعلامنا العربى المساعدة فى الحفاظ على الهوية العربية يجب الأخذ بالاعتبارات التالية :[2]

أولا: تطوير الإنتاج الفضائى العربى وجعله أكثر تنوعاً ، وهنا ينبغى جذب اهتمام القطاع الخاص العربى للإسهام فى الإنتاج الإعلامى والثقافى بحيث يتبنى من خلال مؤسسات إنتاجه أعمال تكفى احتياجات القطاع الفضائى العربى وتدر ربحا من خلال قاعدة التسويق الواسعة على مستوى الوطن العربى

ثانيا: جذب المشاهد العربى ، وربطه بوطنه العربى وجعله أكثر انتماء ، وحرصا على العادات والتقاليد العربية .

ثالثا: دراسة الجمهور المستهدف، وتقسيمه إلى فئات وشرائح، واستخدام الاستمالات المواتية لكل فئة حتى يلبى الإعلام العربى احتياجات مشاهديه .

رابعا: الحرص على إعداد ،وإنتاج برامج عربية مشتركة تتوافر فيها كل أساليب الجذب من حيث الشكل ، وكذلك الموضوعية من حيث المضمون لكى تجذب المتلقى العربى بعيدا عن البرامج الوافدة .

خامسا: التأكيد دائما فى الإنتاج العربى على منظومة القيم التى تشكل خصوصية الثقافة العربية .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٦٣.

(٢) أحمد فتحى سرور : كلمة فى افتتاح المؤتمر العلمى السنوى العاشر لكلية الإعلام جامعة القاهرة ، مرجع سابق ص ١٣ .

سادسا: التحاور مع الثقافات الأخرى من موقع الندية لا التبعية .

سابعا: الاهتمام بالأقليات المقيمة خارج الحدود التى يجب أن تظل على صلة بالموطن الأم لتعميق الشعور بالانتماء ، والتأكيد على الهوية العربية .

ثامنا: التنسيق والتكامل بين المؤسسات الإعلامية العربية وكذا المؤسسات الثقافية والأكاديمية لرفع وعى المواطن العربى

تاسعا: التكامل لا التنافس بين الفضائيات العربية من خلال استراتيجية محدودة المعالم بحيث تنافس الفضائيات الأجنبية الموجهة إلى المنطقة العربية ، وتحد من تأثيرها على الهوية الثقافية العربية.

وعلى طريق الحفاظ على الهوية ودعمها والدور الذى ينبغى أن تلعبه الفضائيات العربية ينبغى أن تكون قضية بناء وتنمية الإنسان العربى فى مقدمة اهتمامات هذه القنوات فى كل ما تبثه من مضامين، وفيما تتناوله من موضوعات وقضايا ، ينبغى أن توازن بين طرفى معادلة الأصالة والمعاصرة ، واضعة فى اعتبارها حماية العقل العربى من الاختراق .

الخــلاصة ..

إن الهوية هى التفرد ، وما يميز الذات عن غيرها ، هـى صـفات تـشترك فيها مجموعة من البـشر ، وإذا مـا ذكـرت " الهويـة " اقترنـت بهـا "الهويـة الثقافية" التى تصير ، وتنمو ، وتخطو على طريق الانكماش أو طريق الانتشار . ولا تكتمل الهوية الثقافية ، ولا تبرز خصائصها الحـضارية إلا إذا تجـسدت مرجعيتها فى كيان عناصره : الوطن ، والأمة ، والدولة

والحدود التى تنشأ فيها هوية الأمة الثقافية ليست كما يقال أزلية ، ولا هى ظرفية متغيرة. وبعيدا عن المعنى اللغوى والدلالى لكلمة الهويـة ..عـن الكـم الهائل من وجهات النظر المصاحبة للنقاش الدائر الآن حـول مفهـوم الهويـة وكيفية الحفاظ عليها هناك مجموعة من الثوابت اتفق عليها لعل أهمها :

١ - إن الهوية نمط معيشى يتفاعل مع المتغيرات ، ولكنه لا يتلاشى .

٢ - الحفاظ على الهوية لا يعنى الانطواء على الذات ، وإنـما يعنـى المزيـد مـن التفاعل المتزن مع الثقافات الأخرى .

٣ - إن رسم حدود الهوية على الصعيد المعاش ربما يكون من الأمور الـشائكة فالهوية مفهوم أيديولوجى أكثر منه علمى .

٤ - للإعلام دور ينبغى أن يلعبه فى دعم الهوية ، ودفعها خطوات على طريـق البقاء والاستمرارية.

والوقـوف علـى ماهيـة الهويـة العربيـة يعنـى التأكيـد علـى بعـض الجوانب منها :

١ – قبول فكرة تعدد الهويات ضمن الهوية العامة المشتركة ، وفى ذلك إثراء ودعم الهوية .

٢ – النظر إلى الهوية على اعتبار أنها حالة دائمة من التطور ، ولا شك أن الهوية العربية لم تصل إلى مرحلة الاكتمال ، وذلك بسبب عجز العرب عن بناء منظومة اجتماعية تراعى حقوق الإنسان وحريته فى ظل نظام سياسى أقل ما يوصف به أنه استبدادى يتعارض مع فكرة العمل العربى المشترك

والتحديات التى تواجه الهوية العربية تنقسم إلى :

تحديات خارجية وأخرى داخلية ، ويتمثل النوع الأول من التحديات فى الآثار السلبية المصاحبة للإعلام العولمة الذى قد يحمل معه خطرا يهدد بفقدان الهوية العربية .

أما التحديات الداخلية فتتمثل فى غياب دور الأسرة فى التنشئة، وتعدد نظم التعليم إلى جانب شيوع اللجهات الدارجة بما فيها من تعبيرات تعكس مدى انحدار المستوى اللغوى فى المنطقة العربية.

وفى ظل إعلام العولمة نحن فى أشد الحاجة إلى انطلاقة واعية نحو آفاق العلم والثقافة ، فاعلين مؤثرين .. فى حاجة إلى تغيير فكر مقاومة مثل هذه التيارات الإعلامية ، لا نستطيع أن نكون بمعزل ، وكيف ونحن نحاط بهذا الوابل من المنتج الإعلامى العالمى ؟!.

ينبغى أن نأخذ من العولمة ما يساعدنا على التصدى لآثارها السلبية وهنا نتساءل هل نستطيع البقاء والاستمرار ؟! هل تستطيع الهوية العربية أن تقاوم كل هذا الضغط الإعلامى؟! .

وفى مثل هذه التحديات يطرح السؤال نفسه .. أين الإعلام العربى ؟! استراتيجياته ، مؤسساته ، فاعلوه ؟ وهل تعى أجهزة إعلامنا العربى خطورة مثل هذه التحديات ؟!

إن المشهد الراهن للإعلام العربى يكشف عن :

١ - غياب كامل لفكر التكتل الإعلامى الذى يمكن أن يواجه مثل هذه الاختراقات الثقافية التى تتعرض لها المجتمعات العربية

٢ - نقص البحوث النظرية والميدانية التى ترصد تأثير مثل هذا الاختراق على منظومة قيمنا العربية .

هذا بالإضافة إلى انعدام الثقة بين المواطن العربى وأجهزة إعلامه وفيما يتعلق بالهوية العربية ودور الإعلام فى الحفاظ عليها يأتى الخطاب الإعلامى العربى فى اتجاهين: الأول : يدعو إلى التمسك بالأصول والهوية ، ويعتبر أن هذا التمسك هو خط الدفاع الأول ، والحاجز الذى قد تتحطم عليه هجمة الاستتباع والإلغاء رمزيا وثقافيا. أما الاتجاه الثانى ، فيدعو إلى السعى وراء تكوين هوية عالمية جامعة ، تؤسس على قاعدة حقوقية تبنى على أساس مصالح مشتركة جديدة تتخطى الجماعات الفرعية والأوطان جاعلة من الأرض كلها مدينة إنسانية تسمى المجتمع المدنى العالمى.

إن الحديث عن استراتيجية إعلامية عربية قادرة على توفير نوع من الحماية للهوية العربية يقودنا إلى إمكانية أن تدفع هذه الاستراتيجية هويتنا خطوات على طريق التفاعل مع الهويات الأخرى من منطلق إحداث تغيرات عصرية لا تتعارض وثوابت الهوية .

وعلى هذا الطريق كفانا انفعالية فى خطابنا الإعلامى .. كفانا ردود أفعال تصادمية مع الآخر.. علينا أن نتعلم مهـارات الحـوار، منـاورات التفـاوض ومخاطبة الآخرين بلغتهم وأساليبهم ، والتركيز عـلى بنـاء منظومـة إعلاميـة عربية قادرة على الاستجابة لمتطلبات الحوار بين الثقافات .



المحتويات

الموضوع	الصفحة

الإعـــلام الفضـــائى والهوية الثقافية

دكتور
محمد ناصر عبد الباسط

الإعلام الفضائى والهوية الثقافية
د / محمد ناصر عبد الباسط



